

أنور أبجندى

قراءة في ميراث الشبوبة

أطوار إسلامي لاصححوا الأمة



قِرَاءَةٌ فِي مِيرَاثِ النُّبُوْةِ

إِطْسَارُ إِسْلَامِيٍّ

لِصَحْوَةِ الْأَسْلَامِيَّةِ

أنور الجندي

حَارِفُ الْفَضْيَالِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مَقْرَرَةٌ

إِطَارٌ إِسْلَامِيٌّ لِلصَّحَوَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ

قال رسول الله ﷺ :

« يَحْمِلُ هَذَا الْعِلْمَ مَنْ كُلُّ خَلْفٍ عَدُولُهُ ، يَنْفُونَ عَنْهُ تَحْرِيفُ الْفَالِيْنَ وَاتْسَاحُ الْمُبْطَلِيْنَ وَتَأْوِيلُ الْجَاهِلِيْنَ » (١).

(١) الصَّحَوَةُ لَيْسَ ظَاهِرَةً طَارِئَةً ، بَلْ هِيَ أَعْقَمُ وَأَشْمَلُ مِنْ مَجْدِ ظَاهِرَةٍ .

وَمِنْ دَلَائِلِ أَصَالَةِ هَذِهِ الصَّحَوَةِ أَنَّهَا مُسْتَمِرَّةٌ ؛ ذَلِكَ أَنَّ (رِسَالَةِ إِسْلَامٍ) مَدْعُوَةُ لِتَنْقِذِ الْعَالَمَ كُرْبَةً أُخْرَى بَعْدَ أَنْ سَقَطَ فِي بِرَاثَنِ الْوَثْنَيَةِ وَالْمَادِيَةِ وَالْإِنْهِيَارِ الْخَلْقِيِّ ، وَأَنَّ الْأَزْمَةَ تَوْلِدُ الْهَمَةَ ، وَلَا يَتَسْعُ الْأَمْرُ إِلَّا إِذَا ضَاقَ ، وَلَا يَظْهُرُ فَضْلُ الْفَجْرِ إِلَّا بَعْدَ الظَّلَامِ الْحَالِكِ .

وَإِذَا ثَابَ أَهْلُ الْحَقِّ عَلَى حَقِّهِمْ ، وَلَمْ يَتَرَكُوا الْمَيْدَانَ لِغَيْرِهِمْ كَمَا النَّصْرُ فِي النَّهَايَا حَلِيفِهِمْ ، كَمَا قَالَ جَمَالُ الدِّينِ الْأَفْغَانِيُّ : أَبْلَغَ مَا حَمِلَتْ دُعَوَةُ إِسْلَامٍ إِلَى الْعَالَمِيْنَ التَّمْسِكَ بِالْقُرْآنِ الْكَرِيمِ كَأَسَاسٍ مُوْجَدٍ بَيْنَ الْمُسْلِمِيْنَ وَالْغَائِيْنَ الْمَذَهِيَّةِ ، وَقَدْ أَكَدَ عَلَمَاءُ إِسْلَامٍ فِي كُلِّ عَصْرٍ أَنَّ بَابَ الْإِجْتِهَادِ مُفْتَوْحٌ ، وَأَنَّ الْقُرْآنَ يَشِيدُ بِالْمُخْتَرَعَاتِ وَالْعِلُومِ الْحَدِيثَةِ ، وَأَنَّ دُعَوَتَهُ إِلَى وَسْطِيَّةِ بَيْنِ طَرْفِيِّ الْجَمْدِ وَالْتَّقْلِيدِ .

وَالْقُرْآنُ الْكَرِيمُ يَتَحَدَّثُ عَنْ (الْدُّفُعِ) أَيِّ الْحَرَاكِ الْاجْتِمَاعِيِّ بَيْنَ الْأَمْمَ وَالْمَذاهِبِ بِاعْتِبَارِهِ سَنَةً مِنْ سَنَنِ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى فِي الْإِجْتِمَاعِ الشَّرِيِّ ، وَقَانُونِيًّا مِنْ قَوَانِينِ هَذِهِ الْحَيَاةِ .

قَالَ تَعَالَى : « وَلَوْلَا دَفَعَ اللَّهُ النَّاسَ بِعِصْبَهُمْ بِبَعْضٍ لِفَسَدِ الْأَرْضِ » [الْبَقَرَةُ ، الآيَةُ ٢٥١] كَمَا يَتَحَدَّثُ عَنْ إِرَادَةِ التَّغْيِيرِ ، وَأَنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لَا يَغْيِرُ مَا يَقُولُ حَتَّى يَغْيِرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ .

وَقَدْ جَمَعَ إِسْلَامُ بَيْنَ الْقِيَمِ الْمُتَكَامِلَةِ الَّتِي تَمْثِلُ « وَسْطِيَّةَ إِسْلَامٍ » : الرُّوحُ وَالْمَادِيَةُ ، الْقَلْبُ وَالْعُقْلُ ، الْعَرُوبَةُ وَالْإِسْلَامُ ، الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ .

أَمَّا مِنْهُجِ الْمَعْرِفَةِ إِسْلَامِيٌّ فَهُوَ جَمَاعٌ بَيْنَ الْعُقْلِ وَالْوَحْيِ .

(١) انْظُرْ كِنزَ الْعَمَالِ (٢٨٩١٨)

كما يقرر الإسلام « أخلاقية المجتمع » والأخلاق جزء من ثوابت العقيدة ، ويدعو الإسلام إلى ثبات الذاتية الخاصة بحيث لا ينصرف في فكر آخر مع قبول ما يوجد في الحضارات ، مما يؤكد حاجة الأمم إلى اقتباس الأساليب والوسائل دون الأصول .

كما يقرر الإسلام المسئولية الفردية إلى جوار الثبات الأخلاقي .

كما يقرر الإسلام مفهوم الثواب والمتغيرات .

كما أقر الإسلام الحرية المنضبطة ، ورفض الحرية المطلقة .

★★★

وقد حمل العرب رسالة الإسلام وتبلغها للعالمين ؛ وكان العرب بالإسلام سادة العالم وقادة الأمم ؛ وكان عليهم أن يحملوا أمانة الدعوة والاعتزاز بالانتساب إلى الإسلام دون أن يفرضوا أنفسهم على الناس ، بل كان عليهم أن يكونوا مبلغين صادقين .

★★★

(٢) والتحيير فريضة شرعية لحماية حياة المسلمين من الجمود أو التخلف ، وتمثل في عدة ماضعات :

(أ) ضرورة العودة إلى الله تبارك وتعالى .

(ب) تحرير الولاء لله تبارك وتعالى ولرسوله وللمؤمنين .

(ج) الإعداد الروحي يقوم على تربية الأمة على مفهوم الإسلام الشامل .

(د) بناء إنسان العقيدة وإحياء فريضة الجهاد .

(هـ) إعداد العدة المانعة وتحصين الحدود والشغور .

﴿وَأَعْدُوا لَهُم مَا أَسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِيَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوكُمْ﴾ [سورة الأنفال ، الآية: ٦٠] .

(٣) وهذا يتطلب الاهتمام بال التربية الإسلامية لأبناء المسلمين بمفهوم الإسلام الجامع (تربية العقل والقلب والجسم) و تقوم التربية الإسلامية المستمدّة من القرآن والسنة على دعائم الإيمان في النفس والضمير ، وإيجاد الأجيال القادمة وتحصين كيانهم النفسي والاجتماعي . *إلهي تعال*

ولما كان الإسلام لا ينصر أمة تعطل شريعته وحدوده ، ولا ينصر أمة تعطل الفرائض ،

ولا ينصر أمة تحل ما حرم الله ، ولا ينصر أمة يكون نظامها وتعليمها في أيدي أعدائها ،
ولا بد من فتح باب الاجتهاد أمام المستجدات في المجتمع ، وفتح باب الجهاد أمام
المتطوعين لتحرير القدس .

ومن هنا تظهر ضرورة إقامة الوحدة الجامعة .

وعلى الفكر الإسلامي أن يتوحد مستعلياً على الإقليمية والطائفية والمذهبية ، وأن
ينفض عن كاذهله صبغ التبرير والتملق التي زادته رهقاً ، وصرفه عن رسالته الحقيقة .
(٤) ولتحذر الشباك المطروحة للصيد المتمثلة في حركات الماسونية والروتاري ولا
اللون كليّاً ^{١٩٨٤} وغيرها .

هذه المنظمات قامت لإيجاد الانشقاق والانحلال بين شعوب الأمة الإسلامية .
وعلينا أن نحذر أيديولوجيات الرأسمالية والليبرالية وفكرة القومية والإقليمية والطبقية
والصراع الطائفي .

وعلينا أن نحذر نظريات الفيض والإشراق والحلول والاتحاد ودعوى الروحية الحديثة
وتحضير الأرواح .

ومذاهب البهائية والفينيقية والفرعونية وأن نعمل على تثبيت الإطار المعرفي الجامع
بين العقل والوحى معاً كمصدرين متكاملين للمعرفة الإنسانية .

★★★

وعلينا المحافظة على الذاتية الخاصة وخصوصية الانتماء ، فنحن عالم مختلف تمام
الاختلاف عن عالم الغرب بعيد عن وثنية أرسطو في الغرب ووثنية بوذا في الشرق ، ولا
يمكن أن ننحصر في إحداهما .

قال رسول الله ﷺ : « إن لكل أمة رهبانية ، ورهبانية أمتي الرباط في نهر
العدو » ^(١) .

(٥) خصائص الحركة الإسلامية :

١ - العالمية والإنسانية : فالعلم في الإسلام حق مشاع وثروة مشتركة لجميع الأمم
والشعوب والعناس والأنسان .

(١) أخرجه الطبراني (١٩٨ / ٨) .

عن هذه الأطريق (في هذا الكتاب) ^{١٩٨٤}

٢ - **الشعبية** : شعبية هذه الحركة الوحدة الإسلامية التي قامت على مجهودات
شعبية وعلى تقدير علماء المسلمين للعلم .

٣ - **الحركة** : وتتجلى في المسافات للحصول على العلم والتوسيع والاختصاص في
الدراسة .

٤ - **الصورة والعمل** : فقد امتاز علماء المسلمين بعلو الهمة أو الشهادة في الأمر
بالمعروف والنهى عن المنكر و كلمات الحق عند سلطان جابر ، والصمود في وجه
الآباءيل .

٥ - **التركيز على العلم النافع الحامل للهداية ، والكامل للنجاة .**

٦) **الجمع بين الروح والعقل :**

(أ) جمع الإسلام بين السماحة والوسطية ، والاعتدال بين الفرد والجماعة ،
ويستمد أصوله من الوحي ، فيعطي العقل الإسلامي مساحة للفهم واتخاذ القرار وقد جاء
عطاء الإسلام بعيداً عن التعصب والتشدد .

(ب) وحدة الصف وفق منهج الشريعة الإسلامية السمحاء ، ويعيداً عن المذهبية
والحزبية والتفرقة .

(ج) الخط البياني الإسلامي الآن يرتفع في اتجاه القمة .

معالم الثقافة الإسلامية :

١ - **الطابع المميز لهذه الثقافة والخصائص الجوهرية :**

(أ) القرآن هو المصدر الأول لمقومات الأصالة .

(ب) تحديد المنابع الأصيلة للثقافة .

(ج) يربط القرآن الكريم دائماً بين المعرفة والثقافة والنتائج العملية المترتبة عليها
من حيث النفع أو الضر .

(د) يربى القرآن العقل والبصيرة على الوحدة من خلال الكثرة وتلمس الرباط الموحد
الذى ينظم ما يبدو متنامراً متبيناً .

(ه) ربى القرآن المسلمين على ملكرة النقد النزيه مع الدقة والأمانة في نقل أو رواية
أقوال الغير ، وضرورة التفرقة الحاسمة بين العلم والظن .

(و) الربط بين جانبي الفكر والوجودان مع تأكيد أهمية الربط بين النظرية والتطبيق .

(ز) أن العقيدة الإسلامية النقية لم تكن يوماً حجر عثرة في سبيل تطور الحياة الإسلامية .

وأن عقيدة القضاء والقدر لا تؤدي إلى الجمود أو الموقف السلبي . (محمد كمال جعفر) من قواعد الإسلام الثابتة : عدم التفريط في الثواب في سبيل تحقيق التقدم .

(ح) الاختلاف في الفكر الإسلامي يتم في دائرة الوحدة : فهو اختلاف تنويع لا اختلاف تضاد .

(ط) الثقافة الإسلامية لها خصوصيتها الخاصة بها والمرتبطة بالعقيدة والتاريخ واللغة .

ومن هنا فإن علينا :

- تحرير المناهج التعليمية والثقافية من التبعية .

- حماية وجودنا من نظريات الفصل بين الماضي والحاضر أو احتقار الذات ، أو تفسير التاريخ تفسيراً مادياً ، أو ماركسيًا ، أو النيل من بطولات المسلمين أو امتهان الصحابة بتحويلهم إلى سياسيين محترفين .

(د) قيم الأخلاق : يرى كثير من علماء الأخلاق أن قيم الأخلاق عامة ولازمة للإنسان في كل مجتمع وفي كل عصر ، وأنها قيم ثابتة لا تتغير بتغير الزمان أو البيئات .

وهي قيم عامة وإنسانية ، ولا تتعارض مع العقل ، وهي جزء من الدين السماوي المنزل .

وتتوخى قيم الأخلاق كمال الفرد وصلاح المجتمع .

وقد جعل الإسلام العقل وسيلة لفهم كل عقيدة سليمة وتحقيق كل سلوك كريم . والإسلام لا يرد قيم الأخلاق والحسن والقبيح في الأفعال الإنسانية إلى العقل ؛ لأن العقل الإنساني ليس بمحض العي والحصر وأنه لا يكون في كل حالاته بمعزل عن الهوى أو العاطفة تماماً ؛ ويدل ذلك ليس ثمة ما يضمن لنا صدق أحكامه حيث تفضل لنا نوعاً من السلوك على نوع آخر .

والإنسان حين يقدم على السلوك يكون أكثر إسراعاً في اتباع مافيه هو نفسه ثم يمر لنفسه هذا السلوك .

يقول ابن عطاء : « إذا التبس عليك أمران فانظر أثقلهما على النفس فاتبعه ، فإنه لا يثقل على النفس إلا ما كان حقاً » .

وقيم الأخلاق في الإسلام وسائر الديانات السماوية تناطب الفطرة والوجدان ، وهي أيسر من أخلاق الفلاسفة .

ومن خطأ ظن أصحاب الفلسفات المادية أن القيم الدينية تعوق التقدم الحضاري والمجتمع .

وحيث يسيطر الإنسان ذاته يشعر بأن فيه معنى زائداً على المادة .

(دكتور / التفتازاني) .

(ك) حضارة الإسلام حضارة أخلاقية تجمع بين (الفكر والعمل) ولا تقدس الفكر وترفعه فوق العمل كما كان شأن في الحضارة اليونانية القديمة ، كما أنها تجمع بين (المادة والروح) وترى أن المجتمع لا يهمل الحوافر الروحية إلى جوار الحوافر المادية في عملية التطور ، ولذلك كانت الأمة الإسلامية الآخذة بهذه الحضارة أمّة وسطاء .

﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أَمَةً وَسَطَاءً ﴾ . [سورة البقرة ، الآية : ١٤٣] .

﴿ وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبِكَ مِنَ الدُّنْيَا ﴾ .

[سورة القصص ، الآية : ٧٧]

ولا يعني الإسلام بالقيم المجردة ؛ لأنّه دين عمل يحكم على الإنسان بما يتمثل في سلوكه العلمي من القيم . « وَقُلِ اعْمَلُوا » [سورة التوبه ، الآية : ١٠٥] .

أهم هذه القيم :

١ - التوحيد : فقد حارب الإسلام الشرك والوثنية .

٢ - العلم : لا يقتصر العلم في الإسلام على العلم بالأحكام الشرعية ، وإنما يمتد ليشمل كل علم يدفع الجهل ، واعتبر الفقهاء العلوم الدينية النافعة فروض كفاية ؛ وكذلك الصناعات والمهن .

٣ - حرية الفكر : وهي قيمة ذات فعالية إيمانية في التطور الحضاري مضادة لقيمة أخرى سلبية ، وهي التقليد أو الجمود الفكري ، ونهي الإسلام عن التقليد للقيم الضارة . وقد حث القرآن العقول على البحث في الكون والبحث في النفس : « سُرِّيْهِم آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِم حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ » [سورة فصلت ، الآية : ٥٣] .

ويدعو الإسلام إلى الاستفادة من تجارب الأمم السابقة .

٤ - قيمة العمل : شرط العمل أن يكون نافعاً للفرد والمجموع .

٥ - الأمانة وإتقان العمل .

٦ - المساواة بين الناس بلا فروق بين عربي أو أعمى إلا بالتقوى .

وحارب الإسلام كل ألوان التفرقة العنصرية ونزعات العداء والعصبية ، ورفع من شأن المرأة ، واعترف لها بشخصيتها المدنية وأباح لها التصرف في أموالها .

٧ - دعا الإسلام إلى التعاون بين أفراد المجتمع . والإسلام لا يفرق بين الفردية المطلقة ولا الطبقية ، إنما ينمي في الإنسان شعور الانتسماه إلى الجماعة ، ويعارض كل صور استغلال الإنسان لأخيه الإنسان .

٨ - قيمة العدل : ألا يميل الإنسان إلى هو في نفسه يوقيه في ظلم الآخرين ، العدل الاجتماعي الذي يتجلّى في أن يجد كل فرد في المجتمع كفایته .

٩ - قيمة الشورى : أساس بناء النظام السياسي الإسلامي .

١٠ - الحضارة : تعنى بالحضارة مجموع الفكر والعمل فليست الحضارة في التقدم المادى وحده ، ولكنها في الارتقاء الإنساني الجامع ، فالتصور للحضارة على أنها مادة فقط قاصر كل القصور ولا بد أن ترتبط الحضارة بالقيم الخلقية .

ولكل حضارة قيم : وارتقاء حضارة من الحضارات معناها أن لدى أصحابها قيمًا معينة آمنوا بها وعملوا على تحقيقها ، ومن الضروري تأكيد دور الإنسان في بناء الحضارة .

وعقل الإنسان وشعوره ووجوداته هي جمیعاً وراء كل أدب وفن .

أما وسائل الإنتاج فهى ليست إلا عاملاً من بين عوامل كثيرة في بناء الحضارة .

والتفكير غير خاضع لقوانين المادة .

★ ★ ★

مَدْخَل

يقول جمال الدين الأفغاني مقدماً القرآن الكريم للأمة الإسلامية قبل مائة عام كمنهج ربانى أصيل يستطيع أن يحقق لهذه الأمة وللإنسانية جميعاً أملها في العدل والإيمان وتطبيق شريعة الله ومنهجه بالعودة إليه والتماس نوره : « مadam القرآن الكريم يتلى بين المسلمين ، وهو كتابهم المنزل ، وأملهم الحق ، وهو القائم عليهم بأمرهم بحماية حوزتهم ، والدفاع عن ولائهم ، ومحاسبة المعذبين ، وطلب المنفعة من كل سبيل ، فإننا لا نرتاب إلى عودتهم إلى مثل نشأتهم ونهاوضهم إلى مقاضاة الزمان ما سلب منهم ، فيقدموه على من سواهم فيدفعون الملاحة والمنازلة والمصاولة حفظاً لحقوقهم » .

« إن القرآن حي لا يموت ، ومن أصحابه نصيب من حمده فهو محمود ، ومن أصيب من مقته فهو ممقوت ، كتاب الله لم ينسخ ، فارجعوا إليه وحكموه في أحوالكم وطباعكم » .

« إن الحركة الدينية بالدعوة إلى القرآن كنایة عن الاهتمام بقلع مارسخ في عقول العوام ومعظم الخواص في فهم بعض العقائد الدينية والنصوص الشرعية على غير وجهها مثل حملهم نصوص القضاء والقدر على معنى يوجب عليهم أن يتحركوا إلى طلب مجد أو تخلص من ذل » .

« لابد إذن من بعث القرآن وبعث تعاليمه الصحيحة بين الجمهور وشرحها على وجهها الثابت من حيث يأخذ بهم إلى ما فيه سعادتهم دنيا وأخرى » .

« إن القرآن وحده سبب الهدى والعبرة في الدعاية وما تراكم عليه وتجمع حوله من آراء الرجال واستنباطاتهم ونظرياتهم » .

★ ★ ★

البَابُ الْأُولُ الإِسْلَامُ وَقَضَيَّةُ الْإِنْسَانِ

الإنسان : الفرد والجماعة والمجتمع والحضارة كيف رسم الإسلام حقوق الإنسان ومسئولياته ، وكيف أخرج الإسلام الإنسان من العبودية التي كانت ظاهرة طبيعية لإمبراطوريات اليونان والرومان والفرس والفراعنة ، وكيف كانت العبودية أساس هذه الحضارات ، بينما ألغى الإسلام الرق وأقام للإنسان قيمًا أساسية تحفظ له وجوده وكيانه . الإسلام يقرر أن القضية الكبرى في المجتمع البشري هي قضية الإنسان وهي القضية التي جاءت الأديان لترسم للإنسان الطريق فيها ، وهي في نفس الوقت موضع الخلاف الواسع والعميق بين الفكر الإسلامي والفكر الغربي .

فالتفكير الإسلامي يقوم على دعائم الدين الخاتم (الإسلام) الذي جاء بوصفه منهج حياة ونظام مجتمع (روح ومادة) بينما قام الفكر الغربي على إعلاء الإنسان وتكوينه مادياً استمداداً من عدة عناصر : هي الفلسفة اليونانية المادية وشذرات من المسيحية نقلت إليها ، وليس الدين الحق - ماددخل الفكر الغربي من معطيات الإسلام وهي في الأغلب : « العلوم التجريبية » التي قامت على أساسها الحضارة المادية .

أما الإسلام فإنه يقرر عدة أسس راسخة :

أولاً : الإنسان خلق لحمل أمانة الاستخلاف في الأرض من منطلق إقامة المجتمع الريانى على الأرض .

ثانياً : أمد الله تبارك وتعالى الإنسان بمقاييس العمران ووسائل السعي من خلال

مسئوليته الفردية والتزامه الأخلاقي والإيمان بالغيب والبعث والجزاء الأخرى .

ثالثاً : من هنا كان لابد له من الانطلاق إلى العمل من نقطة البدء الحقيقة ، بالإيمان بالله تبارك وتعالى خالقاً ورازاً .

﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [سورة الفاتحة ، الآية : ٥] .

يعنى أن الأمور تبدأ من الله تبارك وتعالى وتنتهي إليه سبحانه :

رابعاً : قدم القرآن منهجاً كاملاً - وقدم عالم الغيب (ماوراء المادة) الميتافيزيقاً ، وهى تتقرر من خلال الإيمان بالله الواحد الأحد ، وبالرسالة الخاتمة والوحى والغيب .

★ ★ ★

من خلال هذا المنهج يتحدد موقف المسلم من الفكر الغربى الذى يقوم على انشطارية الحياة من حيث إنكار الغيب والبعث ، وإحلال مصطلح الطبيعة بدلاً من الألوهية ، واعتبار المسئولية هى مسئولية المجتمع لا الفرد ، وتقرر مذهب النسبية الأخلاقية المرتبطة بالعصور والبيئات ، بينما يقدم الإسلام : ثبات القيم الأخلاقية واستمرارها والخضوع لها .

★ ★ ★

وهذا الطرح يوصلنا إلى الحقيقة المؤكدة وهى :

« تكامل الإسلام »

فقد أسقط الإسلام الحاجز بين الحياتين : حياة الدنيا وحياة الآخرة ، وأنهى هذا الصراع الدامى بينهما كأنهما عدوتان لعدوتنان . قال الله تعالى : « وَابْتَغِ فِيمَا آتَكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسِ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا » [سورة القصص ، الآية : ٧٧] .

وأسقط الإسلام الحاجز بين الدين والعلم منذ البداية ، والإسلام يعلن احتفاؤه بالعلم .

وقد أسقط الإسلام الحاجز بين الروح والجسد ، فقد كانوا يقولون إن هذا البدن هيكل الشيطان .

ب بينما يقول الإسلام : (إن لبدنك عليك حقاً)^(١) . (فتحي رضوان) .

★ ★ ★

كذلك فقد خلق الإسلام الشخصية الإنسانية المتوازنة التي لا إفراط فيها ، ولا تفريط ، والتي توازن بين حاجات الجسم . و حاجات الروح : « وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا » [سورة القصص ، الآية : ٧٧] .

★ ★ ★

« تميز الإسلام » حقيقة قيمة أساسية لها عدة عناصر ، فقد ألغى الإسلام فكرة الإباحية التي كانت قائمة في المجتمعات القديمة المعاصرة والتابعة من فكرة (فصل الدين عن الدنيا) بحيث يكون هناك معياران للسلوك : واحد خاص والأخر عام ، فأصبح الفرد يحكم ما رسمه الدين في نفسه عن طريق الشعائر والمعاصرة صورة للمجتمع تحمل في ضميره كل القيم الاجتماعية التي تحض على التكامل والتعاون .

★ ★ ★

وقد رفض الإسلام (مادية اليهود) و (رهبانية النصارى) وأمر بالتوسط « قل أمر ربى بالقسط » [سورة الأعراف ، الآية : ٢٩] .

« يا بني آدم خذُوا زينتكم عند كل مسجد وكلوا واشربوا ولا تُسرفوا إنه لا يحب المسرفين * قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق قل هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا خالصة يوم القيمة » [سورة الأعراف ، الآيات : ٣١ ، ٣٢] .

فالحياة : الإسلام أسلوب حياة يمتزج فيه الديني بالدنيوي ، ويختلط المادي بالمعنوي اختلاط الروح بالجسد ، فينضهر الجانبان في وحدة عضوية لا ينفصل فيها أحدهما عن الآخر .

وليس لل المسلم فلسفة أساسية من صنع فكره كإنسان وإنما مرده إلى وحى الله تبارك وتعالى ، وسنة الرسول ﷺ ، وما وقع عليه الإجماع .

والإنسان المسلم على خلاف الإنسان الآخر ، فهو لا ينوء تحت وطأة الخطيئة الأصلية التي تحكم عليه وعلى نفسه بالسوء والفساد ، والمثل الأعلى الثقافي عند المسلمين هو أن

(١) أخرجة الترمذى (٧٤٨) .

يجعل عبادة الله مطمح نظره ، بينما كان المثل الأعلى عند الإغريق أن يجعل الدولة نصب عينيه ، والحرية في مفهوم الإسلام تقوم على التحرر من قيد الوثنية والجهل والتقليد .

والحياة في مفهوم الإسلام ثنائية تقوم على التوازن بين المادة والروح ، فإذا طغت إحداها على الأخرى اضطربت وانحرفت ، والقلق الذي يشمل المجتمعات غير الإسلامية لا سبب له إلا فقدان هذا التوازن .

ولما كانت الحياة على الأرض محكومة بتواميس ثابتة تسيرها قوة علوية ، فإن التوازن يحفظها من التفكك والانهيار .

ويرفض الإسلام المغالاة في المحافظة وفي التجديد ، فكلاهما يخرجه عن الفطرة وقوانين الحياة الطبيعية التي تجمع بين القديم والجديد والماضي والحاضر .

ويرفض الإسلام المغالاة ؛ فالقديم والجديد عنصران مهمان من عناصر الحياة ، وهما متلازمان وضروريان ، ويقر الإسلام التوازن بين القديم والحديث .

ولابد من تطوير الدنيا لأمر الله ونصرة تعاليمه ، ومقاومة أكبر علل الحضارة الحديثة : مما ينكره الإسلام وهو عبادة الحياة ولا يزال الجسم الإسلامي يرفض العضو الغريب ، ولا يزال الكيان الإسلامي يرفض الجسم الغريب .

★ ★ ★

وال المسلم لم يخلق ليندفع في التيار ، ويساير الركب البشري حيث سار ، بل خلق ليوجه العالم والمجتمع والمدنية ، ويفرض على البشرية اتجاهه ، ويملى عليه إرادته (إقبال)

★ ★ ★

وقد رفض الإسلام التطور على حساب الأصالة والقيم الأساسية ، كما رفض تضحيه القيم العليا في سبيل التقدم المادى ، ولم يخضع الإسلام مفاهيمه للحضارات وأهواء الأمم .

وليس في المناهج والدعوات المطروحة من شيء إلا وعند المسلمين مثله أو خير منه ، وهو هنا مقطوع الصلة بالله ولكن في الإسلام متصل .

لقد كان موقف الإسلام واضحًا فهو لا يحتوى ولا ينصل .

★ ★ ★

إن أساس حرية الاختيار في الإسلام تقوم على الاعتقاد بأن الأصل في الإنسان الخير على خلاف ما تقول به بعض الأديان من أن الإنسان خلق خاطئاً ، وخلاف ما جاءت به

التعاليم الهندوكية من أن الإنسان كان في أول أمره دنساً فهو من أجل ذلك محمول على أن يتخطى في سلسلة من التقمص نحو هدفه الأقصى من الكمال ، بينما يقرر القرآن أن الإنسان خلق طاهراً وخلق تاماً .

★ ★ ★

الإسلام - كما نص القرآن - ليس بدين جديد ، ولكنه الدين الأول الذي أوحاه الله إلى المرسلين منذ آدم إلى محمد ﷺ .

لم يرسل محمد ليؤسس ديناً جديداً في أمة معينة ، ولكنه جاء لتصحيح الخطأ الذي طرأ على الأديان ، وليرفع التحريف الذي أصاب الدين الأصلي الذي أرسل الله به المرسلين .

★ ★ ★

الإسلام هو الذي أعطى شعوبه تلك القوة التي صارت قوى الأكاسرة والقياصرة ودول أوروبا في الخروب الصليبية وفي الاستعمار .

ولقد حمت قوة الإسلام مبادئها التي تدين بها ولم تعتمد مبادئ خصومها .
ولقد وضع الإسلام للناس منهاجاً كاملاً للحياة والفرد والمجتمع ولم يفرض هذا المنهج فرضاً بل ترك للناس الحرية في قبوله متى شاءوا .

★ ★ ★

ومنذ أن شكل الإسلام لونه المميز على خريطة العالم : فهو عالم مستقل له طابعه المفرد « صبغة الله ومن أحسن من الله صبغة » [سورة البقرة ، الآية : ١٣٨] .

ومنهجه المتكامل المتجدد (بالتوحيد والإيمان والأخلاق) ومن ذلك اليوم أصبح لل المسلمين قبلتهم الواحدة التي لم يحيدوا عنها ، تهوى إليها قلوبهم وأفغدتهم بالإيمان والفكر والنظر ولم يكن لهم بعدها - منذ ذلك اليوم وإلى أن يرث الله الأرض ومن عليها - قبلة أخرى .

ولا تزال الكعبة المشرفة وستظل مركز الدائرة ، ليس في أرض الإسلام ، بل في الكوكب كله .

لقد كانت رسالة الإسلام أعمق حركة من حركات التحرر والتجدد عرفها تاريخ الشعوب في العالم كلها لأنها بادرت منذ اللحظة الأولى إلى تحرير الإنسان من رقية الوثنية والثنوية والطاغوت ، وكل سلطان مارسته العقائد البدائية على المجتمعات القديمة واستقرت مقاليده في طبقة الكهنوت .

﴿ يَرِيدُونَ أَنْ يَتَحَكَّمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ ﴾ [سورة النساء ، الآية : ٦٠] .

أى إلى أولئك الكهنة الذين كانوا يزعمون الاتصال بالغيب ، وأعلنت رسالة الإسلام مساواة الأجناس البشرية أمام العدل الإلهي ، وأزالت ضروب التباعد بين الشعوب ، فلم تقو عروش كسرى وقيصر على صد تيار التحرر الذي تدفق من جزيرة العرب ، وتحطممت الطبقة السياسية الفارسية المعلقة على صخرة المساواة الإسلامية ، وانجلح الاستبداد البيزنطي عن سواحل حوض البحر الأبيض المتوسط . (دكتور / صلاح الدين الناهي) .

★ ★ ★

تكامل القيم في الإسلام ركيزة أساسية حيث يقوم على أساس :

توازن - بين الفرد والجماعة .

ملاءمة - بين العقل والقلب .

مطابقة - بين الكلمة والسلوك .

أما الإيمان فهو يعني الاعتقاد بفكرة اعتقاداً جازماً ممزوجاً بعاطفة يجعلها تسيطر على العقل والقلب في آن واحد ، وأعلى درجات الإيمان ، هي الإيمان بالله تبارك وتعالى .

أما المعرفة فهي العلم بشيء دون الإيمان به والعاطفة تعطي الفكرة قوة وإنسانية وحيوية ولا بد من ضرورة استواء الفكر والعاطفة بحيث لا ينفصلان وكلاهما ضروري . فالعاطفة مضيئه بأنوار الفكر ، والفكر مشوب بحرارة العاطفة .

وبالجملة فإنه يمكن تعريف الإسلام باختصار وتركيز شديدين بأنه وإعادة صياغة الإنسان ووضعه في مكانه الصحيح من الكون : الإنسان الذي حرّكة تاريخه الذاتي والخارجي إلى أن يخرج مرات ومرات عن إطار فطرته الأصلية المعجونة بإعجاز من الروح والمادة والفكر والدم والأعصاب والوجдан والعواطف والشهوات ، وكلها تبعده عن مساره المرسوم في العالم ولا تكون نتيجة هذا الخروج والإبعاد إلا تمزقاً في الذات البشرية وانحرافاً عن طرائق تعاملها مع العالم ، ومن ثم تواجه شقاء ونكسة وانهياراً .

ومن هنا كانت دعوة الله تبارك وتعالى للإنسان لإعادته إلى فطرته التي فطره الله عليها وبعثه في طريقه المرسوم لكي يحيا ويسمم إسهاماً فاعلاً في إعمار الأرض التي ارتبط بها كمستخلف مسئول أمام الله تبارك وتعالى .

منهج القرآن

منهج القرآن هو الذي حرر الإنسانية من سذاجة التفسير الكنسى ، وجفاف المنشق العلمى .

فالوحى الإلهى يقدم الأسلوب والمنهج القائم على الفطرة والمستقبل لحاجات النفس والروح ، وليس هناك أسلوب غيره يمتحن هذه الهبة العظمى ، وقد خاطب القرآن الكينونة البشرية والروح الإنسانية الحية ، ولم يكن اللاهوت هو الشكل المناسب .

ولقد كانت معجزة القرآن : معجزة بيان وفكرو وذكر وأصالة (ميراث الأنبياء) وأكبر ما أعطى القرآن : الفكر والذكر (معرفة قدرة الله وإعطاؤها قدرها) والبيان . والارتفاع فوق طفولة البشرية بالنظرية الشاملة ذات الأبعاد التى ترتبط بالأزل والأبد ، والدنيا والآخرة وتستمد أول نقطة انتلاقها من الله تبارك وتعالى ثم تعود إليه بعد إتمام الجولة .
لقد وضع القرآن المسلم بين حدوده بما الوعيد .

المنهج القرآنى فى تناوله للنفس الإنسانية

اتبع الإسلام ثلاثة سبل في توجهه نحو الإنسان :

- ١ - صنف التصرفات الإنسانية إلى خيرة تعد فضائل (الصدق والصبر والإحسان) ، وإلى شريرة وتعتبر رذائل مثل : الخيانة والحسد والضغينة .
- ٢ - سن مجموعة من الأخبار والتشريعات وأتبعها بما يتناسب من كفارات وعقوبات ، إيماناً من الإسلام بأن النفس الإنسانية في حاجة إلى حواجز وضغوط ليضطرها إلى الطاعة .
- ٣ - دعا مع تأكيده على مبادئ العدل والحق إلى التحلى بفضائل الصبر والعفو والرحمة والتسامح ومراعاة كرامة الإنسان .



١ - يعتمد القرآن الكريم في التبليغ والإرشاد والإقناع على جميع مدارك الإنسان من عقل ووجدان وحواس .

ويسعى إلى التنسيق بينها بغية التوافق والتناغم فهو حين يستعمل كلمة (عقل) فهو يدمج فيها هذه المدارك بسبب تداخلها وتفاعل بعضها مع البعض الآخر .

٢ - يسابر الطبيعة الإنسانية في ماهي مجبرة عليه من خصال متقابلة كالحب والكره والخوف والرجاء والحسنة والعقوبة وغيرها فيستغل حركة هذه المشاعر للنفاذ إلى ذاتها واستشعارها فلا ينكرها ولا يكتب إدحاهما لفائدة الأخرى ، بل يستغلهما معًا ولكنه يوجهها الوجهة الصالحة لفائدة الإنسان في الدارين الدنيا والآخرة .

فالحب ينبغي أن يكون لما فيه الخير والحق والعدل وأكده لتفيض هذه القيم اللهم إلا إذا كان فيه خير واستسلام لأمر الله .

قال الله تعالى : « كُتب عليكم القتال وهو كُره لكم وعسى أن تكرهوا شيئاً وهو خير لكم وعسى أن تحبوا شيئاً وهو شر لكم » [سورة البقرة ، الآية : ٢١٦] .

والقرآن يجعل الإنسان يعيش بين الخوف والرجاء لما لهاتين الحالتين من تأثير على النفس التي تعرف بالرغبة في انتقاء العذاب والآلام وفي النفور من اليأس ومداخل ذلك يترك له الإسلام باب التوبة مفتوحًا للرجوع عن الغي والضلال .

قال الله تعالى : « فمن اتقى وأصلح فلا خوفٌ عليهم ولا هم يحزنون » .
[سورة الأعراف ، الآية : ٣٥]

★ ★ ★

والقرآن لا يحتقر الحسية ، لأنها تدخل في الطبيعة الحيوانية للإنسان ، بل يدعو إلى التوازن بينها وبين الروحية والمعنوية وعدم المغالاة في إدحاهما على حساب الأخرى .

قال تعالى : « وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا » .
[سورة القصص ، الآية : ٧٧]

٣ - يحرص على تقوية وتركيبة الأدوات التي من شأنها أن تعين النفس على الاستقامة ، فتدعوا إلى التفكير والتدريب على اكتشاف الحقائق .

قال تعالى : « كتاب أنزلناه إليك مبارك ليَدِبِروا آياته وليتذكروا ولو الألباب » .
[سورة ص الآية : ٢٩]

★ ★ ★

لقد انطلقت الثقافة الإسلامية بكل أصولها وفروعها من القرآن : تفسيراً ودراسة وتأليفاً وفهمًا مما حفل به الفكر الإسلامي من مذاهب ونظريات دينية ومذهبية وعقلية كلها كانت انطلاقاً من القرآن ورغبة في الوصول إلى الحقيقة .

وكان القانون (الفقه) في مقدمة ما استبطه المسلمون من القرآن .

ولو كان القانون الأول في الوطن الإسلامي والعربي وضعياً غير قرآنى لما طبع العقل العربي بالقانونية ؛ ذلك لأن المسلمين والعرب قاطبة كانوا ثروتهم الفكرية انطلاقاً من القرآن وحول القرآن .

أما قبل الإسلام ، فقد كان الفقه الروماني هو السائد في العالم طبعته عقلية السادة في مقابل العبيد ، والقوة في مقابل الضعف ، والحاكم في مقابل المحكوم .

القرآن الكريم والشريعة الإسلامية

تتميز الشريعة الإسلامية بالشمولية والمرونة مما جعلها صالحة للتطبيق على مناحي الحياة المختلفة ، وأن أحکامها تستوعب التطور وتلبي مستجدات العصر الحاضر ، وأنه يمكن الاستفادة من تجارب المدارس الفقهية المختلفة مما لا يتعارض مع الشريعة الإسلامية كما أن باب الاجتهاد يجب أن يظل مفتوحاً ضمن قواعده وأصوله ، وأن تشمل هذه الأسس على الشروط التي يجب توافرها فيمن يتولى الاجتهاد سواء أكان فرداً أم جماعة أم مؤسسة .

★ ★ ★

ولقد نظم القرآن الكريم العلاقة بين الناس ، فكان المصدر الأول للقانون والشريعة في المجتمع الإسلامي الذي أراد له أن يكون مجتمع المؤمنين المنظم على أساس القانون ، وليس على أساس الهوى ، ولم يكتف القرآن بالدعوة إلى الله تبارك وتعالى والخلق الكريم ، ولكنه وضع نظاماً كاملاً لهذه العلاقة بين الناس .

★ ★ ★

التغيير في الإسلام

(١) يكاد يكون التغيير في الإسلام جزءاً من الإيمان :

﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْيِرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ [الرعد ١١]

(٢) ويطلب التغيير التفتح على تجارب الغير وتكييف النظم مع قيم الإسلام ؛ ذلك أن نظرة الإسلام إلى الإنسان نظرة جامعة وتكريم لها بتناول الخير ويمتد إلى الفكر والروح وما إلى ذلك مما هو معروف أو قد تبرره حاجات وتطورات جديدة في المستقبل .

ومن حق الأجيال علينا أن نتعرف على مناهج وسياسات بدأت عندنا ، وتم اقتباسها من طرف الغير في فترة من الزمن ، ثم تم تطويرها وأعيد تصديرها إلينا بعدما تخلفت بنا الذاكرة ، فأصبحنا ننظر إلى الغير مبهورين فعمدنا إلى التقليد والمحاكاة دون انتباه إلى الفهم يجب أن يسبق الفعل وعزفنا عن ضبط الغايات فغدرونا نستعمل الوسائل لغير ما أعددت له ومن هنا فإن الدول الإسلامية مطالبة بالعمل على إصلاح الخلل الذي جاء به التطور الحاصل في النظم التي كانت سائدة قبل الانفتاح على الحضارة الغربية ، والذي أنتج عدداً من الآثار السلبية المتناقضة مع الأهداف العامة التي وضعها الإسلام للتطور الاقتصادي والاجتماعي والسياسي .

★ ★ ★

الباب الثاني نظام الإسلام

أقر فريق من كُتاب الغرب بالرغم من عدم إيمانهم بالإسلام بأن الخطاب القرآني يحتوى على أصول اجتماعية صالحة للأخذ بها في كل زمان ومكان .

كما اعترف هانونو بإشعاع الإسلام في العالم كله - بما فيه المستعمرات الفرنسية والبريطانية - بوصفه ديناً توحيدياً يُؤاخى بين المسلمين مهما تباعدت أقطارهم واحتللت شواقلهم وهمومهم المحلية .

رفض النظام الإسلامي الأنظمة السياسية السابقة ، ووجه هجومه إلى النظام القيصري والكسروي ، وأعلن أنه لا ملك إلا لله تعالى ، وقد اشتد غضب الله على رجل يسمى ملك الملوك .

أكسروية هي أم هرقلية ؟

ما هو الفرق بين نظام الإسلام والنظم السابقة يسأل عمر بن الخطاب سلمان الفارسي - رضي الله عنهما - الذي عرف الملك الكسروي وعاش في بيته : أملك أنا أم خليفة ؟ فيقول له سلمان : إن أنت جئت من أرض المسلمين درهماً أو أقل أو أكثر ثم وضعته في غير حقه فأنت ملك غير خليفة .

ال الخليفة لا يأخذ إلا حقاً ولا يضعه إلا في حق ، فإذا فعلت فأنت عند الله خليفة (طبقات ابن سعد ج ٣) ، وكذلك رفض الإسلام نظام كسرى وقيصر وفرعون ، ورفض عقيدة الحق الإلهي التي كان الملوك يحكمون بها ورفض النظام الطبقي الثابت : الطبقة لا تخرج عن حدودها فالعبيد هم العبيد .

هذه القيصرية الرومانية البيزنطية ، والكسروية الفارسية ، والفرعونية المصرية القديمة ، التي تقول بأن ذات الإمبراطور مقدسة إلهية فوق مستوى البشر فهو في نظر رعيته إليها لا يقترب الفرد من حضرته إلا ساجداً ؛ لذا كانت الدولة الإسلامية غير ذلك . أخرج قادتها الخلافة من بيت النبوة حتى لا تجتمع النبوة والخلافة في شخص واحد ولا في بيت واحد . كما أن النظام الطبقي ليس عمادها .

وعندما بلغ أهل اليمن والبحرين وعمان نبأ اختيار الرسول ﷺ للرفيق الأعلى سأّلوا عن نظام الحكم ، وعن الرجل الذي ولّى السلطة في المدينة ، وقالوا لعمال رسول الله ﷺ : هذا الذي بايّعه الناس بعد رسول الله : ابنه أمّ أخوه فقيل لهم : لا . قالوا : فأقرب الناس منه ؟ قيل فما شأنهم ؟ ، قيل اختاروا أخيرهم فأمروه عليهم . قالوا : لن يزالوا بخير ما صنعوا هذا . (القاضى عبد الجبار فى ثبّيت دلائل النبوة) .

★ ★ *

حقوق الإنسان في الإسلام : الفرد والجامعة والمجتمع والحضارة .

كيف رسم الإسلام حقوق الإنسان ومسئولياته ؟ .

كيف أخرج الإسلام الإنسان من العبودية التي كانت ظاهرة طبيعية لإمبراطوريات اليونان والروماني والفرس والفراعنة ، كانت (العبودية) أساس هذه الحضارات بينما ألغى الإسلام الرق .

قال القاضى عبد الجبار : إن المسيحية عندما دخلت روما لم تنتصر روما ، ولكن المسيحية هي التي ترومت .

٢ - أشار القرآن إلى الإرادة الحرة للإنسان في ثلاثة وستين موضعًا .

٣ - حدود الإسلام ليست حلولاً للمشاكل بقدر ما هي وقاية من المشاكل .

٤ - قال عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - في خطابه إلى القاضى المسلم .

لا يمنعك قضاء قضيته بالأمس هديت فيه إلى رشك أن ترجع فيه إلى الحق ، فإن الحق قديم والرجوع إلى الحق خير من التمادى في الباطل .

إن النظام الإسلامي هو المنطلق الحقيقى لبناء المشروع الحضارى الإسلامي بقاعدته العريضة من خلال فروعه الثلاثة :

(١) الشورى .

(٢) العدل الاجتماعى .

(٣) الحدود والضوابط .

وهذه القيم الأساسية هي وحدتها التي تمكن المجتمع الإسلامي من التماهى المفضى إلى الوحدة الإسلامية الجامعة حيث تتسع دائرة (التشابه) وتمتد بمفهوم (

التعارف) الإسلامي بحيث تلتقي كل العناصر والأقطار والقوميات حيث يصور الوطن الإسلامي وحدة كاملة في مجال الاقتصاد والثروة والقوى العاملة والأرض الزراعية ومعطيات البترول والمنجنيز والكوبالت ، وليس هناك طريق آخر لبناء المشروع الحضاري غير إقامة التصور السياسي والاقتصادي والاجتماعي على أساس منهج الإسلام نفسه وليس على واقع المجتمعات القائمة اليوم حيث تجري المحاولة لوضع قضية الديمقراطية بدليلاً عن تطبيق الشريعة أو اعتبارها - أى الديمقراطية) مرتكزاً أساسياً للمشروع الحضاري الإسلامي ، إذ أن الديمقراطية الغربية ، لا يمكن أن تكون هي قاعدة النظام فنحن نعرف الديمقراطية منذ جاءت من الغرب وكيف أنها عجزت عن تحقيق أى عدل اجتماعي أو شوري حقيقي ، وإنما هي في واقع الأمر بصورتها الحالية منطلق أو مدخل لتحقيق التصور الإسلامي .

أما ما يقال عن أن تطبيق الشريعة يتم في نهاية المطاف إذا قدر له ، فذلك هو ما ينطلق من أهواء الذين يرمون إلى قيام مشروع حضاري إسلامي ترضي عنه القوى المعارضة للنظام الإسلامي أساساً .

ونحن نعرف أن هؤلاء يرغبون في قص أجنحة الصحوة الإسلامية بالقضاء على المعالم الحاسمة في المشروع الإسلامي .

وفي مقدمتها : الوحدة الإسلامية ، وتطبيق الشريعة والنظام النيابي والشورى الملزمة وإقامة المشروع الحضاري الإسلامي على غير الأساس الذي قام عليه الإسلام في منابعه ومصادره الأولى .

ويجب أن يكون واضحاً أن الشوري الإسلامي ليست هي الديمقراطية ، وأن العدل الاجتماعي ليس هو الاشتراكية كما يدعى بعض الكتاب الذين يحاولون (التمويه) على الشباب المسلم ، ولكن واعين تماماً إلى حقيقة أساسية وهي :

أن الفكر الليبرالي الغربي قد أثبت منذ سنوات عديدة حين طبق في البلاد العربية والإسلامية أنه فاشل تماماً وتأكد عجزه عن العطاء ، وكذلك كان الأمر بالنسبة للنظام الماركسي الاشتراكي .

ولقد أكدت الأحداث هذه الحقائق حين ظهر في السنوات الأخيرة فشل الفكر الماركسي في بلاده بعد سبعين سنة من التطبيق ، وانهارت الدعائم الماركسيّة الليينية وسقطت تماثيل ماركس ولينين وستالين في مختلف عواصم الغرب اليساري .

وكذلك تأكيد من أزمة الخليج عجز الفكر القومي بصورته الحالية عن العطاء وتكشفت حقائق كثيرة تؤكد انهيار هذه الدعوات ، وأن الطريق مفتوح أمام النظام الإسلامي .

★ ★ ★

يقول (هـ ج والر) :

لقد ساد الإسلام ؛ لأنه كان أفضل نظام اجتماعي سياسي يمكن أن ينتجه الزمن ، وقويت شوكته ، وعلت كلمته ؛ لأنه عندما جاء صادف شعوراً مسترققاً مستباحة مضطهدة جاهلية مشتتة الصنوف ، جاء فكان أكثر الأفكار السياسية رجاحة وحداثة وصفاء وطهراً ، يظهر فوق أرض الواقع في ذلك العالم ، والإسلام حافل بروح العطف والشهامة والأخوة ، وهو دين الفطرة ، بسيط سائع الفهم وقد بقى القرآن عبر أربعة عشر قرناً من عمر الزمن بغير تبديل وبغير إمكانية لمثل هذا التبديل ، أصبح موضوعاً لآلاف التفسيرات والتعليقات وسجلت كلماته في ذاكرة ملايين من البشر .

وهو أهم كتاب في التشريع في تاريخ الإنسانية على الإطلاق ، فكل تشريع من صنع إنسان إلا القرآن فهو كتاب الله وكلامه المنزل المحكم . ١ هـ .

★ ★ ★

مقاصد الشريعة :

يتحدث العلامة اعلال الفاسي عن مقاصد الشريعة كما أرادها الله تبارك وتعالى : هي عمارة الأرض وحفظ نظام التعايش فيها واستمرار صلاحها بعلاج المستخلفين فيها وقيامهم بما كلفوا به من عدل واستقامة ومن صلاح في العقل وفي العمل وإصلاح في الأرض واستبانت لخيراتها وتدبير المنافع للجميع .

★ ★ ★

ولما كان الإنسان مستخلفاً في الأرض ومكرماً ومفضلاً على المخلوقات الأخرى ولكنه في مقابل هذا التكريم وهذا الامتياز مكلف ومبتلٍ ومطوق بالمسؤولية وسيحاسب عليها يوم القيمة .

ومن بين ما استعمله الإسلام في توجيه الإنسان وتقويمه مجموعة من التشريعات التي تشكل حجر الزاوية بالنسبة للشريعة بكاملها .

(١) هدف الشريعة تحقيق مصالح العباد .

(٢) تنظيم العلاقات بين الإنسان والله تبارك وتعالى الخالق المشرع وبين الإنسان والإنسان وبينه الطبيعية .

(٣) الأحكام بها المباح والمحرم والإباحة هي الأصل وكل ما لم يحرم فهو مباح ، ومنها المفروض والممنوع ، ومنها المستحب والمكره .

★ ★ ★

[الأحكام التشريعية التي شرعها الحق تبارك وتعالى لتعيين الإنسان على نفسه وببيته] :

١ - انسجامها مع طاقة الإنسان فلا يطالب الإنسان إلا بما يطيقه قال تعالى : « لا يكلف الله نفساً إلا وسعها » [سورة البقرة ، الآية ٢٨٦] .

ولا يجعله مسؤولاً إلا على ما اقترفه هو فلا يتحمل وزره غيره .

٢ - المرونة في التطبيق والميل إلى التيسير « يسروا ولا تعسروا » ^(١) .

« وما جعل عليكم في الدين من حرج » [سورة الحج ، الآية ٧٨] .

وفي نطاق المرونة تجد الشريعة تميل إلى التوسط والاعتدال .

قال تعالى : « ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها كلَّ البسط » .

[سورة الإسراء ، الآية ٢٩]

٣ - الحل هو الأصل في الأحكام وليس الحرمة فكل ما لم تتأكد حرمته فهو حلال . قال تعالى :

« قل إنما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن » [سورة الأعراف ، الآية ٣٣] .

لقد دعى الإنسان إلى اللجوء إلى الصبر إذا وجد الباب المسدود ووضع ثقته في الله تبارك وتعالى : « ومن يتوكَّل على الله فهو حسْبُه » [سورة الطلاق ، الآية ٣] .

وتعويض العجز عن اتخاذ الموقف بالعبادة فيفتح الله له أبواباً لم يكن يتوقعها .

قال تعالى : « ومن يتق الله يجعل له مخرجاً * ويرزقه من حيث لا يحتسب » .

[سورة الطلاق ، الآيات ٢ ، ٣]

(١) أخرجه البخاري (١٥٠/١)

(العقيدة والشريعة ومجموعة القيم والنظم) وكلها تشكل وحدة منسجمة متكاملة الأطراف يخاطب بها الإنسان ليقوم بها سلوكه ، ويُخضع لها مكونات كيانه من حواس وعقل ووجدان ومدارك فكرية وشعورية الظاهرة فيها والباطنة . فقد زوده الله تبارك وتعالى بالفطرة والغراائز والمشاعر العملية والعقلية .

يشكل الإسلام منظومة متماسكة الأجزاء تشمل العقيدة والشريعة ومجموعة من القيم والنظم وتشكل جميع هذه العناصر وحدة منسجمة متكاملة الأطراف يخاطب بها الإنسان ليقوم بها سلوكه ويحفظ بها كرامته ومصالحه فيما جاء في كتاب الشاطبي في كتاب «الاعتصام».

* النظر إلى الإنسان ككل - أي بجماع مكونات كيانه من حواس وعقل وجودان . وقد اتخذ الإسلام في مواجهة الإنسان (بجماع كيانه) منهجاً عاماً ومنهجاً في التشريع ومنهجاً في التبليغ . وجعل هذه المناهج مقتنة ببعضها متلازمة تمتد على حياة الإنسان بكاملها من حيث الامتداد .

خصائص النظام الإسلامي :

ليس النظام الإسلامي نظاماً أرثوغرابياً أو نظاماً كهنوتيّاً أو نظاماً ديمقراطياً .
ذلك أن الإسلام لا يمنع السلطة أو السيادة إلى طبقة معينة أو حزب أو فئة من الناس
ولا يمنحها أيضاً للشعب ؛ لأن السيادة في الإسلام ممثلة في الله تبارك وتعالى فهو السلطة
العليا في الإسلام .

- وأن مفهوم الإسلام للقومية يختلف عن المفهوم الحديث لها حيث يبقى الإسلام التميز بين الشعوب على أساس العرق أو اللون أو اللغة أو الشكل .

أما الخلافة فمهما جعل الجماهير تفكّر حسبما تتطلّبه بصيرتهم الدينية في مصالحهم الدينية والأخروية .

- الحكومة الإسلامية حكومة دستورية بكونها مقيدة بالقانون الأعلى وهو الشريعة الإسلامية .

وترتيباً على ذلك فإن أعضاء الحكومة ملزمون بعدم الخروج على ذلك .
وذلك بالإضافة إلى بقية رغبات رعاياهم استناداً إلى حديث الرسول ﷺ (كلكم راع ^(١) وكلكم مسئول عن رعيته) .

المشاركة السياسية في النظام الإسلامي :

هو النظر في صيغة الحكومة الإسلامية في ظل النظام الإسلامي و يتمحور الحديث عن المشاركة السياسية في النظام الإسلامي حول مبدأ الشورى ، وهو عملية استطلاع رأى أفراد الأمة في الدولة الإسلامية ، وفي الأمور العامة .

السياسة الاقتصادية :

مصادر الدخل في الدولة الإسلامية والتي تتمثل في الزكاة بشروطها التي أقرتها الشريعة إضافة إلى الجزية والخراج وضرية الركاز والاستثمار .

السياسة الاجتماعية للنظام الإسلامي :

من خلال شمولية الإسلام لجميع نواحي الحياة . والتركيز على قضية المرأة لدحض الافتراضات التي دست في الفكر الإسلامي (حسن حسان العلکيم) .

★ ★ ★

(١) أخرجه البخاري (٢ / ٣١٧) ، ومسلم (١٨٢٩) .

الباب الأول الشريعة الإسلامية

تقدّم الشريعة الإسلامية تصوّراً كاملاً للحياة الإسلامية الكاملة قولاًً وعملاً ، فلا تترك جزءاً من الحياة لان تنظمها الشريعة ، فالشريعة نظام جامع للحياة كلها . وتميز الشريعة الإسلامية بالشمولية والمرونة مما يجعلها صالحة للتطبيق في مناحي الحياة المختلفة .

وقد جعل الحق تبارك وتعالى أحكامها مرنّة تستوعب التطور وتلبي مستجدات العصر الحاضر ، وأنه يمكن الاستفادة من تجارب المدارس الفقهية الأخرى فيما لا يتعارض مع الشريعة الإسلامية .

كما أن باب الاجتهداد يجب أن يظل مفتوحاً ضمن قواعده وأصوله ، وأن تشتمل هذه الأسس على الشروط التي يجب توافرها فيمن يتولى الاجتهداد سواءً أكان فرداً أم جماعةً أم مؤسسة . ولما نزل القرآن الكريم لم يكتف بالدعوة إلى الله تبارك وتعالى وإلى الخلق الكريم ، ولكنه نظم العلاقة بين الناس ، فكان المصدر الأول للقانون والشريعة في المجتمع الإسلامي الذي أراد له أن يكون مجتمع المؤمنين المنظم على أسس القانون وليس على أساس الغواية والهوى .

★ ★ ★

إن أبرز ما يمثل التشريع الإسلامي : الالتزام الخلقي وعندما يلتزم المرء أخلاقياً ، فإن الرقيب هو الضمير وعندما يلتزم الفرد قانونياً ، فإن الرقيب هو السلطة وشسان بينهما . قال ستيلاتا : إن الفكر الإسلامي في مجال الأخلاق ترك تأثيراً على القانون الدولي بشكل عام ، وعلى القانون التجارى والتجارة بشكل خاص .

★ ★ ★

ويتمثل التشريع الإسلامي في زيادته لكثير من المعرفات التي بات يعرفها القانون الدولي المعاصر ، ومنها قوانين الحرب والمعاهدات .

ويقوم القانون الإسلامي على التسليم المطلق بإرادة الله تبارك وتعالى ، فليست الشريعة هي مجرد القانون الإسلامي ، بل هي أوسع وأشمل بكثير ، إذ هي تنفذ عميقاً إلى حيث الفكر والسلوك والكسب بأكثر مما يطمع أى نظام قانوني بحث من الوصول إليه . فالشريعة ترسى أسس علاقة الفرد بالجماعة والكون وبالخلق سبحانه وتعالى .

وتعاليم الإسلام وممارسته لا يمكن أن تنفذ بمعزل عن الأخلاق ويتم تجسيده هذه القيم الأخلاقية في مواد الشريعة ، وأن ترجم الأخلاق إلى قانون فيضمن لها الاستمرار والتكافل .

الشريعة بماذا تفضل القانون ؟

أولاً : مراعاة الشريعة لطبع البشر وفطernهم ؛ لأن الذى أنزلها هو الذى خلق الخلق ، وهو أعلم بما يصلحهم .

ومن هنا نرى اشتتمالها على مبادئ الرحمة والرأفة . ويسيرها على مبادئ المساواة بين الناس بغض النظر على أجناسهم .

ثانياً: تعتمد في تطبيقها على تنمية الوعي في نفوسهم وإشعارهم بمراقبة الله لهم؛ ولذلك فإنهم يسارعون إلى تطبيقها على أنها عبادة الله تبارك وتعالى.

ثالثاً : الجزاء في الشريعة دنيوي وأخروي ، ومن فاته نصيبه في الدنيا فلا يفوته في الآخرة ، ولذلك فهي تبعث على الرضا والاطمئنان .

رابعاً : لها صفة الشمول والبقاء لما يتضمن أصولها من عناصر الخلود والبقاء بما يمكن لها من استيعاب كل المشاكل ووضع كل الحلول .

خامساً : عملت الشريعة على منع الجريمة قبل وقوعها عملاً بمبدأ الوقاية خيراً من العلاج فأحاطت المسلم من جميع نواحيه بمحضون منيعة وتصونه من الانزلاق إلى مهابي الرذيلة والاتجاه نحو الانحراف وقد نهج الإسلام في تحقيق ذلك إلى عدة طرق :

١- منها التربية السليمة والعبادات التي لها أكبر الأثر في تطهير النفس وتصفية الروح ووقايتها من الوقوع في المعاصي والآثام .

٢ - نهى الشريعة عن ارتكاب المحرمات منذرة بسوء العاقبة التي يتربى فيها مرتكبو الجرائم .

٣ - سدت الطرق الموصلة إلى المحرمات فحرمت الزنا وسدت الطرق التي من شأنها أن تثير الشهوة أو تحرك العواطف الجنسية ، فأمرت بالاستعذان وغض البصر وتستر المرأة وعدم الخلوة بالمرأة .

٤ - أوجبت الشريعة على المسلمين التعاون على البر والتقوى ، والتواصي بالحق والصبر ومحاربة الإثم والعدوان والشر والفساد .

★ ★ ★

أثبتت العلم تفوق الشريعة الإسلامية على القانون الوضعي ، في العلاقات الإنسانية وفي مسألة المرأة ، كما أعلن الإسلام أن للضعفاء حقاً في كسب الإنسان اليومي ، ولهذا صدر قانون الزكاة .

الدعوة إلى الاجتهد

الدعوة إلى الاجتهد باعتباره مصدراً أساسياً من مصادر التشريع الإسلامي نظراً للتغيرات الكبرى التي يشهدها عالم اليوم في شتى المجالات وتسربها إلى المجتمع الإسلامي

على امتداد رقعته واختلاف أجناسه دون أن يستطيع لها ذكرأً وبسبب تفتحه على مذاهب شتى ، وما يحمله من قيم جديدة تجرف معها العديد من المشاكل التي تتطلب الحلول الملائمة .

المطلوب اليوم من العلماء أن يعودوا إلى مناهل الإسلام فيفتحوا منافذ من نوره على حياة المسلمين ، وأن يبعثوا روح الدين حية نابضة حتى لا يبقى في هذا الانعزal الخطير .

★ ★ ★

إن الظروف التي أدت إلى سد باب الاجتهد وقتية ، وهي أن الدولة الإسلامية انقسمت في القرن الرابع الهجري إلى دويلات وممالك أضعضعت الأمة الإسلامية ، وقطع الروابط السياسية فيما بينها ، فكان من جراء ذلك ضعف الاستقلال الفكري .

وقد نادى ذلك بالدعوة إلى سد باب الاجتهد ومنعأً من لوج أناس فيه ليسوا أهلاً للاجتهد والاستباط ، وهذه مرحلة انتهت ، ولما كان الاجتهد هو حركة العقل الإنساني

المستنير القادر على التطور بتطور الأحداث وابتكار الأحكام الملائمة للظروف إذا استند إلى كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ومبادئ الإسلام العامة .

وكانت الحاجة إلى الاجتهاد في التشريع الإسلامي قد اشتلت منذ نهاية القرن الميلادي الماضي ، وعلى مدى هذا القرن مضت الدعوة السلفية على يد جمال الدين الأفغاني - محمد عبده - رشيد رضا ، وكان لسقوط العالم في قبضة الاستعمار الغربي ، ومحاولاته الأخيرة تطبيق تشريعاته في الأقطار الإسلامية ، وظهور مذاهب سياسية واجتماعية وأيديولوجيات جديدة وحركات العلمانية ، كان لذلك أثر بعيد في التشبت بالهوية الإسلامية ، والدعوة إلى الإصلاح والاجتهاد والتجدد .

★ ★ ★

وكان الإسلام عن طريق علمائه وفقهائه قد قدم عدداً من العلوم الأساسية قبل ترجمة الفكر اليوناني والتأثر به .

في مقدمة ذلك : (١) علم أصول الفقه (الشافعى) .

(٢) علم أصول الحديث .

(٣) العلاقات الدولية (للشيباني) .

ويعبر علم أصول الفقه عن روح الحضارة الإسلامية ، فهو يدرس منهج البحث العلمي بوجه عام ، والبحث الفقهي بوجه خاص ، وقد سبق المسلمين بهذا العلم كل فقهاء القانون في العالم ، فلم يعن هؤلاء الفقهاء بالتأليف في أصول القانون إلا منذ نحو قرنين ، على حين عرف فقهاء الإسلام قواعد وأصول الاجتهاد واستنباط الأحكام منذ فجر الدعوة .

وكان أول كتاب في الأصول صحت نسبته إلى مؤلفه ووصل إلينا هو « الرسالة » للإمام الشافعى فضمنه المبادئ الأساسية التي ينبغي أن يأخذ بها المجتهد في الكشف عن أحكام الله في أفعال عباده .

وكان المسلمون هم الرواد في مجال تأصيل مناهج البحث العلمي ، وأن علماء القانون على تعمقهم في البحث ووضع النظريات القانونية لم يبلغوا ما بلغ إليه فقهاء الإسلام من الاستيعاب والعمق .

ومن ذلك : الرسالة للشافعى .

الأحكام لابن حزم .
البرهان للجويني .
المستصفى للغزالى .
الموافقات للشاطبى .

ميزان الأصول فى نتاج العقول للسمرقندى .

المنحول فى تعلیقات الأصول للغزالى .
المحصلول فى علم أصول الفقه لفخر الدين الرازى .

★ ★ ★

قواعد الاجتهداد :

ولقد وضع علماء المسلمين قواعد عامة للاجتهداد منها :

- (١) الاجتهداد ليس بباباً مفتوحاً لكل من هب ودب ولا بد للمجتهد أن يكون على معرفة تامة بالكتاب والسنّة واللغة العربية ومقاصد الشريعة وأصول الفقه ومعرفة الناس والحياة .
- (٢) الأمور التي قطع فيها التشريع بحكم لا ينبغي أن يكون موضعًا للاجتهداد .
- (٣) لا بد أن نفسح صدورنا للمجتهد حتى وإن أخطأ ، فهو ليس معصوماً .
- (٤) أن الاجتهداد فريضة وضرورة : فريضة من الوجهة الشرعية ، وضرورة من الناحية الواقعية .

يقول الشيخ يوسف القرضاوى : نحن الآن في حاجة إلى نوعين من الاجتهدادات : أحدهما اجتهداد ترجيحي انتقائى والآخر إبداعى وإنشائى .
الترجيحي الانتقائى أن عندنا ثروة هائلة من المدارس الفقهية المختلفة : أين موقفنا منها وقد تكون متعارضة في بعض الأمور ؟

يقولون : الإسلام يوجب الزكاة على الزراع الفقراء : زراع القمح والشعير ، وبعض الإقطاعيين الكبار لأنهم أخذوا بمذهب الشافعى ونسوا مذهب أبي حنيفة .
النوع الثانى : الاجتهداد الذى يتطلبه العصر وهو مانسميه الاجتهداد الإبداعى الإنمائى .

ما يتعلق بالمشاكل الجديدة في عصرنا التي لم يعرفها السابقون وربما عرفوها ، ولكن بكم ضئيل في مجال المال والاقتصاد ، حدثت شركات لم يكن لها وجود من قبل : شركات المساهمة والتضامن والتأمين والشركات القابضة والمصارف والبنوك ، وخطابات الضمان والاعتمادات المستندية كل هذه تحتاج من العلماء أن يدرسوا ، وقد يجدون في فقه السلف ما يعاونهم ولكن لاشك أن كثيراً منهم لم يعرض على السلف ، كذلك أمور الطب لزرع الأعضاء ، وهل يمكن أن ينقل عضو من كافر لمسلم أو من حيوان كالخنزير للإنسان .

لابد أن نجتهد لعصرنا كما اجتهد فقهاؤهم لعصرهم .

أهمية الاجتهد في الفكر الإسلامي

قواعد وأصوله وأثره في استنباط الأحكام :

يقول أحد الباحثين : إن الاجتهد الذى استحسنه الرسول ﷺ يفرض على الأمة الإسلامية أن تستمر في العمل به ، وإن أهميته في الفكر الإسلامي تكمن في كونه وضع أنس ظاهرة إنسانية ، هي ظاهرة استعمال الفكر للوصول إلى الغايات ، وأن المشاورة هي صنف من أصناف الجهاد .

إن الجهاد في اللغة مأخوذ من الجهد الذي يعني بذل الجهد والواسع والطاقة مشيراً إلى أن الاجتهد يرتبط بقواعد اجتماعية وشرعية ويكون بالتالي متصلةً بالعقيدة أو القواعد الوضعية وأن الإسلام اعتبره من لوازم الأمانة التي يعبر بها الإنسان عن إنسانيته ؛ لأنه يشكل سبيلاً للالقناع والاطمئنان واليقين مستشهاداً على ذلك بآيات قرآنية في كتاب الله العزيز .

وأكيد أن أوسع مجالات الاجتهد في الفكر الإسلامي هي مال ميرد لا في السنة ولا في الكتاب مذكراً بالدور الذي قام به الخليفة عمر بن الخطاب - رضى الله عنه - الذي لم يقر مبدأ الاجتهد فقط بل تعداده إلى نطاق البحث وكذا يدور لبعض الأئمة وعلى رأسهم الإمام الشاطبي الذي اجتهد في إطار نظرية (المقاصد) مبرراً بأن أعماله ظلت منسية بسبب مالقيه من معارضة إلى أن أثارها من جديد في المشرق الشيخ محمد عبده أحد رواد الحركة السلفية وأخذ بنظرية الشاطبي ومن ثمة اعتمادها بعض علماء المغرب

العربي أمثال الظاهر ابن عاشور وعال الفاسي وغيرهم من الذين كتبوا واجتهدوا ، وقد حصر الباحث الشروط التي تؤهل الباحث ليكون مجتهداً في العلم باللغة العربية وأسراها وحصول الملكة فيها ومن العلم بكتاب الله تبارك وتعالى وأحكامه وتشريعاته والناسخ والمنسوخ ، وفي العلم بالسنة ونصوصها ، ومعرفة الرواية ثم في العلم بأصول الفقه .

إن الاجتهاد في الفكر الإسلامي أدى إلى تعميق الشريعة الإسلامية والدين الإسلامي بصفة عامة وأن تأثيره كان واضحًا وفي الفكر القانوني الحديث وهو ما تجلى في تبني هذا الفكر لعدة نظريات جاء بها الاجتهاد الفقهي كنظرية التعسف في استعمال الحق ونظرية دورة القانون المستمددة من مبدأ الشرعية في كل أعمال الدولة ونظرية المصلحة والتعليل . وهنا تبدو ضرورة التعامل مع الاجتهاد الإسلامي لا كمجموعه من الأحكام فقط ولكن كمنهج للبحث العلمي ، ودعا إلى الاستمرار في استعمال الاجتهاد لأن الإسلام يركز على الاجتهاد ، لأن التوقف عنه يعني التدهور والانحطاط بالنسبة للأمم . (دكتور سعيد بن البشير) .

★★★

شمولية الشريعة واستجابة أحكامها وقواعدها للتطور الحضاري المعاصر

يقول الدكتور / عبد الجبار : الشريعة الإسلامية نظام دين ودنيا فقد شملت الشريعة الغراء حياة الفرد المجتمع في شتى العلاقات والجوانب ، وجاء الوحي إلى الرسول - عليه الصلاة والسلام - يقول الله تبارك وتعالى : « وأن هذا صراطٌ مسْتَقِيمٌ فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُرَ فَتَفَرَّقُ بَكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ » [سورة الأنعام ، الآية: 153] .

أخذ المسلمين في تطوير هذا التشريع خلال القرون الثقافية بحيث أصبح بناء منظماً لكل أنواع العلاقات بين الناس وقد نظمت الشريعة الغراء علاقة الفرد بخالقه سبحانه وعلاقته ببقية البشر ، من هنا جاءت الكلمة: أن الإسلام دين ودنيا . لم ينظم الإسلام علاقة الفرد بربه وخالقه فقط ، ولم ينظم علاقاته بالناس فقط ، بل نظم الاثنين وعلى أكمل وجه حيث تم التوازن بينهما ، ووضعت الشريعة القواعد المهمة إلى الأصول للاعتقاد والتعامل إيماناً بأن : (الشريعة إلهية بمصادرها وأحكامها)

ولها قوتها الملزمة مستمددة من فكرة الشواب والعقاب في الحياة الدنيا والآخرة ،

فالمؤمن مراقب من الله تبارك وتعالى ومثاب ومعاقب على أفعاله وأقواله .
فهناك جزاء في الدنيا وأخر في الآخرة .

فالالتزام المؤمن بأحكام الشريعة نابع عن الافتئاع والإيمان بالله سبحانه وتعالى ،
وعلى العكس من ذلك نرى القوانين الوضعية تقنن العقاب والجزاء الدنيوي فقط ،
وغاية ما يطمح الإنسان تحت ظلها ، وأن يكف عن الشر خشية العقوبة ، وإن سُنحت له
الفرصة تحايل وارتكب ما يحلو له من الآثم .

★ ★ ★

أما صفتها الجامعة فقد نظرت الشريعة الغراء إلى الفرد والجماعة على سواء واعتبرت
أن مصلحة الفرد هي من مصلحة الجماعة لأن الفرد لبنة في البناء الاجتماعي ، والنظرة
الجماعية هذه ملموسة في أحكام العبادات والمعاملات ، فحق الفرد مصان ومحفوظ
لصاحبه ، وله استعماله واستغلاله وحمايته من اعتداء الغير بشرط ألا يضر ذلك بالفker .
فالقاعدة كما قال عليه الصلاة والسلام : « لا ضرر ولا ضرار »^(١) . والنتيجة أن الحق
غير مطلق .

وهناك أمثلة كثيرة في أحكام الشريعة لتقيد حق الفرد صوناً لمصلحة الجماعة ،
وعند التعارض تقدم مصلحة الجماعة على مصلحة الفرد .

والأمثلة على ذلك كثيرة منها : النهي عن بيع الفرد على بيع أخيه ، وأن يخطب
على خطبته ، وتقرر حق الشفعة ، وهو حق تملك العقار المبيع .

الشريعة : مرونتها وقابليتها للتطبيق وهذه الخاصية للشريعة تظهر أحكام المعاملات
فقد وضع وشرعت هذه الأحكام بشكل قواعد عامة ومبادئ شاملة ، وترك للمجتهد
 مهمة استخلاص التفاصيل أو الأحكام الجزئية منها ؛ ولذلك فقد ضمنت المرونة والقابلية
للتطور حسب الواقع وأصبحت أحكام الشريعة صالحة لكل زمان ومكان في ضوء وإطار
الأصول والقواعد الكلية .

فالتشريع الإسلامي هو مجموعة الأوامر والنواهى التي شرعها الله سبحانه وتعالى لعباده
على يد الرسول ﷺ إلا أنه يمتاز بشموله وعمومه وصلاحته لجميع الناس .

(١) رواه ابن ماجه (٢٣٤٠) .

لأن الإسلام خاتم الأديان ورسالته عامة وهو شامل لتكوين الفرد وتوضيح علاقاته مع خالقه وعلاقاته مع غيره من الأفراد وهو شامل أيضاً؛ لأنه يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ، ولذلك بيان للخير والبعد عن الشر ، ولذلك كان الانقياد إلى الشرع طاعة لها ثواب أخرى وصلاح دينوى .

★ ★ ★

وهو تشريع إلهى من عند الله العليم الحكيم ، فقد اختار العباد ما يضمن لهم دوام الإصلاح ؛ لهذا كانت الأحكام الفقهية عامة عالجت أفعال العباد ، وكان للنية أهمية في الثواب والعقاب .

وكان لأحكام العبادات تأثير عام على الفرد والمجتمع نظراً لأن العبادة مطهرة للنفوس مركبة للقلوب للخشية من الله ومراقبته في السر والعلن .

كما أن الشريعة تلزم الفرد في جميع أطوار حياته منذ كان جنيناً في بطن أمه ، تربت له حقوقاً ، وبعد ولادته خلال فترة الإرضاع والحضانة ، ثم يصبح صبياً يعلم مكارم الأخلاق والعبادات ثم يصير شاباً له حقوق وعليه واجبات إلى أن يصبح كهلاً .

★ ★ ★

والشريعة دين ودنيا ، أو دين وقانون ، والجزاء فيها يشمل الشواب عند الطاعة كما يشمل العقاب .

وفي هذا النص الأخير يظهر صفة الالتزام بما ينطوى عليه من معنى الأجر والجزاء الأخرى ، أو جزاء دينوى تتولاه السلطة العامة للدولة .

فإذا نفذ هذا الجزاء الدينوى سقط الجزاء الأخرى ، وإذا تاب العبد توبة نصوحاً سقطت عنه العقوبة في الدنيا والآخرة برحمة الله .

★ ★ ★

ويظل الجزاء الأخرى قائماً على كل مخالفة لم يقع في شأنها جزاء دينوى ، وللجزاء في الشريعة صور مختلفة كما هو الشأن في القانون الوضعي ، والعقوبات في الشريعة هي الحدود والقصاص والدية والكفاره والحرمان من الميراث والتعزيرات .

فالحد عقوبة قدرها الشارع لا زيادة فيها ولا نقصان والحدود ستة (القتل في الردة ،

والرجم ، والجلد مائة في الزنا ، وقطع اليد في السرقة والجلد ثمانين في القذف والجلد ثمانين في الشرب ، وحد قطع الطريق أو الحرابة) .

وهذا الأخير هو قطع يد قاطع الطريق ورجله من خلاف ، ثم إن أخذ المال ولم يقتل ، ومثله إن قتل ولم يأخذ المال وأخيراً النفي .

أما القصاص فهو عقوبة مساوية للجريمة ولعكس هذا حق العبد كما ورد في سورة المائدة (الآية ٤٥) .

« وكتبنا عليهم فيها أن النفس بالنفس » إلى قوله تعالى : « والجرح قصاص » ويسقط القصاص بالعفو من ولد الدم أو الصلح على الديه ، أما الديه فهى عقوبة مالية ، وهى تجب بدلاً من القصاص إذا رضى ولد المجنى عليه بها .

والكفارة عقوبة مقدرة ، وهى عتق رقبة مؤمنة فإن لم يجدوها فصيام شهرين متتالين ، وتجب في القتل غير العمد ويتحملها القاتل .

والحرمان من الميراث عقوبة قاصرة أى أنها عقوبة تبعية توقع على القاتل تبعاً لل العبودية الأصلية وهى القتل ، أما التعزير فهى عقوبة في جنائية ليس لها حد مقرر في الشرع فهى عقوبة غير مقدرة .

★ ★ ★

وقد نصت الشريعة على بعض جرائم التعزير كالربا وخيانت الأمانة والسب والرثوة ، وتركت إلى ولد الأمر النص على معظم ذلك حسب مصلحة الجماعة والتعزير في حقوق الله وفي حقوق العبد .

ومن هنا فإن مصلحة المجتمع والمحافظة على كيانه هي مقصد الشريعة ، ورغبة في إقامة مجتمع فاضل تسوده الأخوة والتضامن ، والشريعة باعتبارها ديناً ، وليس قانوناً فقد وضعت في كفالتها لمصالح الناس الضرورية إلى مدى أبعد مما وصل إليه القانون الوضعي .

★ ★ ★

الشريعة والمجتمع

وضع الإسلام أساساً ثابتة لقيام المجتمع الإسلامي الذي لا يمكن أن يبني إلا عليها ، وهي قواعد جاء الوحي المنزل وينتها تفسيراً وأنجزها عملاً النبي المرسل ﷺ . وقامت هذه الأسس على ثلاثة مصادر :

العقيدة - الأسرة - الأخوة الإيمانية .

١ - العقيدة : قائمة على رفض الربوبيات الزائفة أى رفض الباطل والوهم وإقامة الدينونة للإله الحق الذي له وحده الحق في ربوبية الإنسان ؛ لأنه رب السموات والأرض وما بينهما .

إن إقرار وحدانية الله تبارك وتعالى المطلقة هي ضمان وحدة الشخصية واجتماعها كي لا تتمزق وحدة الأسرة كما لا تفرق وحدة الأمة .

لا شيء جمع سلف هذه الأمة إلا ما استقر في صميم العقيدة الإسلامية من وحدانية الله تبارك وتعالى ، ومن ثم جاءت وحدة الأمة قيادة وتوجهاً انطلاقاً من وحدانية الله تبارك وتعالى والاتصال الوحيد بين السماء والأرض .

إن الإسلام شرع الإيمان بألوهية الله تبارك وتعالى أساساً لكل شيء .

٢ - بناء الأسرة : وحين تصل إلى المرتكز الثاني وهو البقاء السوى فإننا نجد أنفسنا أمام نظرية الفرد والمجتمع بناء على أن هناك اتجاهين في هذا الخصوص فالاتجاه الذي ساد يحدد الإسلام العلاقة بين الطرفين : الفرد والمجتمع علاقة تكاملية ، وهي ليست على استقامة إذا لم تبن على العقيدة الربانية ، فالفرد وحده لا يكتمل في بنائه الاجتماعي ولا يقوى على تنفس الهواء النقي .

وتعتبر العلاقة بين الزوجين هي قاعدة النظام الخاص ببناء المجتمعى ، حيث حيث الإسلام على الزواج ونهى عن الفردية ، لأنها أى الفردية تعنى الهرب من تحمل المسئولية ، وإشاعة التفسخ والانحلال .

وقد دعا الرسول ﷺ إلى التركيز على اختيار الزوجة « فاظفر بذات الدين تربت يداك » (١) .

(١) آخرجه البخاري (١١٥ / ٩) ، ومسلم (١٤٦٦) .

ولا يقيم الإسلام قصة الحياة الإنسانية على حساب الجوانب الأخرى ، بل إنه يقع على أوتار النفس البشرية مجتمعة لكي يصدر من المجتمع .

هذا بالإضافة إلى أن عنایة الإسلام بالطفل بارزة منذ اللحظة الأولى .

(محمد الأكحل شرفاء) .

★ ★ ★

ويراعى الإسلام مصلحة الأفراد كما يراعى مصلحة المجتمع ولا يضحي بمصلحة أحدهما على حساب الآخر باسم تفضيل الحرية على العدالة أو العدالة على الحرية ، فالإسلام لا يقبل المساومة في إحداهما ، بل يسعى إلى تحقيقهما معاً لدى الإنسان .

إن الأزمات الاقتصادية والمالية التي نمر بها من حين إلى حين في معظم دول العالم سواء منها المتقدمة أو المتخلفة لدليل على مواطن الضعف والفساد التي يتحلى بها هذان النظامان .

تنظيم المجتمع

إن التنظيم الاجتماعي والاقتصادي والسياسي للجماعات مرتبط بتطور حاجات المجتمع والبيئات المكونة له والتطور السليم للمجتمعات الإسلامية يتوقف على مدى عشورها على صيغ يجمع بين الفعالية العملية التي يجب أن يتمتع بها كل تنظيم بين الخصائص الحضارية المميزة للمجتمع .

ولقد كان النظام الإسلامي قائماً أساساً على :

(أولاً) : بناء الأجيال . (ثانياً) : بناء المجتمع .
ذلك أن الهدف من التربية الإسلامية إيجاد قاعدة صلبة قوية المناعة ضد جراثيم الجرائم و اختيار منبت صالح للبذرة ، وذلك بأن يكون الإيمان بالله تبارك وتعالى هو أساس اختيار الزوجين ، إذ هو الأساس الطبيعي لبقاء النوع البشري ، وأن تكون الأسرة مؤمنة فهي أساس كل شيء ، فإذا سلمت سلم المجتمع ، وإذا فسدت فسد المجتمع .

ومن هنا كان اختيار البذرة اختياراً حكيمًا . (إياكم و خضراء الدمن)^(١) .

والتحذير من المرأة الحسناء في المنتت السوء (تخيروا لنطفكم فإن العرق دساس)^(٢) .

(١) انظر كنز العمال (٤٤٥٨٧) . (٢) رواه ابن أبي شيبة (٤ / ٢٦٣) .

وقد أثبتت علم الوراثة الجديد أن من بين أسباب الإجرام عامل الوراثة .
وهناك عامل اللقاء بين الزوجين .

(تنكح المرأة لأربع : لمالها وحسبيها وجمالها ولدينها فاظفر بذات الدين تربت يداك) (١) .

وقد أعطى الإسلام عناية كبيرة لإرضاع الطفل من جانب أمه « والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين » [سورة البقرة ، الآية : ٢٢٣] .

كذلك فقد ركز الإسلام على الحضانة السليمة وقد اهتم الإسلام بالأسرة باعتبارها المجتمع الصغير الذي ينمو فيه الطفل ويتزرع ويكتسب مهاراته .

كما أعطت الشريعة أهمية كبيرة للأسرة في دورها الوقائي ؛ لأنها تستقبل الطفل وهو مادة خام يتأثر بكل ما يحيط به .

كما اهتم الإسلام بالتعليم السليم انطلاقاً من أن الجهل أخطر الأمراض فتكاً .

★ ★ ★

يبينما تجعل المذاهب في الفكر التربوي مصدر التربية في العقل أو التأثير الاجتماعي أو الفطرة تجد الفكر التربوي الإسلامي يأخذ في الاعتبار جميع هذه المصادر ويضيف إليها التوجيهي الديني فبناء الشخصية الإنسانية المستقيمة هي التي تعتبر فيها جميع المصادر، ولذلك نجد الشريعة الإسلامية توجه عنايتها لهذه المصادر بين طريق الإقدام والتواهي والحدود ، وتخاطب العقل والقلب والنفس اللوامة .

★ ★ ★

والترابط موجود بين التربية والأخلاق عند المسلمين ، والتشريع يدعم الأخلاق ويزكيها .

والأخلاق تساعد كلاً من التشريع والتربية على بلوغ أهدافها التي تلتقي عند توفير الأسباب لتطبيق الشريعة وبالتالي لضمان سعادة الإنسان الدينية والأخروية وتمكنه من تحقيق الهدف من وجوده ألا وهو حماية الأمانة والقيام بأعباء الخلافة في اكتشاف علم الله تبارك وتعالى الواسع وعمارة الأرض مع اعتماد الحق والعدل .

كما أنه يجعل الوقاية مقدمة للعلاج .

(١) تقدم تخرجه .

وقد اتّخذ الإسلام مجموعة من الاحتياطات ليضع الحواجز أمام إقدام الإنسان على
الحرام .

ومن ذلك غض البصر من لدن المرأة والرجل وتحريم ما يسّكر والتشهير بالزاني
والزانية .

★ ★ ★

كما أن الإسلام يجعل ثقته في الإنسان ، ويفسح له مجال التوبة حتى إله لا يسعه
إلى تطبيق الحدود إلا عند التأكيد الكامل ، بل يحث على الستر ويعاقب على القدف
(ادرعوا الحدود بالشبهات) (١) .

ويوجه القرآن الإنسان إلى أساليب متعددة منها : إعطاء المثل الأعلى في العدل .

★ ★ ★

وقد أحاط الإسلام الأسرة بسياج قوى من التحصين تشريعًا وأخلاً .
وقد أرضى الزوج والزوجة دينياً فإن أحبها أكرّها ، وإن كرهها لم يظلمها (كما
قال الإمام الحسن بن علي - رضي الله عنه -) .

★ ★ ★

(١) رواه البغوي شرح السنة (١٠ / ٣٣٠) .

الاقتصاد الإسلامي

إذا كان النظام الاقتصادي الإسلامي يوافق مذهبًا من المذاهب في بعض القضايا أو ذلك ولكنه لا ينتمي إلى هذا المذهب أو ذاك ، لأن نظام رئيسي مستقل فهو أسبق من هذه المذاهب في الزمن وأرسخ منها قدمًا ، وهوأشمل منها دائرة .
لأن هذه المذاهب كلها (الرأسمالية والماركسية) مذاهب مادية .

ويتميز النظام الاقتصادي الإسلامي بعدة عوامل أساسية :
أولاً : أنه يعني بالإنسان في جانبه المادي والإسلام يعني بالإنسان في جوانبه المادية والروحية والنفسية والفردية والاجتماعية .
ثانياً : يقيم الإسلام الميزان بالقسط بين الفردية والجماعة فهو يقدر الفرد وقيمه وحواره وحياته .

ولذلك فهو يقر الملكية الفردية ويقر انطلاق الإنسان في العمل ولكنه يضع له ضوابط وإطاراً يتحرك في حدوده فحياته مقيدة وملكية منضبطة .

إذ هناك ضوابط يفرضها على ملكية المال وتنميته وإنفاقه وتفرض عليه حقوقاً على المجتمع والزكاة كما أن هناك حق على الفرد خصوصاً للفئات الضعيفة قال رسول الله عليه السلام : « إنما تنصرون بضعفائكم »^(١) . و يجعل للقراء حقاً في أموال الأغنياء .

★ ★ ★

يقول الدكتور أحمد النجار : رائد البنوك الإسلامية :

إنني أحد المنادين بتصحيح أخطاء البنوك الإسلامية ومسارها بحيث تلعب دورها في حياة المجتمع ولا تعامل كالبنوك العادية مع الأغنياء فحسب ، وإنما تكون أدلة لتنمية المجتمع أساساً ، بدأت التجربة في الستينات بإنشاء بنوك الادخار في ميت غمر ، نجحت التجربة نجاحاً هائلاً ، ولكنها ضربت في حدود الجو السياسي المتصري في سنة ١٩٦٧ ثم شقت التجربة قنوات لتطبيق مبادئ الشريعة الإسلامية في مجال المعاملات .

(١) انظر كنز العمال (٦٠٤٩)

وبعد سبع سنين فقط تualaت أصوات عديدة بالتفكير في إنشاء بنك إسلامي دولي - في مؤتمر وزراء الخارجية الإسلامية (كراتشي) ١٩٧٠ وتابعت البنوك . ولقد كان العنصر البشري هو أكبر ثغرة أُوتئت منها التجربة ، وكانت الثغرة الثانية هي استعجال الشمرة .

فقد أدى الاستعجال الشديد إلى الاستهانة بكثير من التفاصيل المهمة أثناء العمل . وكان الهدف الأصلي هو إيقاظ اليأس للدور المال في ظل المناخ الإسلامي ، وتبنيهم إلى دور المال في تنمية المجتمع وتذويب الفوارق بين طبقاته وتبنيهم إلى خطر الربا وحرمة وآثاره المدمرة في المجتمع .



الباب الرابع

الشريعة الإسلامية والقانون الروماني

(الدكتور صوفى أبوطالب)

يلاقى الشرع الإسلامي مع القانون الروماني في أرض البلاد المفتوحة حجة ووسيلة للطعن في الإسلام ، حيث رعموا أن الشرع الإسلامي ليس إلا تعديلاً للقانون الروماني .

إنما يهدفون في حقيقة الأمر إلى بث رسالة غير مباشرة للشعوب الإسلامية تشكيك في الشرع الإسلامي ، وتدعوا إلى غض الطرف عن آية قوانين أو أحكام تتعارض أو تصطدم به .

وتحجتهم في ذلك أنه إذا كانت الشريعة الإسلامية ليست إلا تعديلاً للقانون الروماني في قواعدها ومادتها وأحكامها فإنه لا تشريب على المشرع في البلاد الإسلامية من الاقتباس والنقل من القوانين الوضعية المأخوذة من القانون الروماني حتى لو لم تتفق مع الشرع الإسلامي في بعض الجزئيات ؛ لأن الأصل أو الأساس لكل منهما هو القانون الروماني .

وهناك دعوى أن انتشار المجتهدين المسلمين في البلاد التي فتحها المسلمون مكنهم من الاطلاع على قواعد القانون الروماني الذي كان مطبقاً في هذه البلاد ، أهمها مدارس القانون الروماني في بيروت والإسكندرية ، حيث استمر تدريس القانون الروماني فيما بعد الفتح الإسلامي .

هذه الحجج تصطدم بواقع التاريخ والحقائق العلمية الثابتة ، فمدرسة بيروت لم يبق منها إلا الأطلال سنة ٥٥١ م .

وعندما فتح المسلمون الشام سنة ٦٣٥ لم تكن موجودة ، فكيف يتسعى للمسلمين دراسة القانون الروماني أو الاطلاع عليه في مدرسة بيروت التي زالت قبل فتح بيروت بأكثر من قرن من الزمان ونفس القول ينطبق على مدرسة الإسكندرية التي أغلقها الإمبراطور جستينيان عام ٥٣٣ قبل فتح العرب لها بأكثر من قرن من الزمان .

★ ★ ★

س : بالنسبة لمدرسة الإسكندرية فربما قد اطلعوا بها على كتب القانون الروماني حيث ذهب البعض إلى أن عمرو بن العاص - رضى الله عنه - قد أحرق مكتبة الإسكندرية بإذن من الخليفة عمر بن الخطاب - رضى الله عنه .

جـ : العرب لم يكن في قدراتهم الاطلاع على كتب القانون الرومانى عن طريق مكتبة الإسكندرية بسبب أنها لم تكن موجودة عند فتح العرب لمصر وبالتالي لم يحرقها عمرو بن العاص - رضى الله عنه .

المؤكد تاريخياً أن مكتبة المتحف قد حرق她ت عام ٤٨ ق م . عندما أحرق جوليوس قيصر أسطوله في مياه الإسكندرية أما مكتبة السيرابيوم فقد أحرق她ت عام ٣٩ م عندما أحرق تيوفيلوس معبد السيرابيوم . ولو كانت مكتبة الإسكندرية موجودة عند فتح العرب لها لما أغفل ذكر حرقها هنا اليقوس الذي كان قريب العهد بفتح مصر .

وكتب عنه ، ولما أغفل المقويس الوالى الرومانى النص عليها في شروط الصلح عن تسليم الإسكندرية .

ونخلص من ذلك أن مدارس القانون لم يكن لها أى أثر في تكوين عقلية الفقهاء المسلمين .

س : لماذا لا يتأثر الفقه الإسلامي بحركة الترجمة ؟

جـ : لم يتع للMuslimين فرصة دراسة أو معرفة الشريعة الرومانية ، في مدارس القانون بالشرق كما زعم المستشرقون وسب ذلك يرجع إلى هدم تلك المدارس .

س : ما مدى تأثر الفقه الإسلامي بنتائج حركة الترجمة التي قام بها المسلمين للكتب الأجنبية ، والتي كانت في عهد يزيد بن معاوية ، والتي ازدهرت في عهد المأمون في الدولة العباسية ؟

جـ : لقد عدد ابن النديم في كتابه « الفهرست » اسم الكتب التي ترجمت والمترجمين ولم يذكر بينها كتاباً واحداً في القانون ، وفي الوقت الذي أثمرت فيه حركة الترجمة ثمارها في محيط الفلسفة والأدب والعلوم ؛ وانتقلت فيه الرعامة العلمية إلى مدرسة المعتزلة كان الفقه الإسلامي بمنأى عنها .

س : ماهي الأسباب التي جعلت مدرسة الفقه الإسلامية بعيدة عن التأثر بحركة الترجمة ؟

جـ : إن هناك عدة أسباب أسهمت في تحقيق هذه النتيجة :

(١) السبب الأول هو أن موضوعات الفقه الإسلامي كانت قد تحددت منذ النصف الأول من القرن الأول الهجري .

فقد انصرف المسلمين الأوائل كلية طيلة القرن الأول إلى العلوم التقليدية التي تعتمد على القرآن الكريم سواء تفسيره أو استخراج الأحكام الفقهية منه ، أما العلوم العقلية كالطب والرياضية فهى لم تزدهر إلا منذ القرن الثاني أيضاً فقد خلف الصحابة ومن جاء بعدهم ثروة ضخمة من الأحكام والحلول القانونية التي وضعوها للمسائل التي عرضت عليهم في مختلف فروع القانون .

وقد كانت هذه الأحكام من الكثرة والدقة بحيث أمكن معها القول بأن مضمون الفقه الإسلامي قد تحدد من الوجهة الموضوعية منذ النصف الأول من القرن الهجرى الأول فى جعل قواعد التشريع الإسلامي بمنأى عن التأثير بأى قانون أجنبى ، لأن تلك القوانين وضعت بمناسبة حالات فعلاً في المجتمع الإسلامي في ذلك العهد .

ولسبب آخر لعدم تأثر الفقه الإسلامي بحركة الترجمة بسبب جوهرى هو اكتمال قصة مدرستين من أهم مدارس الفقه الإسلامي وهى المدرسة الحنفية والمدرسة المالكية . أيضاً عدم ترجمة أى كتاب في القانون الرومانى إلى لغة معروفة من العرب قبل القرن الثالث عشر الميلادى .

ذلك أن الفقه الإسلامي يعتمد أساساً على الكتاب والسنة ومن ثم يمتنع عن الفقهاء المسلمين استعارة أى مبدأ قانونى أو قاعدة قانونية من تشريع أجنبى .

إن كتب المنطق والفلسفة التي ترجمت كان لها أثر آخر هو صقل عقلية فقهاء القرن الثالث ومكتنهم من الإلقاء من دراسة المنطق وطريقة تقديم الحجة والبرهان أو ترتيب الأفكار المتشابهة .

ولم تكن أصول الشريعة الإسلامية تسمح للفقهاء بالبحث عن أصول القواعد القانونية من غير الأدلة الشرعية المعروفة في علم أصول الفقه ، لذلك كان أثر المنطق الإغريقي على الفقهاء المسلمين محدوداً لأن القياس ، وهو أهم مجال لـ إعمال المنطق كان معروفاً منذ القدم .

أما تأثر الفقهاء بالكتب المترجمة عن اللغة السريانية ، والتي كانت سائدة في الشام قبل فتح المسلمين لها فرغم أهمية تلك اللغة وأثرها في محض الأدب والفلسفة لم يكن لها أدنى أثر في مجال القانون لقد خضع نصارى الشرق لأحكام الإسلام باستثناء بعض مشاكل الزواج والطلاق حيث كانوا يطبقون القانون الكنسي الذي اعتمد أساساً على

الإنجيل وكتابات آباء الكنيسة أما الترجمة السريانية فقد حدثت بعد اكتمال فقه مدرسة الحنفية أكثر المدارس أخذًا بالرأي فقد توفى الإمام أبو حنيفة ٧٦٧ م . أما الترجمة العربية فقد تمت بعد نضوج واكتمال الفقه الإسلامي . جميع مدارسه .

القانون الدولي والشريعة الإسلامية

هي تعاليم جاء بها النبي ﷺ والخلفاء ، فاستطاع الفقه أن ينسج منها نظرية متكاملة في القانون الدولي سبقت بها الشريعة الإسلامية المجتمع الدولي بأكثر من ألف عام . وتشهد هذه التعاليم أن قواعد القانون الدولي لا تخرج عن عباءة الإسلام بأى حال ، بل إن الكثير من قواعده تجد مصادرها في هذا الدين الحنيف .

مثلاً يقارن بين وصايا الخليفة أبي بكر الصديق - رضي الله عنه - لقائد الجيش العربي المتوجه إلى فتح الشام : أسامة بن زيد - رضي الله عنه - وبين نظام البروتوكول الأول لسنة ٧٧ الملحق بأحكام اتفاقيات جنيف الأربع .

قال أبو بكر الصديق - رضي الله عنه - : « لاتخونوا ولا تغلوا ولا تمثلوا ولا تقتلوا طفلاً صغيراً ولا شيخاً كبيراً ولا امرأة ولا تعقروا نخلاً ولا تقطعوا شجرة مثمرة ولا تذبحوا شاة ولا بقرة ولا بعيراً إلا لأكله » .

ويقول بروتوكول القانون الدولي : أن لا يكون السكان المدنيون مهلاً للهجوم . وأن تحظر مهاجمة أو تدمير المواد الغذائية أو المناطق الزراعية والمحاصيل والماشية . وكذلك يجب أن يكون النساء موضع احترام خاص والأمر يتحقق بالحماية لاسيما ضد الاعتصاب والإكراه على الدعاية .

وفي المقارنات جاء قرار الخليفة العباسى المعتصم بالله حين استولى على حصون أرمينيا بعد معركة حربية فأمر ألا يفرق بين أعضاء العائلات التي وقعت في الأسر بنفس المبدأ .

★ ★ ★

وقد وصى الإمام على جنوده : إذا هزمتموهم فلا تقتلوا مدبراً ولا تجهزوا على جريح ، ولا تتخذوا داراً إلا بإذن ، ولا تأخذوا من أموالهم شيئاً ، ولا تعدموا النساء .

وقد سبق صلاح الدين بتصرفه (كتاب التوادر السلطانية والمجالس اليوسفية) لبهاء ابن شداد حيث نرى أن صلاح الدين الأيوبي يسوق بسلوكه المادة ٢٧ من اتفاقية جنيف

عام ١٩٤٩ ، الخاصة بمعاملة أسرى الحرب والتي تقول : « تزود الدولة الحاجزة أسرى الحرب بكميات كافية من الملابس والملابس الداخلية والجوارب بحيث يكون ملائماً لجو الإقليم » .

قصة الإسلام : دين ودولة

يقول الأستاذ فهمي هويدى : ناقشت كثيراً من الناس ، ومنهم بعض أساتذة الجامعة فرأيت أن التطور العصرى ليس قادراً على هضم كلمة « دين وسياسة واجتماع » .

والسر فيه أن التعاليم الأوروبية والحياة الأوروبية في الفكر الأوروبي قد حال بينهم وبين فهم الجمع بين الدين والسياسة والاجتماع ، بل يقولون : إن الروحانية وما يتصل بها هي الدين ليس إلا كالصلة والذكر والدعاء وما إليها .

أما السياسة وما يتصل بها والاقتصاد وما يتعلق به ، والحكم وما يدعو إليه ، فليس من الدين في شيء

حتى قالوا : إن الحج والعزakah ليسا من الدين .

ففكرت في هذا طويلاً ثم قلت لهم :

سلمت لكم أن الدين شيء والسياسة شيء آخر ، ولكن هناك شيء اسمه (الإسلام) وهذا الإسلام قانونه القرآن فإن سلموا لنا بهذا فتسائلهم : ما قولكم في قوله تعالى : « وأحل الله البيع وحرم الربا » [سورة البقرة ، الآية : ٢٧٥] .

وقوله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا إذا تدายนتم بدين إلى أجل مسمى فاكتبوه » . [سورة البقرة ، الآية : ٢٨٢] .

« إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل » [سورة النساء ، الآية : ٥٨] .

أليس هذا من الدين ؟ فإن أصرروا على عنادهم فنقول لهم : إن الله تعالى أمر بها ، ثم ماذا تقولون في قوله تعالى : « وإذا كنت فيهم فأقمت لهم الصلاة فلتقدم طائفة منهم معك ولنأخذوا أسلحتهم فإذا سجدوا فليكونوا من ورائكم » [سورة النساء ، الآية : ١٠٢] .

هل هناك حرج في الدين وهو ينظم الجنديه ويجعل للحرب صلاة خاصة ؟ .

وكذا في قوله تعالى : « وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل
ترهبون به عدو الله وعدوكم » [سورة الأنفال ، الآية : ٦٠] .

أليس هذا من صميم الدين ؟ وهو تنظيم القوة للدفاع عن الإسلام ثم هو فوق ذلك (بروتوكول) ؟ قال تعالى : « يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتاً غير بيوتكم حتى تستأنسوا وتسلموا على أهلهَا ذلِك خير لكم لعلكم تذكرون * فإن لم تجدوا فيها أحداً فلَا تدخلوها حتى يودن لكم وإن قيل لكم ارجعوا فارجعوا هو أَزْكِي لكم والله بما تعملون عليم » [سورة النور ، الآيات : ٢٧ ، ٢٨] .

هذا هو الإسلام الذي لم يغادر صغيرة ولا كبيرة حتى الأكل والشرب : « وكلوا واشريوا ولا تسرفوا » [سورة الأعراف ، الآية : ٣١] .

والإفراح في المجالس : « يا أيها الذين آمنوا إذا قيل لكم تفسحوا في المجالس فافسحوا يفسح الله لكم » [سورة المجادلة ، الآية : ١١] .

فكلمة الدين التي أتعبرت لهم لم تكن سوى الإسلام الذي جاء بكل هذا فنقول لهم : فماذا تسمون القرآن ؟ فإن قالوا نسميه الدين نقول : اتفقنا والخلاف لفظي . ونحن مطالبون باتباع هذا الدين وإن راوغوا و قالوا : إن هذه المعانى جاءت للأمة العربية ؛ لأنها أمة لا مدنية لها ولو جاء للفرس والرومان ما تعرض لهذه المعانى : لقول الله تعالى : « أفتؤمنون ببعض الكتاب وتکفرون ببعض » [سورة البقرة ، الآية : ٨٥] .

فهل قال الله تعالى هذا للعرب وهذا لغيرهم أم قال : هذا العام للهجرة وهذا ألف منها ؟ .

فإن قالوا : إن المجتمع قد تطور وما يصلح للعصر الأول لا يصلح لعصرنا هذا فنقول لهم : إن الإسلام وتعاليم الإسلام صالحة لكل زمان ومكان وأن من محاسنه أنه لم يتدخل في تفاصيل الأحكام كلها وترك ذلك لتطور الزمن .

قال عمر بن عبد العزيز - رضي الله عنه - : « تحدث للناس أقضية بقدر ما يحدثن » ، وقد ألف الإمام الشافعى مذهبين : قديم وجديد وهناك المصالح المرسلة بالإسلام وضع الأسلوب فى السياسة والاقتصاد والاجتماع وضعاً محكماً لا حرج فيه على أحد .

« وما جعل عليكم في الدين من حرج » [سورة الحج ، الآية : ٧٨] .

مجموعة حقائق حول النظام الإسلامي

(إجابات فهمي هويدى)

أولاً : اشتمال القرآن الكريم والسنّة النبوية على نظام الحكم .

القرآن رسالة هداية تقيم مجتمعاً ، وإن نظام الحكم جزء من هذه الرسالة فليس مطلوباً أن نتحدث عن تفاصيل عامة وإنما جاء بنظام (الشوري) التي تركت ليقوم عليها النظام السياسي ليصوغها كل مجتمع حسب ظروفه وبالتالي لامجال للطعن في صلاحية الإسلام .

والمؤكد أن النبي ﷺ أقام دولة وكان هناك نظام حكم ، وهناك بيت مال ، وإدارة مؤسسة عسكرية وفتوات وحضارة .

ثانياً : الحديث عن السلطة السياسية .

ليس في الإسلام سلطة دينية وهذه السلطة تمارسها مؤسسة دينية ، وليس في الإسلام مؤسسة دينية ولا توجد في الإسلام كنيسة .

قال الشيخ محمد عبد العليم مائة عام : إن أحد الأركان التي جاء بها الإسلام ؛ هو هدم فكرة السلطة الدينية .

ثالثاً : فصل الدين عن السياسة .

هذه دعوى تطلق من أطراف ليست لها علاقة بالمعرفة الإسلامية وما يجرى في العالم الآن ، لأن البابا يعمل عملاً سياسياً اليوم في كل أنحاء العالم .

كيف يمكن فصل أي عمل عام عن العمل السياسي ؟

رابعاً : لماذا يسمح بقيام أحزاب مسيحية ديمقراطية في أوروبا ولا يكون في بلادنا أحزاب إسلامية ؟

وهل يعقل أن يسمح في بلد إسلامي بقيام حزب شيوعي وحزب علماني وحزب قومي وحزب ناصري بينما يمنع قيام حزب إسلامي ؟ خاصة أنه موجود بالفعل شيئاً أم شيئاً .

فإذا حاد الحزب عن رسالته فإنه يحاكم بالمياثق أو بالقانون .

خامساً : الإسلام لم يبين ماهية الرب .

هذه مسائل تناقشها مجتمع علمية ~~ولاسيما~~ مجالها أهل الهوى أو الصحف اليومية .

سادساً : ما يقال إننا لسنا بحاجة إلى تطبيق الشريعة فهي مطبقة بالفعل : إن الشريعة الإسلامية ليست قوانين أو حدود فقط ، ولكنها تكاليف للمجتمع ، وبالتالي عندما يزعم زاعم بأن الشريعة الإسلامية مطبقة فإني أقول : إن هناك بعضاً من الشريعة مطبقة كمسائل الأحوال الشخصية ، ولكن يبقى لأنفع في أسر مفهوم الشريعة كقانون فالشريعة أكبر من هذا بكثير .

وأنا أسأل أين الشريعة الإسلامية في حياتنا الثقافية والإعلامية والفنية ؟

سابعاً : الإسلام هو الحل : هذا شعار .

ويوضع تحت الشعار أسس ومبادئ التطبيق العملي والذين رفعوا شعار « الإسلام هو الحل » ، وضعوا تحته ست عشرة نقطة تتضمن أساساً ومبادئ تعالج الأمور الاقتصادية والسياسية والاجتماعية .

ثامناً : عدم وضع حلول واضحة لبعض المشاكل .

لا توضع حلول وإنما يوضع إطار أساسى .

- الديمقراطية أساس البناء السياسي .

- السكن حق للجميع .

- النظام الاقتصادي ينبغي أن يتوافر فيه عدالة التوزيع .

كل مشروع سياسي يبدأ بأفكار مجملة وإطار أساسى احتك بالتجربة بعض الوقت .

★ ★ ★

أهم الحقائق :

(١) ضرورة توافر الحيدة في البحث العلمي .

(٢) أن تكون المصادر المعتمدة عليها غير مشبوهة خاصة إذا كانت من كتاب قصوا حياتهم جميعاً يعملون في إطار الحركة الشيوعية التي لقيت منذ ولدت دعماً متواصلاً من الاتحاد السوفيتي والحزب الشيوعي السوفيتي .

★ ★ ★

إسهام الإسلام في بناء القانون الدولي العام

لقد اعتقد بعض رجال القانون أن كلمة (العلاقات الدولية) بمفهومها الحديث لم يكن له وجود قبل مؤتمر ويستفاليا عام ١٦٤٨ ولكن هذا الرأي يبني في رأي المصنفين على منطلق تاريخي غير سليم فإن العلاقات الدولية ظهرت منذ فجر التاريخ باعتبار أن الجماعات الإنسانية مدفوعة إلى الدخول في علاقات مع بعضها البعض لتحقيق أغراضها وضمان أمنها .

ونحن هنا سنقتصر على مدى إسهام الإسلام في بناء القانون الدولي العام وهو رأى الإسلام الذي يقول على لسان القرآن الكريم « لَكُلِّ جَعْلَنَا مِنْكُمْ شَرِيعَةٌ وَمِنْهَا جَاءَ لَوْشَاءُ اللَّهِ لِجَعْلِكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً » [سورة المائدة ، الآية : ٤٨] . صدق الله العظيم .

لقد كان الإسلام يهدف إلى توحيد البشرية في ظل نظام دولة واحدة تعتمد على الشريعة الإسلامية ، وقد مر فعلاً في سياق تطوره بمراحل مختلفة بدءاً بالدولة في المدينة ليشمل بالتدريج الجزيرة العربية والبلاد المجاورة لها ثم مناطق أخرى كثيرة في القارة الآسيوية والأفريقية والأوروبية .

وقد كان من شأن هذا أن يشري ذلك التطور على مدى العصور القانون الدولي الإسلامي و يجعله مرجعاً مهماً لأصول القانون العام وهنا يجب أن نعترف بما أفاد به فقهاء الشريعة الإسلامية ، وما قدّمه المفسرون من قواعد عامة في شأن العلاقات مع الدول الإسلامية ، وما عالجواه من مواضيع في مؤلفاتهم الخاصة ، وأذكر هنا كتاب « السير » لمحمد بن الحسن الشيباني الذي يعتبر مرجعاً أساسياً في هذا الباب .

إن مثل تأليف الشيباني لا يدع مجالاً للشك في أن الفقه الإسلامي كان أول فقه يهتم بالقانون الدولي ثمانية قرون قبل ظهور (هيكتور كروستيوز) الذي سموه أبا القانون الدولي ، وقد اشتغلت الشريعة الإسلامية فعلاً على ضوابط وأحكام تكون نظاماً متكاملاً لم يصل القانون الدولي لمثله إلا بعد مرور أحقاب من الزمن .

وإذا كانت المعاهدات الثنائية المتعددة الأطراف تعتبر المرجع الأساسي لأحكام القانون العام فلابد أن نذكر في صدر أعمال النبي ﷺ (اتفاقية يثرب) ذلك الميثاق

العظيم الذى عقده بالمدينة عقب هجرته إليها ، وهو ميثاق تعايش وحسن جوار يجمع بين عدد كبير من القبائل والطوائف المتباينة من المهاجرين والأنصار واليهود .

ويعتبر هذا الميثاق من أقدم الدساتير وأمتعها وأحقها بالنظر والتقدير وأولاها بأن يذكر في أصول العلاقات بين الناس وبين مخالفاتهم في الدين أو في الانتقام القبلي .

(اتفاقية يثرب تضم سبعين قبيلة وسبعين كلمة - تسعون فقرة) وكان من بنود هذا الكتاب :

« ولا ينصر مؤمن كافراً على مؤمن ، وأن ذمة الله واحدة يجير عليها أدناهم ، وأنه منتبعنا من يهود فإن له النصر والأسوة غير مظلومين ولا متناصر عليهم ، وأن سلم المسلمين واحدة وأن يهود بنى عوف أمة من المؤمنين لليهود دينهم وللمسلمين دينهم ، وأن على اليهود نفقتهم وعلى المسلمين نفقتهم ، وأن بينهم النصر على من حارب أهل هذه الصحفة ، وأن بينهم النصح والصيحة والبر دون الإثم ، وأن الجار كالنفس غير مضار ولا آثم ، وأنه ما كان بين أهل هذه الصحفة من حدث أو اشتجار يخاف فساده ، فإن مرده إلى الله وإلى محمد ﷺ ».

★ ★ ★

ومن هذه الفقرات نرى حضور المبادئ السامية التي تضمنتها معاهدة يثرب ، مما نرى اليوم القوانين الدولية تسعد به وتدعوه إليه :

(١) مبدأ تساكن الأديان .

(٢) مبدأ حسن الجوار والمساواة بين الناس كيما كانت أجناسهم وأصولهم .

(٣) مبدأ فض المنازعات عن طريق الحوار والتحكيم .

★ ★ ★

وتعتبر قضية الالتزام بما تم عليه الاتفاق من القضايا الأساسية التي لا تساهل فيها تعاليم الإسلام .

ومن ثم وجدنا أن معظم الأحاديث النبوية تدعو إلى احترام العقد واعتباره أمراً مقدساً لا يجوز لأحد تجاهله (فلا يحل لمؤمن أقر بما في هذه الصحفة أن يتتجاوزها) ومن المهم أن أذكر هنا بآية شريفة ساحت رجال القانون العام وقد وجد فيها الفقهاء خير معتبر

عنه :

﴿ وَإِنْ اسْتَنْصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمُ الْنَّصْرُ إِلَّا عَلَيْ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِّيثَاقٌ ﴾ .

[سورة الأنفال ، الآية : ٧٢]

★★★

ولى جانب هذا نجد الاهتمام بالاتفاقات الشفوية .

ولابد أن نذكر هنا ماورد في معايدة صلح الحديبية الذي نص على مدة عشرة سنوات كأمد أقصى عند ما حصل الاتفاق المبدئي على عدد من البدو التي ستكون منها هذا البند الخامس : (على أنه من أتى محمداً صلوات الله عليه من قريش بغير إذن واليه رده عليهم ومن جاء من مع محمد صلوات الله عليه لم يردوه عليه) .

★★★

المعاملة بالمثل :

مبدأ آخر من المبادئ التي عرفها القانون الدولي وتعنى به مبدأ المعاملة بالمثل ، ونجد أن السنة النبوية غنية بالآثار التي تدعو إلى احترام هذا النوع من السلوك الإنساني .

تحرير الإنسان من الخوف :

إذا كانت المصطلحات الجديدة اقتضت أن يطلق على الجهر بالحق كلمة التحرر من الخوف أو حرية الرأي فإن من حقنا أن نلتفت النظر إلى أثر من الآثار النبوية تعتبر نبراساً في باب التعامل الدولي مما يتصل باحترام الرأي والدعوة إلى التخلص من الخوف عند إبداء وجهة نظر ما .

ويتعلق الأمر بالحديث الشريف الذي روى عن أبي سعيد الخدري - رضي الله عنه - قال رسول الله صلوات الله عليه : (لا يحرقن أحدكم نفسه ، قالوا يا رسول الله كيف يحرق أحدنا نفسه ؟ قال : يرى أمراً لله عليه فيه مقال ثم لا يقول فيه فيقول الله - عز وجل - لهم يوم القيمة : ما منعك أن تقول في كذا وكذا ؟) .

فيقول : خشية الناس فيقول الله : فإذا كنت أحق أن تخشى (١) .

★★★

(١) رواه ابن ماجه (٤٠٠٨) .

الديمقراطية في مفهوم الإسلام

(للدكتور / عبد القادر عودة)

إن نظام الحكم الإسلامي يختلف عن الديمقراطية في أنه يقيد المحكمين والمحكومين بقيود تمنعهم من الانطلاق وراء الأهواء ، وتحول بينهم وبين الخضوع للشهوات .

وحقيقة الأمر أن الديمقراطية مجرد وسيلة عمل ، ومجموعة حقوق وضمانات الهدف منها تحقيق وظيفة محددة هي وصول أصحاب الأغلبية الحقيقة للحكم .

ومن هذه الحقوق مثلاً حق الاقتراع العام وحق التمثيل السياسي أي الانتخاب والترشيح من هذه الضمانات مثلاً تحديد فترة الرئاسة ، وفصل السلطات ، والتعددية الحزبية ، ومبادأ الشرعية أو المشروعية ، وحرية الصحافة ، وهكذا أي أن مهمة الديمقراطية ومسؤوليتها تنتهي عند وصول أصحاب الأغلبية الحقيقة للحكم ، أما الذي حدث في الغرب من الانطلاق وراء الأهواء وخضوع للشهوات وتقنين الحرام وتحريم الحلال فسببه ليس الديمقراطية ، وإنما هوية أصحاب الأغلبية هناك ، وما حدث لهم بعد تورثهم على الكنيسة ، وترجمة الكتاب المقدس بما وقع فيه من تحرير وتأثرهم بمبادئ وأفكار فلاسفة ملاحقة من نوعية دور كايم وفرويد وماركس ، وأخذهم على اختلاف مشاربهم من رأسماليين واشتراكيين وشيوعيين بفكرة فصل الدين عن الدولة أي العلمانية . أما في مجتمع مسلمي اليوم فيكفي فقط أن يصدق المسؤولون لديه في تطبيق الديمقراطية دون تزيد كما تطبق في بلادها .

وحينما تقول الأغلبية الحقيقة لأصحابها لن يسمح أعضاء الزمان صاحب هذه الأغلبية لإباحة وتقنين حرام أو تحريم حلال بأى حال .

إن الديمقراطية وسيلة وكل ما استحدث من حقوق وضمانات مقبولة في شرع الله مادمنا في النهاية نحقق مصلحة عامة ومؤكدة ولا يردها نص ثابت من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ .

إن جوهر الديمقراطية وصول الأغلبية الحقيقة للحكم . وهذا أهم مقاصد الشريعة ومن مصلحة الإسلام والمسلمين حيثما كانت المصلحة فثم شرع الله .

(فاروق عبد السلام)

الباب الخامس الشريعة والقانون الوضعي

هل يجوز ان يقولوا
الدولة الإسلامية
هي ملهمة
الله
1440هـ

منذ حل الاستعمار في بلاد الإسلام عمل على إقامة النظام السياسي على القانون الوضعي ، وحجب الشريعة الإسلامية .

وقد ظلت مصر في ظل القانون الفرنسي (١٨٨٣ إلى ١٩٤٦) حين وضع قانون مصرى نقل من قوانين المحاكم المختلفة إباحة الربا الاقتراض بفائدة - إيقاف عقوبة الزنا والخمر .

ومنذ عملت القوى الإسلامية الأصيلة على إحياء الشريعة الإسلامية والقيام بتنقين الشريعة الإسلامية أخذت قوى العلمانية وخصوم الإسلام على قيادة الحملة على الشريعة الإسلامية .

والادعاء بأن الإسلام لم يطبق إلا في حكم الخلفاء الراشدين كما ادعى البعض أن هناك محاولة لإقامة دولة دينية بينما لم يعرف الإسلام هذه الحكومة أبداً .

والواقع أن الشريعة الإسلامية ظلت مطبقة حتى وصول حملات الاستعمار ، وقد شهد بذلك كتاب « وصف مصر » الفرنسيين وأشار إلى ذلك الجبرتي في « تاريخه » . أما الإسلام فإنه لم يعرف شعار الحكومة الدينية وإنما عرف الحكومة الإسلامية ، وأن الإسلام دين ودولة ، ونظام كامل للحياة ، ولم يعرف الإسلام مصطلح (رجل دين) على هذه الصورة التي عرفتها أوروبا حيث لا وجود لها على الإطلاق .

كذلك فإن فكرة تطوير الشريعة هي فكرة باطلة ومضللة ويرجع هذا الخلط إلى العجز عن فهم الفارق الدقيق بين الشريعة والفقه .

فالشريعة هي نصوص القرآن الكريم ، والسنة النبوية الصحيحة وهي نصوص بلغت كمالها واكتتمالها منذ اختار الرسول ﷺ الرفيق الأعلى .

والتطور معناه الانتقال من طور إلى طور ، فلا محل للقول بذلك . أما القول بتطوير الفقه الإسلامي فهو وارد إذا صح القصد ، إذ أنه عمل إنساني وهو مجهد علماء المسلمين لفهم نصوص الشريعة ، واستنباط الأحكام منها سواء كانت تتعلق بالجزئيات أم القواعد الكلية التي تتفق مع أهداف هذه النصوص العامة في القرآن والسنة .

وهكذا نجد أن كل ما يشيره خصومه الشريعة الإسلامية من شبكات لا تثبت أمام التحليل العلمي والبحث الصحيح ، وأنها كلها محاولات يراد بها تأخير تطبيق الشريعة أو وضع عقبات أمام خطوات التطبيق .

★ ★ ★

وليس صحيحاً أن الأخذ بمبادئ الشريعة الإسلامية يعتبر رفضاً للعصر ، فهذا تصور خطأ لا يقوم على أساس ، وليس عليه أي دليل .

إن الذي يميز الإسلام هو أنه لا يتعارض مع العقل ولا مع العلم ، لأن الله تبارك وتعالى الذي أنزل القرآن هو الذي خلق العقل ، وأن القرآن لم يتناقض مع العلم ، فالإسلام دين الفطرة الذي يخاطب العقل والوجدان معاً ، ولقد اعترف فقهاء القانون في العالم كله بفضل وسبق وأصالحة الشريعة الإسلامية ، وقالوا : إنها قادرة على معالجة قضايا الإنسان المعاصر ، وقدرة على حفظ الأمن والأمان للمجتمع في عصر زادت فيه الجريمة بمعدلات مختلفة .

★ ★ ★

هناك أمور ضرورية تعتنى بها الشريعة الإسلامية بينما يسكت عنها القانون الوضعي كما هو الحال في شرب الخمر ، وأمور ضرورية تهتم بها الشريعة اهتماماً بالغاً في جميع صورها بينما لا يتناولها القانون الوضعي إلا في حدود ضيقه كما في حالات الزنا فالشريعة في ذلك أكثر إحاطة من القانون الوضعي ، وأكمل تنظيماً ؛ لأنها بحكم كونها ديناً يتعقب كل ما تؤخذ عليه الأخلاق ؛ وذلك بمعنى أن الإسلام دين ودين .

★ ★ ★

وقال الشيخ محمد أبو زهرة : لتطبيق الشريعة ليس علينا أن نهدم هذه القوانين كلها بل علينا تغيير قوانين الحدود والقصاص والقوانين الربوية .

وذكر أن هناك ٥٦ مادة تحتاج إلى التغيير منها ٤٤ مادة فقط في قانون العقوبات .

يقول الأستاذ حسن البنا : وكيف يملك البعض إرادة البعض ويفيد هذه الإرادات ويسمو عليهم ويفرض عليهم القواعد والنصوص ؟ . كيف يمكن أن يكون من البشر إلى البشر ؟ من يعطي حق التشريع ؟ لابد أن تكون هناك جهة أعلى من البشر هي التي تمنع البشر قوانينها ؟ .

لـ حق :

قامت لجنة تفنين الشريعة الإسلامية (مجمع البحوث الإسلامية) بتحضير مشروع دستور إسلامي يكون أساساً لتكوين هذه اللجنة ١٩٦٨ .

وقد قامت اللجنة بتفنين فقه المعاملات على المذاهب الأربعة واضعة هذا القانون في صورة دراسات وقوانين ليكون مرجعاً في حالة تطبيق الشريعة الإسلامية في أية دولة قدمت حلولاً ومقاييس لكل ما في الحياة العامة من نظم ، وما يجدها من معاملات :

- ١ - سعر الفائدة المصرفية وغيرها من أعمال البنوك .
- ٢ - الحكم في التأمين والاستثمارات المالية .
- ٣ - المؤسسات المصرفية والتجارية .

كما أعد مجمع البحوث مشروع دستور حضرته لجنة تفنين الشريعة ليكون تحت طلب أي دولة ترغب فيأخذ الشريعة منهجاً .

الشوري لا الديمقراطية

الشوري هي الفريضة السياسية في الإسلام :

ماتمتاز به الشوري عن الديمقراطية للحاكم ، ووصولاً إلى الشكل المؤسسي الذي يمكن أن تطبق به الشوري في عصرنا الحاضر في الإسلام ضرورة الشوري مشاركة الناس في صنع القرار المشاركة في الغرب حق للإنسان أن يتنازل عنه ، أما في الإسلام فهو واجب شرعاً .

تكون الشوري أقرب ما تكون فرضاً للطرفين الحاكم والرعية ، فعلى ولـ الأمر أن يطلب مشورة الناس وعلى الرعية أن تفرض حقها في هذه المشورة أو في إبداء الرأي بوجه أو آخر ، لأن المجتمع هو عقد غير مكتوب بين أفراده وبين شرائطه لبناء شكل معين من أشكال الأنظمة ، يقوم على تعاون أفراده للوصول به إلى ما ينبغي ، أو يريد الجميع .

وفي الإسلام يتم ضبط العلاقات بين :

- ١ - الحاكم والمحكومين .
- ٢ - بين الأغنياء والفقراء .

٣ - بين الأقوياء والضعفاء .

والشوري تربط أساساً بقضية الحرية ، ولا يمكن الحديث عن الشوري في ظل مجتمع يفتقد الحرية .

وعندما نظر إلى الإسلام والديمقراطية باعتبارها إفرازاً غريباً نجد أن هناك مستويين من المعانى :

أولاً : الشوري تمثل قاعدة دين وهي تعبير عن الظاهرة المطلوب القيام بها من حيث هي سلوك يجب أن يتبع عند اتخاذ القرار .

وتنطلق الديمقراطية في المشروع الغربي من إطلاق العنان لحرية الإنسان دونما ضوابط شرعية وإلهية في مجتمع علماني أما الشوري فتعنى مشاركة الأمة ، ففي الشوري الإسلامية الأمة قضية السلطان ، لكن هذا السلطان محكوم بإطار التعديل الذي نسميه مقاصد الشريعة وهنا تتجلى الوسطية الإسلامية ، فهي لا تحرم الأمة من السلطان ، ولا تطلق العنان دون قيود ، سلطة مشاركة الأمة تصنع حياتها بشرط ألا تحل حراماً أو تحرم حلالاً ، لذلك فنحن مأمورون بأن نشيد بهذا المعنى .

﴿ وشاورهم في الأمر ﴾ [سورة آل عمران ، الآية : ١٥٩]

الديمقراطية تصرف أساساً إلى نظام في بناء المؤسسات وهناك فارق بين التنظيم الشوري والتنظيم الإسلامي فالنظام الإسلامي لم يعرف السلطة التشريعية ، وإنما عرف الوظيفة القضائية ، ووظيفة التنفيذ ، لأن السلطة التشريعية هي أمر مكفول من عند الله تبارك وتعالى من القرآن والسنة النبوية الصحيحة ، فالحاكم عندما يعين القاضي لا يحدد له قانوناً ، وإنما متى عينه فقد استمد ولايته في القضاء من القانون الذي يطبقه ، وهو من القرآن والسنة مباشرة .

★ ★ ★

والشوري أسلوب حياة في الأسرة وفي المدرسة وفي المصنع وفي أي مجتمع مهما صغر ، أما الديمقراطية فقد نشأت كنظام حكم سياسي ، هذا هو الفارق الكبير مع اتحاد الهدف من الاثنين وهو ضبط حركة المجتمع بحيث يزول التناقض ما بين الأفراد والطوائف . ويستطيع أن ينمو هذا المجتمع على أساس استقراره ، فالشوري في الإسلام إذن هي أسلوب حياة متكامل بدليل أن هناك آيات كثيرة تكمل فريضة الشوري ، إنها الفريضة السياسية في الإسلام .

هناك ثلاث فرائض :

الفرضية الدينية هي الصلاة عماد الدين .

الفرضية الاجتماعية وهي الزكاة .

والفرضية السياسية وهي الشورى .

★ ★ ★

أما الديمقراطية في النظام الغربي فهي حق من حقوق الإنسان حيث يستطيع الإنسان بإرادته و اختياره أن يتنازل عنه ، لكن إذا كانت الشورى في المفهوم الإسلامي فرضية إلهية وواجبًا شرعاً ليس من حق الإنسان أن يتنازل عن المشاركة في شئون أمته .

(من لم يهتم بأمر المسلمين فليس منهم)^(١) :

والشورى في الإسلام نصيحة (الدين النصيحة) .

قالوا : لمن يارسول الله ؟

قال : « الله ولرسوله ولكتابه ولأئمة المسلمين وعامتهم »^(٢) فتقديم الشورى هنا هي فرضية النصيحة . و معناها أن الشخص يقدم الرأي لخير الأمة بعد أن يبحثه من جميع جوانبه بموضوعية كاملة .

وقد أشار النبي ﷺ : « أن من حق الحاكم على المحكوم أن ينصحه » .

والشورى في الإسلام ملزمة ، وليس معلمة فحسب .

والشورى مطلوبة كمكرمة ، ومطلوبة في التطبيق كمعلمة .

★ ★ ★

يهدف الإسلام أساساً إلى إقامة دولة التوازن بين الفرقاء الممثلين للتعددية في مجتمعها ، فالتوازن هو الوسط أى العدل بين الفرقاء المتعددين .

وإقامة التوازن بين عدل ولاة الأمور وطاعة الأمة وشورى الأمة في الدولة الإسلامية مقيدة بسيادة وحاكمية الشريعة التي هي وضع إلهي ، وهي ملزمة لدولتها وهي ضرورة شرعية واجبة ، وليس مجرد حق يجوز لها أن تتنازل عنه إذا أرادت ذلك ، وهي ملزمة للحاكم حتى ولو كان نبياً أو رسولاً .

(٢) أخرجه مسلم (٥٥) .

(١) رواه الحاكم (٤ / ٣١٧) .

﴿ وشاورهم في الأمر ﴾ [سورة آل عمران ، الآية : ١٥٩] .

إن حق الطاعة الذي للدولة على الأمة يظل مشروطاً ومرهوناً ببقاء الدولة ممثلة للأمة ووضع الرضا منها .

ويركز الإسلام على أخلاقية الوسائل في التعامل وضبط المصلحة والمنفعة حتى تكون المصلحة الشرعية المقيدة ، وليس المصلحة المطلقة المتحررة من أخلاقيات الإسلام .

★★★

ويشير بعض الباحثين أنه ليس هناك أى وجه للمقارنة بين الشورى في الإسلام وبين الديمقراطية المستمدة من النظم الغربية ، فالشورى هي صلب نظام الحكم الإسلامي .

والله تبارك وتعالى يقول لرسوله الكريم ﷺ :

﴿ وشاورهم في الأمر ﴾ [سورة آل عمران الآية : ١٥٩] .

ويقول : ﴿ وأمرهم شورى بينهم ﴾ [سورة الشورى ، الآية : ٣٨] .

هذه الشورى هي من صنع الإسلام وهي أعمق في العدالة من الديمقراطية الغربية التي اتّحّلّها المسلمون في هذا العصر تقليداً للغرب ، وأخذوا منهجه حتى نسوا الله فأنساهم أنفسهم .

إن الشورى كنظام حكم إسلامي جاء كمبداً في القرآن الكريم ، طبقه الرسول ﷺ حتى أنه عندما شاور صاحبيه أبا بكر وعمر - رضي الله عنهما - في أمر من الأمور قال لهم : (لو اجتمعتما على رأي لم أخالفكم)^(١) . فأى وضوح لمعنى الشورى ومفهومها أكثر من هذا ؟ .

الإسلام وقوانين البحار

إن معظم الذين تحدثوا عن قانون البحار ، بل كلهم وحتى من العرب والمسلمين المعاصرين كلفوا أنفسهم عناه البحث حول أصول هذا القانون عند اليونان والرومان وقدماء المصريين والصين والهند ، ولكنهم لم يكلفوا أنفسهم الالتفات إلى بعث الآثار النبوية حول بعض حوادث هذا القانون .

(١) رواه أحمد (٤ / ٢٢٧) .

وقد جاء حديث رسول الله ﷺ في هذا الأمر :

« مثل القائم على حدود الله الواقع فيها كمثل قوم استهموا على سفينة فأصاب بعضهم أعلاها وبعضهم أسفلها ؛ فكان الذين في أسفلها إذا استقوا من الماء مروا على من فوقهم فحدثتهم نفوسهم قائلين : لو أنا خرقنا في نصيبا خرقاً ولم نؤذ من فوقنا » (١) .

وقد تلخص هذا الموقف في تصوير أن تنفيذ مثل هذا الهاجس من شأنه أن يلحق ضرراً بالجميع ، أو بالذين يوجدون في أعلى السفينة ، وبالذين يوجدون في أسفلها ؛ ولذلك فإن الإسلام يمنع إلحاق الضرر وهذا لفظ الحديث « فإن تركوههم وما أرادوا هلكوا جميعاً وإن أخذوا على أيديهم نجوا ونجوا جميعاً » .

ألا يمكن أن يعتبر هذا الحديث النبوي لبنة من اللبنات الأولى في قانون البحار ؟

★ ★ ★

هذه بعض الوثائق المتقدمة في التاريخ الإسلامي :

١ - وثيقة الأمان التي أبرمها عبد الله عمر أمير المؤمنين مع أهل إيلاء (بطارقة القدس) والتي تنص على إعطاءهم الأمان لأنفسهم ولأموالهم وكنائسهم وصلبانهم ولا يكرهون على دينهم ولا يضار أحد منهم ولا يسكن بإيلاء معهم أحد من اليهود .

٢ - كتاب عياض بن غنم لأسقف الراها : (أنتم فتحتم لى باب المدينة) فأتمم آمنون على أنفسكم وأولادكم ومن يتبعكم ، عليكم إرشاد الضال وإصلاح الجسور والطرق ونصيحة المسلمين (وعلى مثل هذا الصلح صالح أهل آمد وأهل ميافارقين وكفرنوثا) .

٣ - اتفاق الخليفة الوليد بن عبد الملك بن مروان مع ملك بيزنطية في شأن تعمير مسجد رسول الله ﷺ بالمدينة حيث بعث الملك إلى الخليفة بمائة ألف مثقال ذهباً ومائة عامل وأربعين حملأً من الفسيفساء حملت إلى والي المدينة آنذاك عمر بن عبد العزيز - رضى الله عنه - .

٤ - اتفاقية الصلح بين الأمير عبد العزيز بن موسى بن نصیر بالأندلس « ولا يكرهون على دينهم ولا تحرق كنائسهم ولا يؤوی لنا عدواً ولا يخوف لنا آمناً » .

(عبد الهاذى التازى - ٨ يوليو ١٩٨٩ جريدة العلم المغربية)

★ ★ ★

(١) رواه البخاري (٩٤ / ٥) .

الإسلام والعلوم العامة

مفهوم (العلوم) في الإسلام يختلف اختلافاً عميقاً عن مفهوم العلوم في الغرب ، حيث يعتمد أساساً على اختلاف مفهوم علم الاقتصاد + ملف العلوم ، مفهوم النفس والأخلاق ، العلوم التجريبية والعلوم الإنسانية .

المنهج الإسلامي :

- ١ - يبدأ من الكون كله وينتهي بخالق الكون .
- ٢ - يضع الإنسان في مكانه الحقيقي بوصفه مستخلفاً في الأرض فليس الإنسان مجرد آلة ، كما أنه ليس دمية تحرّكها روح العلم .
- ٣ - ليس هناك حتمية تاريخية تقود الإنسان إلى مصير ما ، فأعمال الإنسان المختارة هي السبب في صنع التاريخ وهو المسئول عن حركته ، وليس مجرد ضحية القوانين ساذجة محدودة تطلق به من مرحلة إلى مرحلة .
- ٤ - الحياة في مفهوم التاريخ الإسلامي لا تقع في دائرة الاقتصاد أو البيولوجيات ، وإنما يسمى بغاية الإنسان إلى آماد عالية .
حيث يقوم الإنسان بإقامة المجتمع الرياني .
ويعيش الإنسان على الأرض فترة اختبار ليثبت الإنسان أنه على مستوى الاستخلاف .
- ٥ - حركة الإنسان في الحياة مرتبطة بقوانين الله تبارك وتعالى وسننه في تيسير الحياة وبقوانين النمو .
وتيسير الحياة على التعاون أكثر من الصراع .
الصراع سمة مرحلة من عوامل الحياة ، ولكنه ليس السمة العامة المسيطرة على حركة التاريخ .

★ ★ ★

اختار الإسلام لتفسير قضية الحرية الإنسانية حلاً وسطاً بين نظريتين متناقضتين : هما نظرية الجبرية الذين ينفون ظاهرة الحرية نفياً مطلقاً والنظرية التي تقول بالحرية الشاملة .

أن الإنسان حر في تصرفاته ، ومسئولي عن أفعاله ، فهو ليس لعبة للقدر كما يدعى بعضهم ، وليس كذلك أداة مسخرة للإرادة الإلهية ؛ للإنسان إرادة داخل إرادة الله الكبرى ، ويحاسب على عمله وفق مسئولية الفرد وحرية الاختيار .

وليس هناك قانون جبري يحكم حركة الإنسان وإنما كان هناك ثواب وعقاب وحساب وليس حركة الكون إلا ضوابط للسير ، وفي داخل هذه الضوابط يستطيع الإنسان أن يجد كل حريته وكل إمكانات الحركة وفقاً لقول الله تبارك وتعالى : « وَهُدِّيْنَا النَّجْدِيْنَ » [سورة البلد ، الآية ١٠] .

فباستطاعة الإنسان أن يتحرك في أي نجد يريد في طريق الخير أو طريق الشر وقوانين الكون التي وضعها الله تبارك وتعالى تسمح له بهذه الحركة .

★ ★ ★

الوسطية الإسلامية :

يقول الدكتور / محمد عمارة : الإنسان المسلم ليس المجبى الذى لا حول له ولا طول ، وليس الحر دون حدود أو قيود وهو حر في إطار قدرته واستطاعته . وهو حر من حيث إنه مستخلف في الأرض ملتزم ومقيد بشرعية الله تبارك وتعالى . وهو حر في إطار عقد الاستخلاف والإنابة .

ودولة المسلم ليست الدولة الدينية التي تنفي كون الأمة مصدر السلطات ، وليست الدولة العلمانية التي تبىح لسلطات الأمة تجاوز عقد الاستخلاف بإباحة الحرام وتحريم الحلال ونظامه الاجتماعي هو الذي يتوسط بين النظام الظبى ليس النظام الاجتماعي الذي ينكر التمايز الظبى في المجتمع وإنما هو النظام الذي يتوسط بين النموذجين ، فالإسلام دين الجماعة والمسئولية فيه فردية من فروض العين ، واجتماعية من فروض الكفاية ، والتمايز الظبى في مجتمعه حقيقة تمثل الفطرة الإنسانية في تفاوت القدرات والملكات .

والعلاقة بين هذه الطبقات لابد وأن يحكمها التوازن أي العدل فكل طبقة تعتمد على الأخرى .

فإذا اختل ميزان العدل بين الطبقات ، فإن الوسطية الإسلامية ترفض الظلم وأيضاً ترفض الصراع .

(التعددية في إطار الوحدة) :

دين الله واحد وشرائعه متعددة بتنوع أمم الرسالات السماوية : « لَكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شَرِيعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً » [سورة المائدة ، الآية ٤٨].

الوسطية الإسلامية رفضت الجمود وهي ترفض الحداثة التي تقتلع الجذور وتطمس الهوية وتقطع التواصل الحضاري عندما تسوى بين الثوابت والمتغيرات .

رفض هذه الحداثة كما ترفض التحجر والجمود .

كما تميز بين المشترك الإنساني العام الذي لا يتغير ، وبين الخصوصيات الحضارية والثقافية .

حيث تختلف كل حضارة من حيث مكوناتها وموارishها .

والسؤال هو : ما هي القسمات الرئيسية التي ميزت ثقافتنا الإسلامية في طور أصالتها عن غيرها من ثقافات الأمم والحضارات الأخرى ؟

يقول الرسول صلى الله عليه وسلم : « الوسط العدل » ^(١) « وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطِيًّا » [سورة البقرة ، الآية ١٤٣].

والكرم توازن وعدل بين الشح وبين الإسراف والتبذير ، والشجاعة وسط بين الجبن والتهور .

« وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطِيًّا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ » .

[سورة البقرة ، الآية ١٤٣]

ليست التوسط المعزول عن الطرفين أو القطبين ، إنها موقف جديد ولكنه لا يعني قطبي الظاهرة المدروسة موقف جديد يتألف من عناصر الحق والعدل في القطبين معاً ومن هنا تكون موازنة ثقافتنا وحضارتنا بين العقل والنقل فهي لاتتحاول لواحد منها دون الآخر ، كذلك المؤاخاة بين الحكمة والشريعة باكتشاف ما بينهما من الاتصال .

تقرب النقل بالعقل ، وتحكم غرور العقل فيما لا يستقل بإدراكه بالأدلة النقلية التي جاءت من صاحب العلم المحيط والكلى عالم الغيب والشهادة والجمع بين كتاب الوحي المقرؤ وكتاب الكون المنظور والجمع بين الوحي وعلومه ، والوجود وعلومه الطبيعية .

★ ★ ★

(١) رواه أحمد (٣٢١ / ٣) .

الفرق بين قهر الطبيعة والتسخير الإلهي :

ما يقال من أن الإنسان في عصر العلم قد قهر الطبيعة وذللها ، وأنه قد أخضع المادة لمعرفته ونصره ، وأنه قد صار سيد الكون ، وأصبح مستغلياً بنفسه ، قائماً بذاته حتى كتب بعض الملحدين في ذلك وألفوا .

كما تجد في كتاب جولييان هلسكي الموسوم : (الإنسان يقوم وحده ولم يعد في حاجة إلى إله يعينه) .

ويضربون الأمثلة على قهر الطبيعة بأنواع الصناعات وفنون التعدين واستخدام الطاقة الكهربائية والتلوية وغيرهما .

كما يضربون الأمثلة أيضاً في علوم الحياة بالتقديم الملحوظ في الإنتاج الحيواني فالإنسان لم يعد في حاجة إلى انتظار مطر السماء ، وذلك بعد أن فجر بناية الأرض ، وأفاد من مياهها الجوفية أو مياه أنهارها الجارية ، وفجرها أمام السدود .

لقد سخر الله تبارك وتعالى الحجارة والجبال والأنهار وسخر الله تبارك وتعالى المعادن وقابلية الحديد للطرق وإسالة الحديد « وتنحتون من الجبال بيوتاً فارهين » .

[سورة الشعراء ، الآية : ١٤٩]

الحقيقة أن وراء هذا الكون قوة مدبرة ولراحة مسخرة بها ذل لنا وقهر لمصالحنا .

ولسنا نحن الذين سخريناه ورتناه على ما هو عليه فقد أتى عليها حين من الدهر لم تكن شيئاً مذكورة .

ونصوص القرآن في هذا الصدد تصرح بكلمات التسخير والتمهيد والتذليل ، وهي تنسب جميعاً إلى الله - عز وجل .

★ ★ ★

علم السنن والقوانين الاجتماعية والكونية والبشرية :

سواء ما يشير إليه القرآن أو السنة أو ما يوحى به التطور التاريخي والحضاري الإسلامي .

يقول الدكتور / عبد الحليم عويس : هناك سنن إلهية أشار القرآن إليها تتعلق بالكون ، وهناك سنن اجتماعية أشار إليها القرآن كذلك ، وفيه سنن تتعلق بالنفس البشرية يمكن أن نجدها في القرآن .

وهنالك سنن كونية واجتماعية ونفسية تحكم حركة الفرد والإنسان والمجموع ، ومن يقلب صفحات تاريخنا بين قوة وضعف يجد شواهد ، وقد تناول بعض أقطاب فكرنا الإسلامي هذه السنن في دراساتهم .

منهم : ابن خلدون في ميدان التاريخ والمجتمع ، وابن تيمية ، وابن القيم في مجال السياسة الشرعية .

يقول السيد رشيد رضا : (الجزء الرابع من المنار) إن إرشاد الله إلينا إلى أن له في خلقه سنناً توجب علينا أن نجعل من هذه السنن علمًا أرشد إلينه القرآن بإجمال ، وبينها العلماء بالتفصيل .

★ ★ ★

آيات الله في الآفاق :

لو كانت الأرض في حجم القمر لعجزت عن الاحتفاظ بالغلاف الجوي والماء ، ولصارت درجة الحرارة فيها قاسية إلى حد الموت .

ولو كانت الأرض في حجم الشمس مع احتكاكها بكثافتها لتضاعفت جاذبيتها للأجسام التي عليها ١٥٠ ضعفًا ، ولأنكمش ارتفاع الغلاف الجوي من ٥٠٠ ميل إلى أربعة أميال ، وأصبح تبخّر الماء مستحيلًا ، ولارتفاع الضغط الجوي إلى ما يزيد على ١٥٠ كيلو جرامًا على المستوي المربع ولتضاعل جسم الإنسان إلى حجم الفأر الكبير ولتعذر الحياة لمثل هذه المخلوقات ، ولو أزيحت الأرض إلى ضعف بعدها الحالى عن الشمس لانخفضت كمية الحرارة التي تلقاها من الشمس إلى ربع كميّتها الحالى وبمعنى هذا تجمد المحيطات والبحار ، وتعلق الأرض كلها خلية تسحق الحياة وتقضى عليها ، ولو بقيت المسافة بين الأرض والشمس إلى نصف ماهي عليه الآن لبلغت الحرارة التي تلقاها الأرض أربعة أمثال وهذا يعني أن تبخّر المحيطات والبحار والأنهار وتموت الأرض من العرائق .

والسؤال هو من المسئول عن اضطراب قوانين الحركة وانسجامها بحيث لا تصطدم النجوم بالنجوم ، ولا تبتلع الشمس الأرض ، ولا يتحطم القمر . وهو يصطدم بالأرض ؟ : هو الله تبارك وتعالى : « إن الله يمسك السموات والأرض أن تزولا ولئن زالتا إن أمسكهما من أحد من بعده » [سورة فاطر ، الآية : ٤١] .

أما خلايا مخ الإنسان فتبلغ ستة آلاف مليون خلية .

الإسلام والقضاء على الرق :

قضى الإسلام على الرق وجفف منابعه ، ومن بينها استرقة العاجز عن سداد الدين فالغى الإسلام كل الألوان ما عدا أسرى الحرب خصوصاً للضرورة التي لا فكاك منها .

قال رسول الله ﷺ : « إخوانكم خولكم فمن كان أخوه تحت يديه فليطعمه مما يطعم ويبلسه مما يلبس ، ولا تكلفوهم ما يغلبهم ، فإن كلفتموه فأعینوه » (١) .

وفتح الإسلام الباب لعتق الأسرى حين جعل ذلك لمن يعلم عشرة من المسلمين القراءة والكتابة ، كما حدث في موقعة بدر .

ونص القرآن على أن كفارة بعض الذنوب في عتق الرقاب وكفارة القتل الخطأ ، وجعل المكاتبة وهي منهج الحرية للرقيق متى طلبها في مقابل مبلغ من المال يتفق عليه مع سيده .

ما ذكرت في المأمور
من أحكام العدالة
في العقوبات
والمساءلة

★ ★ ★

(١) رواه البخاري (١٤ / ١) .

باب السادس

عقائد الإسلام

(١) عقائد الإسلام ثلاثة : عقيدة التوحيد .

عقيدة الرسالة .

عقيدة البعث .

وأعلى العقائد : عقيدة التوحيد والإيمان بالله تبارك وتعالى .

يقول أبو الأعلى المودودي :

الإيمان بالله : بأنه موجود ، وبأنه واحد ، وبأنه الخالق لهذا الكون ومالكه وحاكمه ومسيره ، وبأن الكون قائم بامساكه إياه وسائر بتسيره إياه ، وهو الذي يولى كل شيء فيه ما يحتاج إليه من الرزق أو القوت لبقاءه ، وهو الذي يتسم بجميع الصفات الحاكمة لا يشاركه فيها أحد ولو بمقدار قطمير .

وهو الذي يتصرف بجميع صفات الألوهية ولا يملك أحد غيره أية صفة من هذه الصفات ، وهو بصير بكل ما في السموات والأرض ، عليم بكل شيء فيهما علمياً مباشراً لا يحيط بحاضرها فحسب ، بل بماضيها ومستقبلها أيضاً ، ليس لأحد غيره هذه العين التي تبصر الجميع ، وهذا العلم بالغيب الذي يحيط بكل شيء ، وهو قائم من الأزل وباق إلى الأبد وكل من سواه فان ، وهو الواحد الحق بحياته والباقي ببقائه ، لم يلد ولم يولد وكل ما في السموات والأرض مخلوق له ، وليس لأحد فيهما أن يقول هذا رب الكون أو ابنه أو ابنته بأى معنى من المعانى ، وهو المعبد الحقيقى للبشر وإشراك غيره فى عبادته لهو أعظم الجرائم وأكثرب أنواع الخيانة ، وهو الذي يجيب دعاء الإنسان وله الخيار «أن يستجيب له أو لا يستجيب وأن يمتنع الإنسان عن الدعاء إليه كبراً بغير حق ، أو يدعوه معه إله آخر أشركه فى ألوهيته فهو جهل مفض .

(٢) عقيدة الإيمان بالرسالة تأتى بعد عقيدة التوحيد :

يقول أبو الأعلى المودودي : فالرسول ﷺ شخص يتزل الله تعالى قانونه على البشر

بواسطته ويصلنا هذا القانون من الرسول الكريم ﷺ بصورتين :

(أولهما) : وحى الله تبارك وتعالى بنفس الألفاظ التي نزل بها على الرسول وهو القرآن .

(ثانيةهما) : الأقوال والأعمال والأوامر والنواهى التي توجه بها الرسول ﷺ إلى أتباعه وفق تعليمات الله تبارك وتعالى ، وهي (السنة) وأهمية هذه العقيدة أنها إذا لم تكن ، يبقى الإيمان بالله فكرة جوفاء وتصوراً مجرداً .

والسعى الذي يسوغ عقيدة الإيمان بالله في قلب الحضارة والمدنية ونظام الحياة البشرية هو توجيه الرسول الفكري والعملي إذ بواسطته يصلنا قانون الله تبارك وتعالى وهو الذي يبني قواعد الحياة تبعاً لمقتضى هذا القانون ؛ ولذلك لا يصير الإنسان مسلماً إلا إذا آمن بالرسالة بعد إيمانه بالله تبارك وتعالى .

★ ★ ★

(٣) عقيدة الإيمان بالبعث هي الحقيقة التي تربط الدنيا بالآخرة فالإنسان يعيش في هذه الدنيا لأمرتين : لحياته في الدنيا وللحياة الأخرى وعمله في الدنيا هو الذي سيقرر حياته في الآخرة ، تلك الحياة الطويلة القائمة على أن تكون الدنيا هي التي تهب الإنسان مكانته بين الجنة أو النار في الآخرة .

★ ★ ★

التوحيد في الإسلام له ذاتية خاصة :

يختلف توحيد البيانات غير السماوية عن ديانات السماء ، وتعلو فكرة توحيد الإسلام على كل أنواع التوحيد (سواء أكان توحيداً صحيحاً جاء به الرسل عن الله تبارك وتعالى أم توحيد السيادة والغلبة) وتوحيد الإسلام لا سيد ولا مسود في رحابه .

وأخطأ جولد زيهير المستشرق اليهودي المجرى الذي زعم أن محمداً أخذ عقيدته الدينية من اليهودية أو المسيحية أو من غيرهما ذلك أن عقيدة التوحيد عند نبي الإسلام ﷺ تختلف ما عند غيره من يهود ومسيحيين ووثنيين .

ويرجع خطأ جولد زيهير إلى أن تبشير النبي العربي ليس مزيجاً من معارف وآراء دينية عرفها أو استقاها بسبب اتصاله بالعناصر اليهودية والمسيحية وغيرها (على حد قوله في كتاب العقيدة والشريعة) وهو وهم باطل يهدمه الحق وواقع التاريخ .

والمنطق والعقل والواقع ينفي استقاء أى فكر دينى فى رحلته كما أنه لم يجادل كفار مكة إلا بعد النبوة ، بل إن مشركى مكة من قريش يقولون : إن محمداً أخذ مزاعمه من غيره من العجم .

﴿ولقد نعلمُ أنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يَعْلَمُهُ بَشَرٌ نَّاسٌ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمٌ وَهَذَا نَسَانٌ عَرَبٌ مُّبِينٌ﴾ [سورة النحل ، الآية : ١٠٣] .

كذلك لم يكن الكتاب المقدس لليهود قد ترجم فى هذه الفترة إلى العربية .

والفارق كبيرة بين الكتاب المقدس والقرآن فى عدة أشياء أهمها أن الله تبارك وتعالى فى الإسلام رب العالمين واحد أحد لا شريك له ولاند ولا شبيه ولا مثيل ولا صاحبة ولا ولد وكامل كاماً مطلقاً منهاً عن كل النقائص أما فى الديانات اليهودية والمسيحية ليس واحداً بل هو ثالث ثلاثة فى المسيحية والبرهنية والبابلية ، وفي اليهودية واحد يتكرر ويتعدد وله أشباه ونظائر يعرف إلههم بالواحد المسمى (يهوه) باللهة آخرين ، وإن كانوا لا يعبدونها .

★ ★ ★

ومن أبرز الحقائق أن التوحيد ليس وليد التطور العقلى ، فقد دأب الباحثون على تصوير نشأة العقيدة بأن التوحيد هو آخر مراحل تطور الألوهية ، وهم يظلون أن العقل البشري ظل يترقى حتى وصل من تعدد الآلهة وعبادة قوى الطبيعة إلى مرحلة التوحيد ويرى البعض أن أخناتون هو أول داعية للتوحيد ، ومن خطأ الاعتقاد أن العقيدة بدأت بعبادة قوى الطبيعة بالرمز عليها فى صورة تماثيل أو أنصاب وانتهت إلى وحدة أخناتون البشرية . والحقيقة أن البشرية بدأت موحدة ثم انحرفت عن الطريق السوى .

وتأكد كل الأبحاث الجادة المعتمدة على القرآن والسنة ، أن التوحيد الحالى لم يعرفه إلا الإسلام الذى أنكر جميع أنواع الشرك والتعدد ، ولم يجعل بين الله تبارك وتعالى ، وبين الإنسان حائلاً أو وسيطاً : ﴿وَإِذَا سَأَلْتَ عَبْدَى عَنِ إِنَّى قَرِيبٌ أَجِيبُ دُعَوَةَ الدَّاعِي إِذَا دَعَانِ﴾ [سورة البقرة ، الآية : ١٨٦] .

ويقول برنارد شو فى : (قصة الرنجية تبحث عن الله) : إن محمداً خطأ خطوة كبيرة إلى الأمام عندما أحل ديانة التوحيد فى محل عبادة الأصنام ، ودعا إلى إعادة النظر فيما أحاط الأديان السابقة له من الشوائب ، وإلى التعرف على الجوهر الصحيح فيها ، إن الوصية الثانية من وصايا الله تبارك وتعالى المذكورة في التوراة والتي تقول : (لا تصنع لك تمثلاً

منحوتاً ولا صورة من الصور ولا تسجد لها ولا تعبدها) .

هذه الوصية تجد احتراماً من المسلمين أكثر مما تجد من المسيحيين .

ويقول الدكتور / إبراهيم بيومي مذكور : إن مفهوم التوحيد الذي يقدمه الإسلام ، والذى ما نزال نتطلع إليه فى العصر الحديث : هو المفهوم القرأنى الحالى على نحو ما عرف فى الصدر الأول من المؤمنين بالإسلام بعيداً عن الخوض فى النظريات الفلسفية والأساليب المنطقية التى درج عليها المتكلمون .

وبعيداً عن المصطلحات الفلسفية المعقدة والكلمات الفنية الجامدة التى تكدر الذهن وتعجب العقل واستقاء العقيدة من النبع الصافى لا لبس فيه ولا غموض .

★ ★ ★

إن إفراد الله تبارك وتعالى بالعبودية هو فى الحقيقة الواقع رفض العبودية لأى كائن سواء فى الأرض أو فى السماء وتحرر مأمون من سلطان النفس الأمارة بالسوء .

إن عبودية الإنسان هي لله وحده هي طريق حريته وخلاصة من القيود الآثمة ، ولن يكون له حرية عزيزة محبذة بدونها أبداً إن أخطر أنواع العبودية المعاصرة هي عبودية الإنسان لأهوائه وشهواته التى أهبطت مستوى الخلقى والاجتماعى والحضارى وعبودية للأفكار الجاهزة المستوردة المدفوعة لوسائل الدعاية المغربية التى عطلت طاقاته الفكرية والمعنوية أو جمدتها على الأقل .

إن عبودية الله تبارك وتعالى هي طريق التحرر الإنساني ، هي قضية الإسلام الأولى المعروضة علينا فى كل زمان ومكان وهى ترتكز فى نفوسنا وأفكارنا .

★ ★ ★

إن الاعتقاد بالتوحيد الحالى يقيم تراثاً نافعاً ومهماً للطبيعة الإنسانية هو أن أتباع هذا الدين يسهل لهم الاعتقاد بأن جميع الأشياء فى العالم مرتبطة حسب قانون واحد بغض النظر عن الخلافات والتفاصيل فحيث تكون علة الكون واحدة يكون القانون واحداً ، وأن كل تقدم فى مفهوم الإسلام يجب أن يقوم على التحرر من عبودية غير الله تبارك وتعالى ، ومن كل سلطان غير سلطانه ، وأن تجرى حركة التقدم كلها فى إطار أخلاقي .

ذلك أن جميع وسائل التطور هي عبارة عن مواد خام قد تستورد لسد الحاجات ،

ومن الممكن أن تجرى عليها عملية سبك وتحويل وانصهار لتخرج إلى القالب الذي يتفق مع كيان الأمة وروحها .

★ ★ ★

المطالبة بتطبيق الشريعة أكبر مظاهر الصحوة الإسلامية :

تطبيق الشريعة الإسلامية فرض وضرورة ، بمعنى أننا لسنا في خيار بالنسبة للشريعة بعد أن رضينا بالله ربنا ، وبالإسلام دينا ، وبمحمد صلوات الله وآمين عليه رسولا ، وبالقرآن إماماً ومنهاجاً .
«هذا ولي نعمتنا هى الله العزيم وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمرًا أن يكون لهم الخيره من أمرهم » [سورة الأحزاب ، الآية ٣٦] .

فهي فريضة وضرورة بعد تجربتنا للشريعات والأنظمة الأخرى ، والتي لم تسعنا من شقاء ، ولم تقوانا من ضعف ، ولم توحدنا من فرقه ولم تؤمننا من خوف ، ولم تطعمنا من جوع ، وما زلنا نتخطى من رأسمالية إلى اشتراكية إلى ثورية لنذهب إلى اليمين إلى اليسار .

ونحن محلك سر ؟ لهذا لابد لنا من الرجوع إلى الإسلام وإلى شريعته ، وهذا يتطلب منا أولاً فهم الشريعة الإسلامية الفهم الصحيح ، فهناك سوء فهم لها فبعضنا يقول : «هذا ولي نعمتنا هى الله العزيم الشريعة الإسلامية القصد منها الجانب القانوني فيها فقط وخاصة جانب العقوبات إلى الحدود » .

وهذا فهم قاصر ومبtour للشريعة الإسلامية ، والحدود يقيناً من الإسلام ، ولكن ماذا تكون من شريعة ورسالة الإسلام ، فالشريعة الإسلامية تنطلق بمعناها الواسع .
(العقيدة والأخلاق والعبادات والمعاملات) .

يتعلق بالتشريع الاقتصادي والاجتماعي والسياسي والدولي ، ولابد أن نأخذ الإسلام متكاملاً لا ينفصل بعضه عن بعض . فمثلاً لا يجوز أن آخذ السارق وأقطع يده في الوقت الذي لم أعلمه فيه ما هو الإسلام وما هو السلوك الفاضل الذي يجب أن يسلكه ، وفي الوقت الذي لم أوف له الحياة الكريمة والقدوة الصالحة فكيف أقطع يده قبل جلب الزكاة من الأغنياء لإعطائهما للفقراء وقبل إقامة تكافل اجتماعي حقيقي فهذه الأمور مترابطة بعضها مع بعض ، ولذلك لا يجوز التركيز على جانب ، وترك جانب آخر فقبل تطبيق الجانب التشريعي عامه ، والجانب الجنائي خاصة لابد أن نرى على الإسلام أى التربية

الإسلامية منذ الحضانة ، والذى يبدأ من الأسرة أولاً ثم الدراسة على مختلف مراحلها ، فالجامعة لتكوين الشخصية المسلمة التى تعرف الحق وتحب الخير وتسلك السلوك الحسن ، وتحشى الله عز وجل فى معاملاتها فتحن نريد هذه التربية المتكاملة : نريد العمل الفكري لمطاردة الغزو الفكرى الذى تقوم به الجامعات والمؤسسات الفكرية ، وأيضاً العمل الإعلامى تقوم به أجهزة الإعلام لتقرير القيم الإسلامية فى المجتمع ، وغرس الأفكار والمشاعر الإسلامية ولكن حينما نقول : إن تطبيق الشريعة المقصود منها هو تغيير القوانين إلى قوانين إسلامية وكأننا لو جعلنا ذلك لقام المجتمع المسلم ، واستأنف الحياة الإسلامية من جديد فقد نفعل هذا ولا يقوم المجتمع المسلم وتطبق الشريعة الإسلامية لا يتغير شيء .

نحن نريد تغيير الأمور من جذورها : تغيير العقلية النفسية ، السلوك نريد إنساناً سوياً مسلماً مستقيماً على أمر الله يحب أخيه ما يحب لنفسه ، يرضى الله والدار الآخرة لا يريده علواً في الأرض ولا فساداً سواءً كان محكوماً أم حاكماً ، فإن وجدنا ذلك المفتاح فتحت لنا الكثير من المغاليق ، فإذا فهمنا الشريعة بهذا المعنى لا توجد أى مشكلة .

فهناك الكثيرون لا يكرهون الشريعة الإسلامية إنما يخالفون سوء الفهم والتطبيق ، لذلك لابد أن نشيع الفهم المتوازن لنتقى تحريف المغاليق وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين للشريعة الإسلامية حتى يصلوا لتطبيق كامل متوازن وينفذوا شريعة ربهم حتى يرضى الله عنهم ولا يكونوا من الفاسقين أو الظالمين أو الكافرين إذا لم يحكموا بما أنزل الله كما قال تعالى : « ... ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون » ... « ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون » ... « ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون » . [سورة المائدة الآيات ٤٤ ، ٤٥ ، ٤٧] .

★ ★ ★

ما هي التحديات التي تواجه تطبيق الشريعة وكيف يمكن التغلب عليها ؟ العالم الإسلامي موجود على الخريطة جغرافياً لكنه ~~ما زال~~ يفتقد هويته الإسلامية ذاتيته ، فلا وجود له إلا بالإسلام ، فهو بالإسلام كل شيء ، وبدونه لا شيء ، وانتصار العالم الإسلامي وتحقيق ذاته لا يكون إلا حينما يصير الإسلام أساساً لحياتنا فكراً وخلقاً وتشريعاً ونظاماً للحياة .

إن الإسلام لم يأخذ حقه في توجيه هذه المجتمعات والتشريع لها نتيجة لعوامل كثيرة بعضها من رواسب عصور التخلف الأخيرة عند المسلمين ، والبعض الآخر نتيجة

للغزو العسكري والسياسي والفكري والتشريعي والاجتماعي للغرب وأخطر أنواع الغزو : هو الغزو الفكري الثقافي الذي يحتل العقول والأفكار ، وهذا النوع من الغزو لا يعمل فقط مع عامة الشعوب ، وإنما يعمل أيضاً مع القيادة : قادة الفكر والسياسة ، فهو يصطفيهم لنفسه ، ويصنعهم على عينه ويربيهم على يديه ليقودوا الجماهير ، وهم يتربون الشعوب والجماهير في غفلتها مشغولين بلقمة العيش وبهموم الحياة مركزين فهمهم في صنع القيادة لينفذوا خططه ، وليقودوا الشعوب بعد ذلك لما يريد الاستعمار لا لما يريد الإسلام .

★ ★ *

كيف يواجه العالم الإسلامي هذا الغزو؟ ثم ما هو دور علماء المسلمين في هذه المواجهة؟

مواجهة الغزو الفكري تتطلب منا معرفة ما هو الغزو الفكري؟ ومن هم الغزاة؟ ومن هم عملاؤهم ورجالهم؟ ثم ماهي أهدافهم؟ فهل يهدفون الأسرة أو المجتمع أو الأمة الإسلامية ككل؟ فالمعرفة هي أول الطريق لمحاربة شيء نجهله ، أى معرفة مادا نقصد بالنسبة لفكرة الدين من حيث هو عقيدة وشريعة وحضارة وتاريخ معرفة موقفه من القرآن الكريم كمصدر أساسى ، ومن السنة باعتبارها المصدر الثاني ، ومن السيرة النبوية وشخصية الرسول ﷺ والصحابة ، وأيضاً معرفة الغزو الفكري للغة العربية باعتبارها أداة الوعى والوعاء الثقافي للإسلام واللسان المشترك للتواصل بين المسلمين ، ثم معرفة الأسلحة المستخدمة هل تستخدم المدرسة؟ ، وفى أى المراحل؟ أم تستخدم الجامعة؟ أم تعتمد على وسائل الإعلام؟ ، أى معرفة توعيات الأشخاص التي يستخدمها الغزو الفكري للهجوم على الإسلام . علينا دراسة هذا الغزو دراسة واعية للتمييز بين ما يقبل وما يرفض عليهم ثم بعد الدراسة تأتي مرحلة التخطيط فلم يعد هناك عذر في القول بأن الصهيونية تخطط والصليبية وال Mansonية والشيوخية والتبيشيرية تخطط لنا ، فلماذا لا نخطط كما يخططون كما يقول سيدنا أبو بكر - رضي الله عنه - : حاربهم كما يحاربونك ، السيف بالسيف والرمح بالرمح والنبل بالنبل .

فإن كانت حربهم عن طريق المدارس ، فلتكن لنا مدارسنا أو عن طريق الكتاب فلنحارب بالكتاب ولنعمل كما يعملون ، فإن لم نفعل كما يفعلون تكون فتنة في الأرض وفساد كبير ، فلابد من التلاقي والتشاور لمقاومة هذه التيارات وتحرير المسلمين من آثارها .

العلمانية صورة من صور الغزو الفكري فما هي العلمانية ؟ وكيف نحمي الشباب المسلم من الغزو العلماني ؟

العلمانية يقصد بها الفصل بين الدين والمجتمع ، والدين والدولة أى يكون الدين فى واد ، والدولة فى واد آخر ، والقرآن فى واد ، والسلطان فى واد آخر ، وهذا فى الواقع فكر يرفضه الإسلام تماماً .

فإلاسلام ينظر إلى الإنسان باعتباره وحدة لا تفصل فيها الروح عن المادة فهو كيان واحد وهذا ما يقرره أيضاً علم النفس كذلك ينظر الإسلام إلى الحياة كأنها كيان واحد . ومن هنا جاء الإسلام ليخاطب الكيان الإنساني كله ويوجه الحياة الإنسانية كلها ، وليس في الإسلام كما في النصرانية (دع ما لقيصر لقيصر ، ودع ماله لله) . لاتنقسم الحياة بين الله ، وبين قيصر ولا بين الدين الذي تمثله الكنيسة والدنيا التي تمثلها الدولة .

وكذلك فالعلمانية بمعنى عزل الدين عن الحياة والمجتمع والدولة مرفوضة في المنطقة الإسلامية وفي الدين الإسلامي هي فكرة دخيلة علينا وأساسها غربي ، وهي أن الكنيسة في العصور الوسطى تدخلت في الفكر الحر ، وفي الحياة وقاومته ، ووقفت من الملوك ضد الشعوب ومع الأباء ضد الفلاحين ومع الجمود ضد التحرر ، وقامت محاكم التفتيش لكل عالم مبتكر ، ولكل ذي فكر حر ، وأحرقت الكتب والجثث وما عملية محاكم التفتيش مسجل ومدون وتفتخر به بطون كتب التاريخ ، ولذلك حينما انتصرت النهضة الحديثة انتصرت على حساب الكنيسة والدين .

مقوله لاسياحة في الدين ولا دين في السياسة مرفوضة :

للأسف هناك من يريد نقل مافي الغرب كله ، وهذا خطأ فلا يجب قبول ونقل الحضارة الغربية كلها كما لا يجب رفضها ككل بل أخذ ما يلائمنا أخذ الجانب المادي والتكنولوجي والتنظيمي والإداري والحضارى لنعرف كيف ننظم الشئون الإدارية ، ولا مانع من أن نأخذ ما نحافظ به على الصحة وينمِّي الوباء ، فالرسول ﷺ أخذ من بعض أساليب الفرس في قضية حفر الخندق حول المدينة ، ولم يكن ذلك من أساليب العرب أيضاً ،

وحين استعان الرسول ﷺ بنجار رومي لبناء منبر لخطبة الجمعة بدلاً من جذع التخلة الذي
كان يخطب عليه الرسول ﷺ .

أى لامانع من أحد الأساليب والوسائل التى تيسر على الناس الحياة لكن لا نقبل
تلقي الأفكار والقيم والتشريعات والفلسفات الغربية أيضاً نحن لا نقف ضد العلم ، فالعلم
عندنا دين ، والدين عندنا علم ، ورجال الفكر والفلسفة والعلماء والأطباء كلهم نشأوا نشأة
دينية ، ويلمدون العلوم الدينية مثل الخوارزمي ^{بن} رشد وغيرهم . وعزل الدين عن التشريع
والسياسة والتعليم .

أما قول « لاسياحة في الدين ولا دين في السياسة » فمروض إسلامياً .

أما عن القول بتفضيل الاتجاه العلماني على الاتجاه الإسلامي ، فالقول بأن العلمانية
تجمع المواطنين جمياً دون تفرقة ولا طائفية ولا عصبية دينية ، فهذا القول مردود ،
فالاتجاه العلماني دائماً يعارضه من الناحية القومية البحتة أقليات ترى أن لنفسها قومية غير
قومية الأغلبية فإذا كان الكتابي يقبل الحكم العلماني لأنه غير ملزم بشريعة . ولأن كتابه
يقبل قسمة الحياة بين قيصر والله « دع مالقيصر لقيصر وما لله لله » فالMuslim مadam Muslimاً
لا يقبل ذلك لأنه مقيد بشريعة مفصلة تحدد له منهاج حياته من أدب المائدة إلى بناء
الدولة ، وشئون الخلافة أو الإمامة العظمى ؛ لأن الحياة عنده لا تقبل القسمة بين الله وبين
أحد غيره فقيصر وغيره والناس جمياً عباد الله .

ويجب أن يخضعوا لأمر الله وشرع الله ، والحكم العلماني بطبيعته ضد رغبات
المسلمين ؛ لأنه ضد التزامهم بعقيدتهم وشريعة ربهم .

فكيف يقال : إنه يجمع المواطنين جمياً وهو يعارض دين الأغلبية واتجاهها ؟

أما القول بأن الحكم العلماني لا مجال فيه لطائفية ولا عصبية دينية مما يفهم أن
الحكم الإسلامي يثير التفرقة الطائفية والعصبية الدينية ، فالأمثال على ذلك كثيرة فلبنان
 بلد علماني الحكم ، ولا تزال الطائفية فيه على أشدتها ولا يزال المسلمون يشكون من سوء
نصيبهم في مناصب الدولة ومقامات الحكم حتى انتهى الوضع إلى الحرب الأهلية الأخيرة
التي جرت الخراب على الجميع والتي يأسف لها كل من له دين وعقل ، وفي الهند تقوم
المذاييع الرهيبة بين الحين والآخر مثل مذابح الشيخ والهندوس ولهذا تسقط الدعوى القائلة
 بأن الحكم العلماني لا يدع مجالاً للتفرقة الطائفية ولا العصبية الدينية ، أما الاتهام الثاني

فهو اتهام الحكم الإسلامي بالتعصب الديني ، فهو اتهام ظالم ليس له أساس من شريعة الإسلام ولا من تاريخه أما شريعة الإسلام فحسبنا قوله تعالى :

﴿ لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يَقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِّنْ دِيَارِكُمْ تَبَرُّهُمْ وَتَقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ * إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُمْ مِّنْ دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَى إِخْرَاجِكُمْ أَنْ تَوْلُوهُمْ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾ [سورة الممتحنة ، الآياتان ، ٩ ، ٨]

أما حماية الشباب المسلم من العلمانية ولا يقوم هذا على أساس مجرد الخطب والعاطفة ، بل يجب تعريفه أولاً بالعلمانية والإسلام ، ولماذا قامت في الغرب ؟ وهل هناك سبب أو أساس لقيامها عندنا ؟ وإذا قامت فما أضرار قيامها على مجتمعنا ؟ وهل يمكن أن نعيش بدون الإسلام ؟ وما أثر الإسلام في حياتنا الفردية والجماعية ؟ فالتعريف الحقيقي بالإسلام سيحميه من سموم العلمانية .

فالشباب المسلم يحتاج إلى توعية بالجانب الفكري وبالتربيه الجانب المتكامل الذي يتصل بالفكر والشعور والسلوك والإرادة أي الغرض تكوين شخصية سوية متكاملة أساسها الإسلام عقيدة وشريعة وعادة لحمايته من العلمانية وتياراتها الهدامة .

(جريدة الاتحاد ١٦ مايو ١٩٨٦ - من حديث للدكتور يوسف القرضاوى مع أحمد السيوفى)

★ ★ ★

نحو تقنين الشريعة الإسلامية

مؤتمر القانون الدولي المقارن بلاهـى اعتـبر الشـريـعـة الإـسـلامـيـة مـصـدـراً من مـصـادـر التـشـريعـ العـامـ منـذـ عامـ ١٩٣٢ـ مـ .

يـقولـ المـسـتـشـارـ مـحـمـدـ الشـربـيـنـيـ المـسـتـشـارـ بـوزـارـةـ العـدـلـ بـدـولـةـ إـمـارـاتـ حـولـ تـقـنـيـنـ الشـريـعـةـ الإـسـلامـيـةـ (ـ صـحـفـ ٧ـ يـانـيـرـ ١٩٨٩ـ)ـ .

بـمـنـاسـبـةـ الـوـحـدـةـ السـائـدـةـ فـيـ الدـوـلـ إـلـاسـلـامـيـةـ لـتـقـنـيـنـ الشـريـعـةـ إـلـاسـلـامـيـةـ أـقـولـ وـالـمـسـلـمـونـ فـيـ كـلـ مـكـانـ نـدـعـوـ اللـهـ أـنـ يـكـوـنـ لـلـشـريـعـةـ إـلـاسـلـامـيـةـ ،ـ حـظـ أـسـعـدـ فـيـ مـؤـتـمـرـ وـزـرـاءـ الـعـدـلـ الـعـرـبـ ،ـ وـأـنـ تـجـدـ هـذـهـ التـشـريعـاتـ طـرـيقـهـاـ لـلـظـهـورـ ،ـ وـأـنـ تـقـنـنـ الشـريـعـةـ إـلـاسـلـامـيـةـ شـريـعـةـ الـحـقـ ،ـ شـريـعـةـ اللـهـ ،ـ الـذـىـ قـالـ تـبـارـكـ وـتـعـالـىـ فـيـ كـتـابـهـ الـعـزـيزـ :

﴿ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون﴾ .

وقـالـ :ـ ﴿وـمـنـ لـمـ يـحـكـمـ بـمـاـ أـنـزـلـ اللـهـ فـأـوـلـئـكـ هـمـ الـظـالـمـونـ﴾ .

وقـالـ :ـ ﴿وـمـنـ لـمـ يـحـكـمـ بـمـاـ أـنـزـلـ اللـهـ فـأـوـلـئـكـ هـمـ الـفـاسـقـونـ﴾ .

وـهـىـ الـآـيـاتـ رقمـ ٤٤ـ ،ـ ٤٥ـ ،ـ ٤٧ـ عـلـىـ التـوـالـىـ مـنـ سـوـرـةـ الـمـائـدـةـ .

وـالـشـريـعـةـ إـلـاسـلـامـيـةـ هـىـ مـجـمـوعـةـ الـأـوـامـرـ وـالـأـحـكـامـ الـاعـقـادـيـةـ وـالـعـلـمـيـةـ الـتـىـ يـوـجـبـ إـلـاسـلـامـ تـطـيـقـهـاـ لـتـحـقـيقـ أـهـدـافـهـ .

ويـكـفـيـ لـبـيـانـ أـهـمـيـةـ وـمـكـانـةـ الشـريـعـةـ إـلـاسـلـامـيـةـ ،ـ أـنـهـ شـريـعـةـ اللـهـ سـبـحـانـهـ وـتـعـالـىـ خـالـقـ كـلـ شـيـءـ ،ـ وـالـذـىـ لـمـ يـتـرـكـ شـارـدـةـ وـلـاـ وـارـدـةـ إـلـاـ وـوـضـعـ حـكـمـهـاـ فـيـ كـتـابـهـ الـعـزـيزـ الـذـىـ قـالـ فـيـهـ :ـ ﴿مـاـ فـرـطـنـاـ فـيـ الـكـتـابـ مـنـ شـيـءـ﴾ـ [ـ سـوـرـةـ الـأـنـعـامـ ،ـ الـآـيـةـ ٣٨ـ]ـ .

كـمـاـ قـالـ :ـ ﴿الـيـوـمـ أـكـمـلـتـ لـكـمـ دـيـنـكـمـ وـأـتـمـمـتـ عـلـيـكـمـ نـعـمـتـيـ وـرـضـيـتـ لـكـمـ إـلـاسـلـامـ دـيـنـاـ﴾ـ [ـ سـوـرـةـ الـمـائـدـةـ ،ـ الـآـيـةـ ٣ـ]ـ .

وـقـدـ عـنـيـتـ الشـريـعـةـ إـلـاسـلـامـيـةـ فـضـلـاًـ عـنـ الـقـوـاـعـدـ الـتـىـ تـنـظـمـ الـمـعـقـدـاتـ وـالـعـبـادـاتـ بـتـنـظـيمـ عـلـاقـاتـ النـاسـ بـقـوـاـعـدـ قـانـونـيـةـ وـخـلـقـيـةـ ،ـ وـفـيـ هـذـاـ الصـدـدـ لـمـ تـقـتـنـعـ بـالـقـوـاـعـدـ الـتـىـ تـنـظـمـ صـلـاتـ الـأـفـرـادـ فـيـمـاـ بـيـنـ بـعـضـهـمـ بـعـضـ ،ـ وـلـكـنـهـاـ تـجاـوـزـتـ ذـلـكـ إـلـىـ وـضـعـ الـأـسـسـ الـكـامـلـةـ الـتـىـ تـقـوـمـ عـلـيـهـاـ الـدـوـلـةـ ،ـ فـالـخـلـافـةـ بـيـعـةـ وـالـأـمـرـ بـيـنـ النـاسـ شـورـىـ ،ـ وـالـنـاسـ سـوـاسـيـةـ ،ـ وـكـلـ

ال المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه ، وحرمات الناس مكفولة ورقابتهم على
الحكام مشروعة .

والملكية الفردية ليست مطلقة تجتهد إلى الكثرة والاستعلاء والاستغلال ، ولا هي معدومة فيفقد الناس حواجز الجد والتنمية وإنما هي وسط بين هذا وذاك ، وسطية تجعل الملكية وظيفة اجتماعية فالمال مال الله ، وينحن مستخلفون فيه والناس عبيد الله ، ومن ثم كان للفقير في مال الغني حق معلوم لامن فيه ولا مهانة ، حق كامل يسع ضروريات الحياة ل لكل فرد محتاج بحيث توفر الدولة له السكن والطعام واللباس والدابة .

وفي المجال الوضعي يكفى لبيان مكانة الشريعة الإسلامية أن نشير إلى مؤتمر أسبوع الفقه الإسلامي الذى عقد بجامعة باريس سنة ١٩٥١ برئاسة نقيب المحامين ، والذى انتهى إلى النتائج الآتية :

- ١ - أن مبادئ الفقه الإسلامي لها قيمة حقوقية لا يمارى فيها .
- ٢ - أن اختلاف المذاهب الفقهية في هذه المجموعة الحقيقة العظمى تنطوى على ثروة من المفاهيم وال المسلمات . ومن الأصول الحقوقية هي مناط الإعجاب ، وبها يستطيع الفقه الإسلامي أن يستجيب لجميع مطالب الحياة الحديثة والتوفيق بين حاجياتها .
- كما أن مؤتمر القانون الدولي المقارن الذي انعقد في لاهى بھولندا ١٩٣٢ قرر أن الشريعة الإسلامية حية صالحة للتطور ، وأن التشريع الإسلامي قائم بذاته ، وليس مأخوذاً عن غيره واعتبر الشريعة الإسلامية مصدراً من مصادر التشريع العام .
- وفي مؤتمر المحامين الدولي الذي عقد بlahai ١٩٤٨ تبني دراسة الشريعة الإسلامية دراسة مقارنة .

وقرر مؤتمر عمداء كليات الحقوق بالبلاد العربية في مؤتمرى سنة ١٩٧٣ ببغداد وسنة ١٩٧٥ بيروت ضرورة الرجوع عن القوانين المتباعدة في الدول العربية والعودة إلى الشريعة الإسلامية.

وأنه لمما يشير الإعجاب حقاً أنه كلما خاض الباحث في أعماق الشريعة الإسلامية في كل المجالات ظهر له أن أحدث النظريات التي ينتهي إليها الفقه الغربي الحديث في كل فروع قوانينه ، وكان للوصول إليها دوى كبير بدعوى أنها ابتكار في العلم وأن لهذه النظريات أصلًا في الفقه الإسلامي ، ومن أمثلة ذلك في القانون المدني (نظرية التعسّف

في استعمال الحق) فهى تطبيق للحديث الشريف : « لاضرر ولا ضرار »^(١) .
ونظرية الإرادة المنفردة كمصدر من مصادر الالتزام وتقابل الجعالة في الشريعة
الإسلامية (ونظرية انتقاض العقد) وعقد الإذعان ، وأصله في الشريعة الإسلامية (عقد
الاستبيان) والبيع بالمزاد وأصله (بيع من يزيد) ، ونظرته الضرورية ، وهى تطبيق للقاعدة
الأصولية (الضرورات تبيح المحظورات) .

وفي مجال الفقه البحري نظرية (الخسائر المشتركة ، وفي ميدان المسئولية الجنائية
وقصرها على الجانى) يقابلها قوله تعالى :
« ولا تزر وازرة وزر أخرى » [سورة الإسراء ، الآية : ١٥] .

وفي مجال القانون الإداري (نظرية الظروف المقارنة) كما أن معظم المبادئ
القانونية في القانون الدولي لها فضل في الشريعة الإسلامية فقد نظمت علاقات الدول
بعضها في حالت السلم وال الحرب ، فقال تعالى :

« وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما فإن بعث إحداهما على
الأخرى فقاتلوا التي تبغى حتى تفزع إلى أمر الله » [سورة الحجرات ، الآية ٩] .

وحتى في المجال الاقتصادي ، فإن للشريعة الإسلامية فيه نصيب ، فهى تجيز تأمين
المرافق العامة والصناعات الرئيسية حيث قال رسول الله ﷺ : « الناس شركاء في ثلاثة
الماء والكلأ والنار »^(٢) .

وقد وردت هذه الأشياء على سبيل المثال والقاعدة أنه كل ما كانت منفعته عامة
لازمة للناس وجب على الدولة وعلى ولاة الأمور التدخل لتمكين عامة الناس من حقهم
في المشاركة في المنفعة وقد ذهب الإمام ابن تيمية إلى أبعد من ذلك فيقول : إن المهن
الضرورية كالطلب والصناعات الفردية كالتجارة والحدادة يجوز إخبار أصحابها والمتخصصين
بها على العمل لصالح الجماعة ويعطون أجر المثل ، كما أنه لاختلاف بين الفقهاء على
استغلال صاحب المال للعامة كأن يجنس التاجر السلعة لديه حتى تنعدم في السوق ، ثم
يتحكم في رفع السعر محرم شرعاً ، وعلى ولی الأمر التدخل لتحديد السعر ، وتحديد الربح ،
كما أوجبت الشريعة الإسلامية أن يكون للعامل عدا أجره نصيب في الربح .

وفي كمال الشريعة الإسلامية يقول الدكتور سليمان مرقص ؛ أستاذ القانون المدني

(١) رواه أبو داود في البيوع (٦٠) وأحمد (٣٦٤ / ٥) .

(٢) تقدم تخرجه .

السابق بجامعة القاهرة : ففي الكتاب والسنة وهم أهم مصادر الشريعة الإسلامية الكثيرة من القواعد القانونية المتعلقة بالزواج والطلاق والنسب والميراث والوقف والوصية والتجارة والبيع ومختلف العقود والحدود الجنائية وغيرها من القواعد الجنائية ، وقد تناول فقهاء الإسلام هذه الأحكام بالشرح والتفصيل ، وفرعوا عليها الكثير من الحلول ، حتى غدت الشريعة الإسلامية نظاماً قانونياً كاملاً يعد أرقى الشرائع ، بل إن بعض نظمها يفضل ما يقابلها من نظم أحدث الشرائع العصرية .

وقد سبق وكتب المرحوم الدكتور / عبد السلام ذهني في الجريدة القضائية سنة ١٩٣٧ مقالاً تحت عنوان : « تجميل القوانين والشريعة الإسلامية » .

ورد فيه : لما كنت بمدينة ليون بفرنسا بقسم الدكتوراه من سنة ١٩١١ إلى سنة ١٩١٧ كان أستاذنا (لامبير) ، يرى الفقه الإسلامي في المعاملات كنزاً لا يفني ومعيناً لا ينضب ، وكان يشير على الطلبة المصريين بالرجوع إليه لوضع رسائلهم في الدكتوراه عن مذهب الاعتساف (التعسف) في استعمال الحق ، والخروج عما شرع له عند فقهاء الإسلام ، وما كادت الرسالة تطبع في كتاب حتى نفذت في ستة أشهر ، وكتبت عنها المجلات القانونية كثيراً ، وأشادت بعظمته التاريخ الإسلامي .

ومما كتبه الفقيه كوهل الألماني في مقال له :

إن الألمان كانوا يتيمون عجباً على غيرهم لخلقهم نظرية الاعتساف في استعمال الحق ، وإدخالها ضمن التشريع القانوني المدني الألماني الذي وضع سنة ١٩٨٧ وقد ظهر كتاب الدكتور محمد فتحي وأفاض في شرح هذه النظرية نقاً عن رجال الفقه الإسلامي فإنه يحدّر بعلماء القانون الألماني أن يتنازلوا عن المجد الذي نسبوه لأنفسهم ويعترفوا بالفضل لأهله ، وهم فقهاء الإسلام الذين عرفوا هذه النظرية ، وأفاضوا في الكلام عنها قبل الألمان بعشرة قرون .

ويقول الأستاذ المرحوم عبد الرزاق السنهوري في بحث له بمجلة القضاء العراقية بالعدد الأول من السنة الثانية : إن الكثير من فقهاء الغرب ومنهم كوهل الألماني ، وديلنتشبرغ الإيطالي ، ووبيجر الأمريكي أنصفوا الشريعة الإسلامية وشهدوا بما هي عليه من مرونة إن الشريعة الإسلامية لو تناولتها يد الصياغة فأحسنت صياغتها لصيغت منها نظريات ومبادئ لاتقل في الرقى والشمول ومسايرة التطور عن أحطر النظريات الفقهية التي تلقاها عن الفقه الغربي الحديث ، وأن كل مطلع على فقه الغرب يدرك أن من أحدث نظرياته في

القرن العشرين نظرية التعسف في استعمال الحق ، ونظرية الظروف الطارئة ، ونظرية التبعة ومسئوليّة عدم التمييز ، ولكل هذه النظريات أساس كبير من الشريعة الإسلامية لاتحتاج إلا إلى الصياغة والبناء .

وتتركز أهمية ضرورة تقنين الشريعة الإسلامية في صعوبة الرجوع إلى أحكام الشريعة الإسلامية في الكتب الفقهية نظراً لتنوعها وقدمها وصعوبة لغتها وما انطوت عليه من إسهاب ومن أمثلة ذلك أن موطأ الإمام مالك - رضي الله عنه - يقع في حمضة عشر مجلداً كبيراً ، وأن مبسوط السرخسي وهو حنفي المذهب يقع في ثلاثة مجلداً كبيراً ، والأم للإمام الشافعى - رضي الله عنه - يقع في أربعة مجلدات كبيرة ، وكذلك فإن مسند الإمام أحمد بن حنبل - رضي الله عنه - ينطوى على أجزاء كثيرة من الحجم الكبير .

وتقنين الشريعة ييسر للناس معرفة الحكم الشرعي بالاطلاع على القوانين التي تستشمل على الأحكام العامة ، وعلى من يريد التعمق في البحث اللجوء إلى المراجع الفقهية .

وقد ظلت الشريعة الإسلامية تحكم البلاد الإسلامية عامة والبلاد العربية خاصة قرابة أربعة عشر قرناً من الزمان ولقد طوف الفقه الإسلامي في الآفاق شرقاً وغرباً وشمالاً وجنوباً ، ونزل السهول والوديان والجبال والصحراء ، ولاقى مختلف العادات والتقاليد في جميع البيئات ، وعاصر الرخاء والشدة ، والسيادة والاستبداد ، والحضارة والتخلف ، وواجه الأحداث في جميع هذه الأحوال ، وكانت له ثروة فقهية ضخمة لا مثيل لها وفيها يجد كل امرئ أيسر الحلول لمشاكله وقد حكمت الشريعة في أزهى العصور فما قصرت ولا قصرت عن الوفاء بأى مطلب ولا تخلفت بأهلها في أى حين .

وكان من المفروض ألا تحكم البلاد الإسلامية بقوانين وضعية تجافي الشريعة الإسلامية لو لا أن أجهز المستعمر على الخلافة الإسلامية عام ١٩٢٤ ، واستقرت ببريطانيا في العراق والأردن وفلسطين ومصر ، واستقرت فرنسا في المغرب العربي وسوريا كما استقرت إيطاليا في ليبيا ، وبحلول الاستعمار في البلاد العربية والإسلامية أخذت قوانينه الوضعية ونظمها تطغى على الشريعة الإسلامية تحت ستار المدينة ، وتقلص سلطان المحاكم الشرعية صاحبة الولاية العامة ، واقتصر اختصاصها على أقضية الأحوال الشخصية .

ومن نعمة الله على المسلمين أن موجة تطبيق الشريعة الإسلامية بتقنيتها سادت العالم الإسلامي في السنوات الأخيرة وندعو أن يتحقق ذلك ويسود كتاب الله الذي قال فيه :

*كتاب أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير) [سورة هود ، الآية : ١] .

وإذا قننت الدول الإسلامية والعربية الشريعة الإسلامية كما نرجو ذلك فلن تكون هذه هي المحاولة الأولى في هذا المجال فقد سبقت ذلك محاولات عديدة تلت تلك المحاولة التي قام بها الخليفة عثمان بن عفان - رضي الله عنه - بقيامه بجمع القرآن الكريم ، وهذه المحاولات هي :

١ - محاولة الخليفة الأموي عمر بن عبد العزيز ، والذى يلقب بخامس الخلفاء الراشدين جمع السنن فى أوائل القرن الثانى الهجرى وقد كتب بذلك إلى ابن حزم أنه خاف ذهاب العلماء ، ولكن لم تتم هذه المحاولة لوفاة ابن حزم قبل إتمام السنن .

٢- محاولة ابن المقفع لأبي جعفر المنصور الخليفة العباسي في (رسالة الصحابة) وهذه المحاولة لم تتم أيضاً لخوف الفقهاء ، وأولى الأمور من ارتكاب خطأ في اجتهادهم في شريعة دينية كالشريعة الإسلامية .

٣ - محاولة الخليفة أبي جعفر المنصور عندما حج عام ١٤٨ هـ إقناع الإمام مالك - رضي الله عنه - أن يغول الناس على علمه ومذهبه فأبى الإمام مالك ذلك قائلاً : إن لكل قوم سلفاً وأئمة فإن رأى أمير المؤمنين أعز الله نصره إقرارهم على حالتهم فلم يفلح ، كما كرر الخليفة محاولاته مرة أخرى مع الإمام مالك طالباً منه (تجنب شدائد عبد الله بن عمر ورخص عبد الله بن عباس وشوارد ابن مسعود وأوسط أواسط الأمور ، وما اجتمع عليه الأئمة ، الصحابة - رضي الله عنهم - لتحميل الناس إن شاء الله علمك وكتبك وبعثها اليوم إليهم في الأمصار وتعهد إليهم لا يخالفوها ، فكتب مالك الموطأ ولكنه رفض أن يجبر الناس على مذهبة كما أصر على رفضه ذلك في عهد الخليفة هارون الرشيد .

٤ - قيام السلطان محمد أورننك عما لكيه أحد ملوك الهند بتنقين الشريعة الإسلامية بتكليف لجنة من مشاهير علماء الهند برئاسة الشيخ نظام ليؤلفوا كتاباً جاماً لظاهر الروايات التي اتفق عليها وأفتى بها فحول العلماء وجمعوا فيه من التوارد ما تلقتها العلماء بالقبول وجمعوا ذلك في كتاب يسمى (الفتاوى الهندية) وهو موضوع على أساس المذهب الحنفي السائد بهذه المنطقة ، وتقع في ستة أجزاء أخرى تبحث في العبادات والعقوبات والمعاملات ، ولكن هذا الجمع شبه الرسمي لم يكن إلزامياً كما تتصف بذلك القوانين .

٥- قيام الدولة العثمانية بتجمیع أحكام المعاملات المدنیة حيث شکلت لجنة اسمها (جمعیة المجلة) مؤلفة من سبعة علماء وبرئاسة أحمد جودت باشا ناظر دیوان

الأحكام العدلية وكانت غايته تأليف كتاب في المعاملات الفقهية يكون مضبوطاً سهلاً للأحتلاف ، وحاملاً للأقوال سهلاً المطالعة على كل أحد .

وكان سبب تأسيس الشريعة كما جاء بتقرير اللجنة (أن علم الفقه بحر لاساحل له واستنباط ورد للمسائل الازمة منه لحل المشكلات يتوقف على طهارة علمية وملكية كلية ، وعلى الخصوص مذهب أبي حنيفة لأنه قام فيه مجتهدون كثيرون متباينون في الطبيعة ووقع فيه خلافات كثيرة ومع ذلك فلم يحصل به تنقية كما حصل في فقه الشافعية ، بل لم تزل مسائله أشتاتاً متشعبة فتمييز القول الصحيح من بين تلك المسائل والأقوال المختلفة وتطبيق الحوادث عليها عسير جداً وعدها ذلك فإنه بتبديل الأعصار تتبدل المسائل التي يلزم بناؤها على العرف والعادة ، وقد باشرت اللجنة عملها في سنة ١٢٨٥ هـ ، وانتهت منه سنة ١٢٩٣ هـ) .

وأصدرت مجلة الأحكام العدلية وتحوى ١٨٥١ مادة وتقسم إلى مقدمة وستة عشر كتاباً وهي مأخوذة من ظاهر الرواية التي هي في المذهب الحنفي تختلف عن الفتاوى الهندية في أنها لا تحتوى شيئاً من العبادات والعقوبات وإنما اقتصرت على المعاملات المدنية كما أنها لم تشتمل على أي تنظيم للأحوال الشخصية .

٦ - قيام محمد قدرى باشا ناظر العدل بمصر بتفويض من الحكومة المصرية بمحاولات عديدة لتقنين الشريعة الإسلامية وهي :

(أ) تدوينه لأحكام الشريعة في الأحوال الشخصية على المذهب الحنفي في ٦٤١ مادة وقد أصبح هذا التقنين هو المعمول عليه في المحاكم الشرعية المصرية وغيرها من البلاد .

(ب) تدوينه لأحكام المعاملات المدنية على المذهب الحنفي في قانون يسمى (مرشد الحيران في معرفة أحوال الإنسان) وتقع في ١٠٤٥ مادة .

(ج) تدوينه لأحكام الأوقاف في قانون يسمى (قانون العدل والإنصاف) ويحوى ٦٣٦ مادة .

٧ - قيام الجمهورية الليبية بإعداد تشريعات لتقنين الشريعة الإسلامية صدر بعضها بالفعل وأصبح قوانين سارية (قانون تنقية القانون المدني من الأحكام المخالفة للشريعة الإسلامية ، وقانون (حد الخمر) . وقانون (حد السرقة) ، وقانون الزكاة وتحريم الربا النسيع بين الأفراد والمحدود وهي حد السرقة وحد الزنا وحد الخمر ، وحد الردة وحد القذف

وحد البغي وقانوناً متكاملاً للعقوبات تشمل العدود والتعازير ، وقانون الأحداث المشردين ، وقانون المنشآت العقابية (السجون) ، وقانون تحريم المخدرات ، وقانون التعاملات المدنية ، وقانون الإجراءات الجنائية ، وقانون الإجراءات أمام المحاكم المدنية والتجارية ، وقانون الإثبات ، وقانون الأحوال الشخصية ، وقانون الإجراءات المتعلقة بها ، وقانون التجارة ، والقانون البحري ، وقانون الشركات ، وقانون الوقف ، وقد صدر من هذه القوانين قانون المعاملات المدنية وما زال الباقي في سبيله إلى الظهور .

٨ - وقد أوصى مؤتمر وزراء العدل العرب الذى عقد فى عام ١٩٨٠ بأن تقوم الدول العربية بتقنين الشريعة الإسلامية وكرر هذه التوصية فى جدة ١٩٨١ كما إنه يواصل طريقه للتقنين ، وتم إعداد مشروعات القوانين الجنائية وقانون الأحوال الشخصية .

٩ - كما قام مجمع البحوث الإسلامية بمصر بوضع عدة تقنينات للشريعة الإسلامية على كل مذهب من المذاهب الأربعة (مالك والشافعى وأبى حنيفة وأحمد بن حنبل - رضى الله عنهم -) .

١٠ - وأخيراً محاولة جمهورية مصر العربية تقنين الشريعة منذ عدة سنوات تلك المحاولات التى لم يظهر لها أثر حتى الآن اللهم إلا بتعديل الدستور بما يجعل الشريعة الإسلامية المصدر الأساسى للتشريع .

ولو قارنا بين دولة تطبق الشريعة الإسلامية وأخرى لا تطبقها لسارعنا إلى تقنينها ولو قطعت يد سارق علناً في ميدان عام « وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين » .

[سورة التور ، الآية ٢ :]

لأمنا الناس على أموالهم وبيوتهم ومتاجرهم ووسائل المواصلات وسائر الأماكن لأن أى سارق لن يجد الشجاعة لارتكاب جريمته إذا فكر فى أنه سوف تقطع يده وفاقاً بل إن الهلع والرعب سيتباهى قبل أن تتحرك يده نحو مال غيره ، هذا فى المجال الجنائى أما فى مجال المعاملات المدنية والتجارية والدولية وقيم الشريعة الإسلامية فلن ينصلح حال المسلمين إلا برجوعهم إلى شريعة الله تبارك وتعالى .

(العلم المغربية - ٧ يناير ١٩٨٩)

★ ★ ★

الاستشراق والقرآن الكريم

عمل المستشرقون على جمع الشبهات والمفترىات في كتاباتهم عن الإسلام والقرآن ، وحشدوا كل جهودهم من أجل طرح أطروحات واهية وافتراضات لاستدلالها ، وجاءت دراساتهم مشوهة مشبوهة تدل على خبث مقاصدهم وسوء نيتهم ، وبعد كتاب نولده ١٨٦٠ عن تاريخ القرآن الذي صدر في ثلاث مجلدات المصدر الأساسي لجل المستشرقين في الدراسات القرآنية .

ثم جاء آرثر جفرى (تاريخ القرآن) حيث جعله مدخلًا لكتاب المصاحف لابن أبي داود جمع فيه شواد القراءات المروية في سبعة وعشرين مصحفاً خاصة خمسة عشر منها لبعض كبار الصحابة .

وأتى بلاشير فكتب ما سماه (مدخل إلى القرآن الكريم) جمع فيه من شبهات بعض المستشرقين المتعصبين الذين أيدوا نزعات تشكيكه حيال القرآن الكريم وطرحوا نظريات واهية .

ولم يتوان عن إبراد بعض الشبهات والافتراضات ، وفي هذا المجال جرى مستشرقون كثيرون وحاول بعضهم إعادة ترتيب القرآن حسب النزول (رود ويل) وبلاشير على غير دراسات الإسلام للقرآن ، ومع التأكيد من أن ترتيب الآيات والسور أمر توقيفي من عند الله تبارك وتعالى حسب الراجح من الأقوال ، ولا يجوز مناقضة توقيفية السور . (وهذا الاتجاه الذي جرى فيه محمد عزه دروزة في كتابه التفسير الحديث) والميرزا باقر في كتابه (القرآن حسب التبليغ الإلهي) .

ولم يتوقف أمر المستشرقين عند هذا العمل وحده ، ولكن اتسع النطاق بالعمل على ترجمة القرآن الكريم بدون خلفية ، فجاءت ترجماتهم جميعها قاصرة مشوهة لاستحالة ذلك ، ولعدم إمامتهم بمقومات اللغة العربية ومعانى الآيات ، فجاءت ترجماتهم مشوهة . ذلك أن المستشرقين قاموا بوضع مقدمات نشرت قبل الترجمات تتضمن التشهير بالإسلام والنبي ﷺ .

ترجم القرآن لأول مرة إلى اللاتينية عام ١١٤٣ م ثم توالى ترجمات كثيرة إلى لغات متعددة (الألمانية - الفرنسية - الإنجليزية - الإيطالية - الروسية ، الهولندية - الأسبانية) .

وقد أثارت أبحاثهم كثيراً من الشبهات والافتراضات من ناحيتين :

الأولى : محاولة التشكيك في مصداقية الوحي المنزل على رسولنا صلوات الله عليه وآله وسلامه .

ثانياً : محاولة التشويش على عقول المسلمين وزلزلة أفتادتهم .

وقد سجل القرآن كثيراً من هذه المحاولات منها قصة (بحيري) الراهب ودعوى تلقى الرسول صلوات الله عليه وآله وسلامه عنهم علم الكتاب .

وقد ذكر كازنوفا في كتابه (محمد ونهاية العالم) أن القرآن قد أدخلت عليه بعد رسول الله تغيرات قام بها خلفاؤه ، وهي دعوى باطلة لم يجد المستشرقون دليلاً واحداً على كذبها .

ومن ذلك قول كازنوفا في كتابه (محمد ونهاية العالم) أن القرآن أدخلت عليه بعد الرسول تغيرات قام بها خلفاؤه - من ذلك فوائح السور أو الحروف المقطعة فقد قدموها عدداً من النظريات والخرصات التي لا أصول لها وقد كشفت مغالطاتهم كيف يعز على المستشرقين وهم قليلوا البصارة في اللغة العربية أن يفهموا سر اختلاف القراءات وهو من أشد العلوم القرآنية تعقيداً .

أهداف الاستشراق

تعد كراهية الإسلام مظهراً لحقدهم الذي يضمرونه داخل نفوسهم باعتبار أن الإسلام يمثل أكبر عقبة في سبيل حضارتهم المادية وطعامعهم في السيطرة على العالم الإسلامي ومقدراته .

ومن هنا جاء التشكيك على صحة القرآن والسنة النبوية وإنكار النبوة ، وتزيف سيرة الرسول صلوات الله عليه وآله وسلامه وهم قواعد الفقه الإسلامي بالفضائل والأخلاق الإسلامية .

وقد أثار المستشرقون كثيراً من الشبهات حول رواية الحديث ، بهدف : إلقاء الشبهات في عقول المسلمين وتشكيكهم في كثير من مسلماتهم وتقديم الإسلام إلى الغرب بصورة مشوهة مبتورة لا تشجع الأوربي على مجرد التفكير في اعتناق هذا الدين .

والعمل على حجب التصدى عن التعرف إلى الإسلام وتحذيرهم منه .

★★★

يقر الغربيون بأن التحدي الحقيقى الذى يواجه حضارتهم يكمن فى الإسلام وحده من بين جميع الديانات والفلسفات حيث لا يوجد غير الإسلام الذى يمثل محور الصراع والمواجهة لثقافتهم ونمط حياتهم .

ويرى حرو بنامه أن الإسلام يؤثر في الوضع الأوروبي في معظم الأمر بظهوره في ثوب الخطر الدائم .

ولقد فقدت كثير من المذاهب والنحل قدرتها على التأثير في عقول البشرية حيث تأكّلت النصرانية من الداخل وبين أن اليهودية ديانة مغلقة وكهنوت غامض .

أما الماركسية فأبرز معالمها أنها تصادم الفطرة وعجزها عن بناء الإنسان المثالى ، وبالرغم من تجمع قوى الاستشراق والتبيه والراسونية والصهيونية والشيعية والباطنية فإنهم يمثلون في نظر المثقف المسلم أصحاب مذاهب الإلحاد والانحلال والإباحة .

وهم بالرغم من كل هذا يعملون على إعادة نشر عقائد الأقوام القديمة بصورة جديدة .

الحملة على القرآن

فهم يدعون بأن القرآن اشتمل على أمور كثيرة متعارضة متناقضة غير معقوله ويرجع هذا إلى مصدره البشري كما يقول جولد سيهير وهو عندهم مجرد تعليم دينية كالتي عند اليهود والنصارى . (ومحاولة فصل السور المكية عن السور المدنية) لقرآنين متبانين وكانت خطتهم ترمى إلى تعدد المصاحف بتنوع القراءات واعتبارها تعددية في نصوص آيات القرآن .

أو قولهم أن القرآن لم يدون في عهد الرسول أو نزل في منطقة صحراوية بما تعكس دعوته إلى نخيل وأعناب وأنهار جارية .

ومحاولة الادعاء أن هناك تناقضًا بين نصوص الكتب الدينية وأخطر ما قاله طه حسين : إن الدين لم ينزل من السماء وإنما خرج من الأرض كما خرجت الجماعة نفسها . وقد روج أولياء المستشرقين مقولات كثيرة منها مقوله خلف الله وأمين الخولي أن للمسلم حق تأويل النصوص القرآنية على أساس أن القرآن يعبر عن المعانى ويصورها بالحكاية وأسلوب الحوار .

★ ★ ★

وأبرز عناصر الحملة مركزة على التشكيك في شخصية الرسول الكريم كحامل رسالة السماء وقد عمل طه حسين ومن بعده عبد الرحمن الشرقاوى على تزييف تاريخ الصحابة والخلفاء على نحو الفتنة الكبرى وإعلاء دور عبد الله بن سباء .

ودعوة عبد الرحمن الشرقاوى على مهاجمة الخليفة عثمان بن عفان وانتقاص
الخلافة والصحابة الكرام - رضى الله عنهم .

وقد حاول طه حسين أن يصور معركة الجمل وكأنها معركة جاهلية بين بنى هاشم
وبنى أمية ، وكتب في هذا الاتجاه في العربية جرجى زيدان ، ومن اليهود هنرى لامنس ،
وكان افتراؤهم على السيدة عائشة - رضى الله عنها - افتراءً واسعاً .

★ ★ ★

يقول ليوبولد فابس (محمد أسد) : إن الغربى لا يستطيع أن يتقبل نظرية القرآن بأن
الحياة وحدة كاملة لا يمكن تجزئتها ، وأن مشاكل الجسد والعقل ومشاكل الجنس
والاقتصاد ومشاكل الصلاح الفردى والعدالة الاجتماعية هى مشاكل مرتبطة ارتباطاً وثيقاً
مع مساعى الإنسان وأماله فى حياة رضية بعد الموت .

★ ★ ★

إن مفهوم القرآن هو المفهوم الربانى لمختلف القيم والقضايا وقد عرض القرآن
ال الكريم حسب تقدير بعض الباحثين لأكثر من أربعة آلاف قضية تمثل الموضوعات
الأساسية الضرورية فى حياة الإنسان فيما يتصل بنفسه وحياته وعمله ومسئوليته الفردية
وعلاقاته الاجتماعية والاقتصادية .

★ ★ ★

يتحدث القرآن عن الدفع إلى الحراك الاجتماعى والحرراك بين الأمم والمذاهب
والتيارات باعتباره سنة من سنن الله تبارك وتعالى في الاجتماع البشري ، وقانوناً من
قوانين هذه الحياة .

﴿ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض﴾ [سورة البقرة : ٢٥١] .

الاستشراق والخداع عن حقيقة الهدف تبين ذلك في محاولة تصوير الفريد جيوم في
كتابه عن الإسلام معتدلاً وهي خدعة من (جيوم) للذين ظنوا هذا الظن به ، كل
ماهناك أن جيوم لم يكشف خبيئته وهو المسيحي المؤمن الذي وسم كاهناً منذ ١٩٢٠
والذى اتجه في دراسة الإسلام إلى الموقف المعتزلى وأورد بإسهاب انتقادات المعتزلة
المنطقية والعلقانية والتاريخية للبدایات الأولى لعملية جمع وتدوين أحاديث الرسول وسيرته ،
ذلك أن تلويع الفريد جيوم بحكایة المنطق هذه تشکك فيه وتشير الريب حول كتابه

و خاصة اعتماده على (سيد أحمد خان) و (سيد أمير على) الأول هو الذى ألف جمال الدين الأفغاني كتابه (الرد على الدهريين) لمواجهة أخطائه والثانى الذى يلتجأ إلى أسلوب بعض الباطنية فى فهم القرآن والإسلام حتى أنه يدعى بأن القرآن حكم بتحريم تعدد الزوجات وأن سر تخلف المسلمين هو أن الخلفاء لم يمكنوا المسلمين من حرية العقل والإرادة ودعواه بأنه لا يجد فارقاً جوهرياً بين الإسلام والمسيحية غير حالة بنوة المسيح ، ويشير سامي خشبة إلى أن كتاب الفريد جيوم لا يخلو من مشاكل وأفكار مثيرة للخلاف مع المسلم الموضوعي المؤمن بالخالص ، وهى خلافات يمكن أن تؤدى إلى فتح أبواب مغلقة كثيرة .

★ ★ ★

الباب الرابع

رَسَامَتْ عَامَةً الزَّكَاةُ، نَظَامَ رَبَّانِي

يقول الشيخ يوسف القرضاوى : إن الزكاة فريضة من فرائض الله ، وعبادة يتبعها المسلم بها لربه وركن من أركان هذا الدين ؛ لأنه لا بد لكي يصبح إسلام المسلم ويتم إيمان المؤمن أن تبذل هذه الزكاة طيبة بها نفسه طائعاً مختاراً ، وإن لم يفعل تؤخذ منه كرهاً ؛ لأنه هناك حارس للإيمان بالنسبة لهذه الفريضة .

وهناك حارس آخر هو حارس الرأى العام المسلم فالمفروض لدى المسلمين أن يكون هناك رأى عام للضمير الاجتماعي العام ، وهناك الحارس الآخر ، وهو السلطان : « إن الله يزع بالسلطان مالا يزع بالقرآن » (١) .

فالزكاة ضرورة دينية ، وهى ضرورة اجتماعية لكي تعرف الفوارق بين الطبقات ، والأغنياء من الفقراء الكادحين والفقير المدقع ، إذ لا يوجد في الإسلام مثل هذا الذى يشكو من عضة الجوع ، والذى يشكو من زحمة العمل .

ولقد كان احتواء الفقر مبدأً أساسياً من مبادئ السياسة الاقتصادية فى الإسلام . والزكاة تعمل على التقريب ، تؤخذ من الغنى وترتدى على الفقير ، تؤخذ من اليد القدرة لتعطى اليد المحتاجة ، تؤخذ من مال الله ، لتعطى عباد الله وعيال الله فالمال مال الله والخلق عيال الله ، ومن ماله يعطى عياله . وتكون الزكاة ضرورة لسد حاجات الفقراء والتقريب بينهم وبين الأغنياء ، وإقامة مجتمعه على أساس من الإخاء والحب .

ومن الناحية الاقتصادية : الزكاة تعطى الفقير قدرة على أن يلبى حاجاته ، وتمكنه من العمل ، لأن الأصل فى الزكاة لس مجرد إعطاء مسكن ، بل الأصل أن تحاول علاج المشكلة من أساسها ، وحلها من جذورها بحيث تغنى الفقير كما قال عمر بن الخطاب - رضى الله عنه - « إذا أعطيتكم فأغنووا » .

يعنى أن الشخص ينتقل من مستهلك إلى منتج ، ومن آخذ إلى معطى .

فالزكاة تنقل الإنسان من درجة من لا يملك إلى درجة من يملك ، فالأصل أننا

(١) انظر تفسير ابن كثير (١٠٩ / ٥) .

نعطيه ليصبح قوة فعالة في المجتمع بدلاً من أن يجلس متبطلاً ، ولا يفعل شيئاً .
والإسلام حينما فرض الزكاة لم يعتبرها مجرد إحسان أو تطوع ، وإنما اعتبرها حقاً معلوماً .

وهذا دليل على أنها من وظائف الدولة ، ولذلك قال تعالى : « خذ من أموالهم » [سورة التوبية ، الآية : ١٠٣]

وخدعوا من أغنيائهم لتردوا على فقرائهم وجعل من مصارف الزكاة مصارف العاملين عليها ليجعل لها ميزانية مستقلة وموظفيين مستقلين حتى لا تغمر في الميزانية العامة التي تأكلها الناحية العسكرية والسياسية ويضيع حق الضعفاء .

والزكاة تحل مشاكل المجتمع غير المتوازن حيث يوجد بضعة آلاف يملكون ، وبضعة ملايين لا يجدون ما ينفقون ، فلابد أن يعطى من يملك لمن لا يملك لكي لا يكون المال دولة بين الأغنياء .

★ ★ ★

وتقوم الزكاة في المجال الاقتصادي بالدور الأساسي في التعديل المستمر للتوزيع ، وتقليل أهرام الثروات لفائدة من لا يملكون ، تقوم الزكاة مع المعالم الاقتصادية وخاصة الفائض ، وتقييد الملكية الفردية ، وتحريم الربا وتحريم كنز المال بتشكيل أساس النظام الاقتصادي الإسلامي .

وكلما تبين عجز في امتلاك الضروريات وال حاجات الأساسية عند الأفراد أو الجماعات تتدخل الزكاة .

أداء حق الفقير والمسكين والمؤلفة قلوبهم .

إنقاذ الغارم أو المدين العاجز ، والمهدد بالسجن والعقاب .

وابن السبيل الذي فاجأه العوز .

ومن الناحية الأخلاقية يقوى الحس الاجتماعي والتضامن الروحي في نفوس المزكين كما أنه بالنسبة للمتغافعين بها يضعف الشعور بالحنق وروح الانتقام .

وتعتبر الفرائض والميراث من أهم أركان التكافل في الإسلام .

ويؤدي ذلك إلى ضبط علاقات الزواج والطلاق والإنجاب والتوارث وحقوق مراجعت كل فرد من أفراد الأسرة من حيث أنها الخلية المركزية في المجتمع .

والإرث وعلى هامشه يشكل عنصراً من العناصر المهمة في نظام الاقتصاد الإسلامي؛ لأنّه يسهم في إعادة توزيع الثروة ويشكل الميراث العنصر الأساسي في التكامل.

★ ★ ★

ونظام التكافل في الإسلام بجميع عناصره يساعد ولاشك في ضمان الكفاف للجميع، وهو الحد الأدنى من ضرورات المأكل والملبس والمسكن، حيث أن الزكاة بما توفر من أموال للمستحقين من شأنها أنها تضمن هذا الكفاف وللمسلمين حقوقاً فوق الزكاة.

فقد جعل الميراث والزكاة وسيلة إلى إعادة التوزيع المتواصل للأموال إيجاباً بنظامي الزكاة والإرث، وسبيلاً إلى تحريم الربا من شأنها أن تضعف التراكم غير العادي للأموال في أيدي قليلة، وأن تمكن جماعة كبيرة من أفراد المجتمع من أن يصبحوا من المنتجين بدل أن يمكثوا في حساب العالة غير المنتجة.

محاولات قديمة وحديثة لتقنين الشريعة الإسلامية

جاءت مدارس الفقه الإسلامي (الحنفية والمالكية والشافعية والحنابلة) في الفترة التي ازدهر فيها الفقه الإسلامي وأصبح واضحاً بين عامي ٨٠ - ٢٤٠ هـ وهذه المدارس جمعت ووضحت أحكام الشريعة الإسلامية وطرق استنباطها والاستدلال بها، كما أنها جعلت الأحكام الخاصة بالعبادة أكثر وضوحاً ومنفصلة عن الجزء الخاص بالمعاملات، كما وضعت المواد الفقهية وجميع الأحكام التفصيلية المؤدية إلى دقة أداء شعائر العبادات، كالصلوة والزكاة، وصيام رمضان والحج، وتناولت جميع الأحكام الخاصة بالعلاقات الأسرية كالزواج وآثاره ونهايته، والعلاقات المالية والتجارية بين الأفراد. وكذلك مبادئ الحياة السياسية وعلاقات الدول والمجتمعات الإسلامية بالمجتمعات الأخرى.

ووصلت هذه الدراسة كاملة للأجيال التي تلت هذه الفترة، وأصبح نموذج التشريعات الإسلامية كاملاً وتماماً في كثير من الكتب التي يتناولها باسمها، والتي وضحت الأحكام العملية للعبادة، وتناولت حياة المسلمين أفراداً وجماعات.

★ ★ ★

قال الإمام الشافعى وهو أحد الأئمة البارزين فى كتابه (الرسالة) (لا توجد واقعة إلا وقد أمر الله بحکم لها) .

وهذا يعني أن أي شيء يحدث للإنسان في حياته ، وفي أي ظرف ومكان لابد وأن يكون محكماً بقانون ، ولكن لا يعني أن الشريعة الإسلامية قد خصصت أحكاماً لكل عمل أو فعل بالذات ، ولكن بمعنى أنه يمكن الوصول إلى الحكم وفقاً للمبادئ العامة .

والاستباط منها يقوم به العلماء ، وذلك بالاستعانة بمبادئ الفقه الإسلامي الذي يوضح طرق الاستدلال والاستباط من النصوص التي جاءت في القرآن والأحاديث النبوية الصحيحة .

المصادر العقلية والنقلية :

إن مصادر الشريعة الإسلامية التي جاءت إلى الوجود في القرن السابع الميلادي كانت دينية تهدف إلى تنظيم الشئون الدينية والدنيوية والعلاقات الإنسانية في مختلف ميادين الحياة .

إن المشرع الوحيد القاضي هو الله جل شأنه حيث ورد في القرآن الكريم :

« إن الحکم إلا لله » [سورة يوسف ، الآية : ٤٠] .

وقد أمر الله رسوله بقوله :

« وأن الحکم بينهم بما أنزل الله » [سورة المائدة ، الآية : ٤٩] .

هذا الأمر لم يكن في يوم من الأيام محل مجادلة أو اختلاف بين المسلمين .

وأدلة الأحكام كما اتفق عليها القرآن والأحاديث النبوية ، هي أدلة نقلية وردت إلينا بالوحى ، ويمكن أن يضاف العرف المتداول والتشريعات السابقة التي نقلت إلينا والحكم الأساسي لهذه الأدلة هو النقل الصحيح فربما تكون هناك بعض الكلمات الغامضة في النقل أو النسخ وهذا يعني أن النصوص هي العنصر الأساسي ، ولكن بعض الأدلة عقلية كالقياس ، وكذلك المصالح المرسلة والاستحسان والاستصحاب بما يعني التمسك بالموجود حتى يكون هناك دليل للتغيير ، وكل هذه المصادر عقلية وهي مع المصادر النقلية أساس التدليل بشرط أن يكون الاستدلال عن طريق النقل أو العقل الذي يؤيدتها .

والجدير بالذكر أن الشريعة الإسلامية استمرت تحكم البلاد الإسلامية عامة والبلاد العربية خاصة لمدة أربعة عشر قرناً واجهت فيها الثقافات والتشريعات والعادات المختلفة

والنماذج الاجتماعية والأحوال البيئية والاجتماعية والسياسية والاقتصادية والنفسية المتشعبة والمتعددة .

هذا الوضع نتج عنه كثير هائل للتشريع جعل المجتمعات تجد لها مخرجاً من المشكلات العديدة .

ولكن تعرض العرب والبلاد الإسلامية في العصر الحديث لموجة الاستعمار الغربي التي أدت إلى تسلل الأحكام الوضعية وانكماش تطبيق الشريعة الإسلامية .

ولكن بالنظر الصحيح نستطيع أن ندرك أن أصول الشريعة ما زالت تحكم المجتمعات الإسلامية ، وإن لم يخل الأمر من الخروج عليها في حالات قليلة محدودة و لعل ذلك هو الذي جعل المسلمين في كل عصر يتوجهون إلى محاولة تقنين الشريعة .

ولذلك فقد ظهر تيار ديني قوي في العالم الإسلامي ينادي بإحلال الشريعة الإسلامية بدلاً من القوانين الوضعية .

ولم يكن هذا الاتجاه الجديد هو الأول في جمع الشريعة الإسلامية في قانون ولكن كانت هناك محاولات تميز العمل منذ عهد الخليفة الثالث عثمان بن عفان - رضي الله عنه - الذي جمع القرآن في كتاب واحد وطريقة واحدة للقراءة والكتابة .

في العصر الحديث

جرت محاولتان ، الأولى محاولة ملك الهند (محمد أورنيك عالمكير) لجمع الشريعة الإسلامية ، وذلك بتوجيهه مجموعة كبيرة من العلماء الهنود المسلمين بقيادة الشيخ نظام وأصدرت هذه اللجنة كتاباً من ستة أجزاء متضمنة أحاديث الرسول ﷺ وفتاوي وآراء أئمة العلماء المسلمين مبنية على المدرسة الحنفية في الفقه ، والتي كانت سائدة في تلك المنطقة وقد تناولت قوانين العبادات والمعاملات والعقوبات ولكن هذه الدراسة لم تشمل كل الأحكام المفروضة .

(المحاولة الثانية) : قامت من جانب الإمبراطورية العثمانية لجمع كل العلماء برئاسة أحمد جودت باشا وزير العدل ، وكان هدف اللجنة إصدار كتاب متعلق بالقضاء يتناول فيه (الأسرة والقوانين المدنية) التي تكون سهلة في نصها وخلالية من أي اختلاف أو أحكام غير مقنعة وتشتمل على مختارات من أقوال الرسول ﷺ والسبب في هذه المحاولة هو تقنين

جزء من الشريعة الإسلامية ولقد بدأت هذه اللجنة عملها عام ١٨٤٦ م وانتهت منها في ثمان سنوات ، وقد تم نشر الأحكام المتفق عليها في مجلة الأحكام العدلية في عام ١٨٥٢ وهي عبارة عن مقالات منقسمة بين المقدمة وستة عشر جزءاً مبنية على إظهار وتفسير الفقه الحنفي ، ولكنه يختلف عن الفتاوى (الهندية) وعلى هذا الأساس لم تشمل على القوانين الخاصة بالعبادات أو العقوبات .

وأجريت محاولات أخرى من قبل (محمد قدرى باشا) وزير العدل المصرى بتكليف من الحكومة المصرية لتقنين الشريعة الإسلامية فقد كتبت قوانين للأسرة وفقاً للمدرسة الحنفية في الفقه من ٦٤١ مادة وهذه القوانين هي المنفذة الآن في مصر مع التغيرات التي أدخلت عليها ماراً حتى عام ١٩٨٥ م .

وفي بعض الدول الإسلامية الأخرى ، كما كتب قوانين خاصة في الأحوال المدنية وفقاً للفقه الحنفي في قانون أطلق عليه اسم (مرشد الحيران لمعرفة أحوال الإنسان) . والذى يضم نحو ١٠٤٥ مادة بالإضافة إلى إصدار قانون يشمل أحكاماً خاصة يطلق عليه (قانون العدل والإنصاف) والذى يتضمن ٦٤٦ مادة .

وفي مصر جرت محاولات جادة لتقنين الشريعة في محكمة النقض وفي مجلس الشعب ، وتمكنت تجربة مجلس الشعب التي اشترك فيها فقهاء كبار للشريعة والقانون من إنجاز قانونين كاملين أحدهما لمعاملات المدنية ، والآخر للعقوبات الإسلامية .

وشكلت في ليبيا عام ١٩٧٢ لجنة عليا لتنقية القوانين مما يتعارض مع أحكام الشريعة الإسلامية بأمر من مجلس قيادة الثورة الليبي ، وقد قامت اللجنة بتنقية للقانون المدني من الأحكام المخالفة للشريعة الإسلامية ، وأصدرت قانون معاقبة شارب الخمر ، وقانون معاقبة السارق وقانون الزكاة .

وقد شاركت في وضع هذه القوانين الأمانة الفنية بهذه اللجنة وجرت في الأردن محاولات لتقنين قانون الأحوال المدنية على أساس الشريعة الإسلامية .

★ ★ ★

وجرت في باكستان محاولات لنشر بعض القوانين الإسلامية عام ١٩٧٩ م وقد تضمنت أحكام الرزى والسرقة والأسرة وإجراءات الجريمة القانونية ، والعقوبة بالجلد ، وطرق تتضمن القوانين الشرعية والدستورية وتكونت في دول الإمارات المتحدة لجنة عليا

لتقنين الشريعة الإسلامية يرأسها القاضي المصري الشهير المستشار على على منصور وقد أعدت هذه اللجنة ٢٢ مشروع قانون لتفصية جزء كبير من الشريعة الإسلامية ، ولكنها لم تنشر بعد .

وكان مؤتمر وزراء العدل العرب المنعقد في مراكش عام ١٩٨٠ م قد أوصى بضرورة تقنن الشريعة الإسلامية في جميع البلدان العربية وهذه التوصيات أعيد ذكرها في مؤتمر جدة عام ١٩٨١ م .

★ ★ ★

وكان المؤتمر الدولي قد عقد في باريس سنة ١٩٥١ م .

وقرر أن المؤتمرين قد أبدوا الاهتمام بالمشاكل المثارة أثناء أسبوع القانون الإسلامي وما جرى في شأنها من مناقشات أوضحت بجلاء ما للمبادئ القانونية الإسلامية من قيم لا تقبل الجدال كما أوضحت أن تعدد المذاهب والمدارس داخل هذا النظام القانوني الكبير إنما يدل على ثروة من النظريات القانونية والفن البديع ، وكل هذا يمكن هذا القانون من تلبية الحاجات العصرية بدون الرغبة في أن يواصل الأسبوع أعماله كل سنة ، ويكلف المكتب بوضع لائحة بالموضوعات ونرجو تأليف لجنة لوضع قاموس للقانون الإسلامي من شأنه أن يسهل الإقبال على تأليف القانون الإسلامي ، وأن يكون موسوعة للمعارات القانونية الإسلامية مرتبة حسب الأساليب العصرية .

شبهات المستشرقين حول حقائق الشريعة الإسلامية

أولاً: قال جوني مؤلف (العصور المظلمة في أفريقيا) وعادات وأعراف المسلمين وقد حاول إبطال ما يعتقد المسلمون من نزول الشريعة الإسلامية كاملة لا عن طريق ما يزعمه بعض المستشرقين من رد كل شيء إسلامي إلى سابق أعراف الأمم أو شرائعها أو من آثار الديانات الكتابية القديمة .

ويثبت علال الفاسي أن الشريعة الإسلامية أنزلت كاملة وهي بذلك صالحة لكل زمان ومكان .

واستشهد على ذلك بكتابات لوثروب ستوراد مؤلف (عالمية الإسلام الجديد) الذي قال إن نشر الإسلام هو الحدث الأكثر عجباً في التاريخ الإنساني .

وقد خرج من بلاد وشعب لم يكن يؤبه بهما وإذا به ينتشر في مدة قرن واحد في نصف الكرة الأرضية فاتحاً إمبراطوريات عظيمة محظماً ديانات كبيرة تأسست منذ زمن طوبل صاهراً في بوقته نفوس الأجناس ومشيداً عالماً جديداً كله : عالم الإسلام .

ثانياً : إن القانون الفرنسي ومذهب الإمام مالك متفقان في تسعين في المائة من الأحكام وقد أثبت الباحثون عن طريق المقابلة العقلية بين الفقهين التوافق الغالب فيهما ، بل استمداد القانون الفرنسي من المذهب المالكي في تسعية عشراته ؛ لأن مذهب مالك هو الذي كان معمولاً به وقت الفتح العربي في إسبانيا وفرنسا ، وأنه المذهب الذي كان مدوناً معروفاً في وقت لم يكن في فرنسا غير أعراف مختلفة لا ينس من القانون الروماني إلا القليل في بعض تعاليمهها ، ويؤكد أن مقاصد الشريعة في العدل ونشر الإحسان وعمارة الأرض وما يهدف من السياسة الشرعية والمصالح المرسلة ، وكل ذلك كاف لسد حاجة الشرق عن طريق الجهاد .

ولا تقبل الشريعة اعتماد الطبيعة من حيث هي . إن القانون المسيحي لا يقتصر على ما يستنبطه الفقهاء ، ويحكم به القضاة ، ولكنه يعتمد كثيراً من القرارات والمراسيم الدينية التي يصدرها البابا لتصبح مادة من مواده ، وهذا ما يرفضه الإسلام بتاتاً .

ثالثاً : استقلال الشريعة الإسلامية .

الرد على موضوع أن الشريعة ليست إلا نسخة مكررة من الفقه الروماني ، كما أن الحضارة الإسلامية ليست إلا نسخة من حضارة اليونان وقد رد علال الفاسي بكتابه (مدخل في النظرية العامة) لدراسة الفقه ومقارنته بالفقه الأجنبي .

وقد أشار إلى ما قرره المؤتمر الدولي للقانون المقارن الذي عقد في مدينة لاهى عام ١٩٣٧ م حيث قرر في وضوح أن الشريعة الإسلامية لم تتأثر بالقانون الروماني ، بل هي شريعة مستقلة بذاتها .

كذلك وإن القانون الإسلامي مستقل عن ما يسميه المسيحيون بالقانون ، بل لامشابهة بينهما :

(أولاً) : لأن الشريعة الإسلامية منزلة بوحى من الله بينما القانون الكاثوليكي يطبعه بالأخلاق المسيحية لبعض القوانين الرومانية .

(ثانياً) : ماتناوله القانون الكاثوليكي ضيق بالنسبة لميدان الفقه الإسلامي الذي

يشمل كل جوانب النشاط الإنساني .

(ثالثاً) : أن القانون الكاثوليكي يعتمد كثيراً على ما يسميه بالقانون الطبيعي أي ما ابتكره فلاسفة اليونان وحذا حذوه من فقهاء الرومان وهو مصدر خارجي لاستكمال العدالة التي تقصى القوانين .

أما الشريعة الإسلامية فإن لها من مصادرها الداخلية ما لا يحوجهها إلى البحث عن مصادر خارجية كالطبيعة .

التشريع الجنائي الإسلامي

(١٥٠٠ صفحة - عبد القادر عودة)

يتناول بالبحث ميدان الشريعة الواسع :

- ١ - أحكامها في المعاملات المدنية (بيع وشراء ورهن) .
- ٢ - أحكامها في المواريث والوصية .
- ٣ - أحكامها في الزواج والطلاق .

وهو جملة ما استنبطه علماؤنا الأفضل من أحكام عامة في أصول الفقه والبحث يضم العناصر الآتية :

- ولدت الشريعة مكتملة ، جامعة ، تضم تقنيات لكل ملوكات الإنسان ومتطلباته النفسية والجسدية والاجتماعية دون أن تقتل في الإنسان طموحاته وتطلعاته المشروعة ودون أن تصادم طبيعته البشرية ، التي فطر وجبل عليها .

- وضع الحق تبارك وتعالى للناس نصوصاً تبقى صافية على مر الزمان ، أما البشر فهم يصنعون لأنفسهم قانوناً بعقليتهم المحدودة .

وقد يصادمون الطاقة البشرية ومصادرها ، ثم يعودون إلى نقض القوانين الوضعية وتعديلها .

- مع ملاحظة :

أولاً : خطأ القياس بين الشريعة والقانون بين قوانين وضعية من صنع البشر وبين الشريعة الإسلامية التي تكفل بوضعها خالق البشر .

ثانياً : انتفاء القياس ، لأن القياس يقتضى مساواة المقياس بالمقياس عليه .
إذا انعدمت المساواة كان القياس باطلأً ويتضمن التشريع الإسلامي عدداً من الأحكام والنظريات :

١ - نظرية المساواة .

٢ - نظرية الحرية : حرية التفكير والقول .

٣ - الشورى .

٤ - نظرية تقييد سلطة الحاكم .

٥ - الطلاق ، تحريم الخمر ، تعدد الزوجات .

٦ - نظرية الإثبات والتعاقد وكتابة الديون .

٧ - نظرية تفتيت الملكية عن طريق الميراث .

٨ - أحكام الزكاة والتكافل الاجتماعي .

وقد كان اعتماد الغرب على الشريعة الإسلامية في إنشاء القانون الروماني الحديث دليلاً على الإحساس بعجز القانون الروماني القديم .
ومع ذلك جاء فلم يتوقف الغرب عن الاقتباس من الشريعة الإسلامية دون الإشارة إلى ذلك إلا عند الاضطرار .

ومن ذلك جاء قانون حرمة المساكن الذي أخذه الغرب من الشريعة ، ولم يشر إليه إلا بعد أن تقدم أحد المسلمين بأطروحة اعتمدت فيها على آيات سورة النور عندئذ اضطر المشرفون على الرسالة أن يعلنو بأن قانونهم إنما كان مسبواً بالنص القرآني ، وأنهم يعلنو تنازلهم عن دعوى السبق به .

معالم الفكر الإسلامي

الإسلام مصدر تفسير كامل للوجود والحياة بمنظور شمولي يستوعب الحديث عن الله الخالق المدبر ، وعن الإنسان المخلوق المطوق بمسؤولية الاستخلاف والتدبیر واكتساب المعرفة .

- كما ربط بين الإنسان وبعنته الطبيعية بنية ممارسة في تفاعلها وتناسقها البعد

ال حقيقي للإسلام ، والذى كثيراً ما يغفل عنه هو أنه بالإضافة إلى كونه ديناً بعقيدته وعباداته وتشريعاته ، وقيمته الأخلاقية هو أيضاً مصدر لتفسير كامل للوجود والحياة .

★ ★ ★

الفكر الإسلامي انطلاقاً من الخطاب الإلهي :

- ١ - هداية تعبدية : حدد منطقة العقيدة ومعالمها ، ثم سن بعض التشريعات ، وما يتصل بها من مقاصد وقواعد وأخيراً وضع القيم ومعالم الأخلاق والفضائل .
- ٢ - هداية تعبدية : بمعنى أن القرآن تطرق إلى المبادئ العامة في العلاقات السياسية والاقتصادية والاجتماعية وال التربية .
- ٣ - هداية علمية .

أفضل القرآن في هذا الموضوع حتى إنه سار في اتجاهات ثلاث :

- ١ - الدعوة إلى طلب العلم (حيث جعله عبادة) .
- ٢ - التعرض لبعض الحقائق الغيبية أو الشهادية عن الإنسان في أصله وطبيعته ، والهدف من إيجاده ومصيره .
- ٣ - استخلاف مختلف المناهج الكفيلة بالاستحلاء والاستطلاع حسب موضوع الدراسة .

والقصد من عرضه لهذه المناهج دعوة الإنسان إلى النظر والتدبر .

والقرآن الكريم في كل ما ذكره من غيب وشهادة حتى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، لأنه كلام الله تبارك وتعالى أما حججته ومصاديقه فتكون في إعجازه البیانی والعلمی في عالميته وثبتت مقولاته في العصور والأفاق . وقد شخص أحد المفكرين المعاصرین المنظومة الإسلامية بمثلث قاعدته : الوعي العقائدي والتأسیسي المتضمن الإيمان والعبادة ، ومنطلق التوحید .

وطرفه الأيمن الوعي النظري والمعرفي وطرفه الأيسر الوعي الحركي ، ويشمل على العمل الصالح وبناء الحضارة .

وأخيراً رأس المثلث ويشكل المقصد الأعلى والنهائي الذي هو التوحيد .

معالم الفكر الإسلامي لدى المفكرين المسلمين :
انطلاقاً من الهدىيات الثلاث التي أفسح بها القرآن للMuslimين جميع مجالات البحث والتنقيب وأضاء بها طريقهم حتى يجتبوا التيه والضلال يتمعنون القرآن ، ويسيرون في هديه .

علموا أنهم حلفاء الله في الأرض مكلفون باستعمارها ، واستكشاف أسرارها ، واستثمار خيراتها وبناء دعائم الحضارة وال عمران . وجدوا القرآن يحثهم على العقل والعلم والعدل ويوفر عليهم البحث فيما لا تستطيع أن تدركه عقولهم وجدوه يوجههم بالمنهج والأسلوب اللذين يمكنناهم من اقتحام مختلف مجالات العلوم ومرافق الحياة .

وجدوه يحدد المفاهيم عن عناصر الوجود : عن الله ، عن الإنسان ، وعن المخلوقات النورية والنارية وعن الكون وجدوه يحدد العلاقات بين هذه العناصر كلها بين الله والإنسان كل في موقعه بين الإنسان والإنسان وبين الإنسان والكون ، بل وجدوه يحدد هذه العلاقة بين الرجل والمرأة والزوجة والأباء والأبناء وللمسلمين وغيرهم .

فقرءوا القرآن وتدبروه واستمعوا إلى بيانات الرسول ﷺ فتكون التراث الإسلامي الضخم الذي كان نتيجة تفاعل مع الأصول على أساس أنها تشكل المعيار والمرجع ، وأن التراث يمثل الجهد البشري ويرز الفكير الإسلامي في أصول الدين وأصول الفقه وفي مختلف العلوم والمعارف الإنسانية والطبيعية والاجتماعية .

وحدة الفكر الإسلامي وشموليته

القرآن في المنظومة الإسلامية هو المصدر الحافز والمرجع ، هو الموحد لبنيتها الجامع لمكوناتها من عقيدة وشريعة وقيم ونظم ، وانطلاقاً من هذا المصدر الريانى ، نستطيع استخلاص منهجية التوجه الشمولي الإسلامي فيما يلى :

(أولاً) : التأكيد على وحدانية الله تبارك وتعالى .

رسم المنطلقات والتوجهات في مجال المعرفة والوجود والقيم :

أولاً : توجيه العقل الإسلامي إلى مجاله الصحيح لتحصيل المعرفة والنهى عن الخوض في المجالات التي لم يؤهل بفطنته لفهمها .

إن المجال الصحيح لعمل العقل وهو عالم التجربة الحسية أو الظواهر الكونية ومعنى هذا أن الإسلام لا يغفل الوحي بل يرى أن الوحي يهدى العقل ويعينه .

ثانياً : التمييز بين الظن واليقين .

وإذا كان العقل يغلب عليه الظن على اليقين ، فإن الوحي كل ماجاء فيه يقين .

ثالثاً : الموضوعية بالمعنى الإسلامي .

أى بالتجدد من الأهواء والأغراض واجتناب الزور والتحيز والافتراء وبهذا المعنى يكون مفهوم هذا المصطلح أوسع من المفهوم المتداول منذ القرنين والذى يقتصر على الجانب الموضوعى دون التدخل الثانى للباحث .

قال تعالى : «**فَلَا تَتَبَعُوا الْهَوَى** أَن تَعْدِلُوا إِن تَلَوُوا أَو تَعْرَضُوا **فَإِنَّ اللَّهَ** كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ **خَبِيرًا**» [سورة النساء ، الآية : ١٣٥] .

٤ - الحقيقة بكاملها .

إن الاجتراء من الحقيقة أو الانتقاد منها يزيفها كلها «**أَفَتُؤْمِنُونَ** ببعض الكتاب **وَتَكْفِرُونَ** ببعض» [سورة البقرة ، الآية : ٨٥] .

٥ - التبيين :

قبل إصدار حكم ما ، وذلك اجتناباً للزيف والجور «**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا** إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيِّنُوا» [سورة الحجرات ، الآية : ٦] .

٦ - الصدق :

وهو من الفضائل التي ألح عليها الإسلام وجعلها من شروط الاستقامة .

القرآن الكريم واللغة العربية الإعجاز العلمي

في القرآن الكريم ٤٦١ آية تتناول علوم الأرض كلها وقد ورد ذكر الأرض في آية قرآنية تتضمن إشارات علمية حول مختلف جوانبها بدءاً من نشأتها وحتى مماتها ونهايتها ، وكان قد درس هذا الأمر في المؤتمر العلمي الثاني لجيولوجيا العالم العربي وحضره ستمائة عالم وخير .

وكان قد اكتشف أخيراً حقائق علمية حول مآل الكون يتفق مع ما ورد في القرآن الكريم كما شهد العام الماضي مؤتمر الإعجاز العلمي للقرآن (في مقر الحزب السنوي في موسكو) .

أبرز هذه العلامات الكبرى هي :

أولاً : إشارات قرآنية لعلوم الأرض .

ثانياً : الحديد وبأسه الشديد .

وقد أشار القرآن الكريم في آياته الكريمة إلى الكون والعديد من مكوناته مثل السماوات والأرض وما فيهما من صور الأحياء والجمادات فضلاً عن الظواهر الكونية المختلفة .

وقد جاءت هذه الإشارات في مقام الاستدلال على القدرة الإلهية التي لا يحدها حد ما ، كما أشار إلى العلم والحكمة البالغين في إيداع هذا الكون وذلك في معرض محاجة الكافرين والمشركين والمتشككين والرد عليهم لإثبات حقيقة الألوهية لرب العالمين .

ومن هنا فإن الآيات الكونية التي تضمنت إشارات علمية في القرآن لم تأت من قبيل الإخبار العلمي المباشر لسبعين :

أولهما : (أن القرآن الكريم هو أساساً كتاب هداية أي كتاب (عقيدة وعبادة وأخلاق ومعاملات) وهي القضايا التي لا يمكن للإنسان أن يصل فيها إلى تصورات صحيحة بجهده منفرداً ولما يحتاج ذلك منها إلى الهدایة الربانية .

ثانيهما : أن التعرف على الكون واستقراء سنن الله تبارك وتعالى فيه وتوظيف تلك المعرفة والسنن في عمارة الأرض أمر تركت لاجتهاد الإنسان عن طريق ملاحظاته المنظمة واستنتاجه للمنطقة على فقرات طويلة من طرفيين ، ولكن إذا كانت المعرفة العلمية قد تركت لاجتهاد الإنسان في تفسير وجود العديد من الإشارات العلمية في القرآن الكريم .

يقول الدكتور النجار : إن القرآن هو كلام الله تبارك وتعالى الذي أبدع هذا الكون بعلمه وحكمته ، ولما كان من المحال أن يتعارض واقع الخلقة مع حديث الخالق ، فكان لابد أن تحتوى الآيات القرآنية التي تتعرض للكون ومكوناته على الحقائق الثابتة التي لو استفاد بها المسلمون لكان لهم السبق في اكتشافها .

★ ★ ★

علوم الأرض

يقول الدكتور زغلول النجار :

إن الآيات القرآنية التي تناولت الأرض تبلغ ٤٦١ آية على مجموعات تسعة :

المجموعة الأولى : آيات تأمر الإنسان بالسير في الأرض والنظر في كيفية بده الخلق ، وليس أساس المنهجية في دراسة علوم الأرض .

المجموعة الثانية : آيات تشير إلى شكل الأرض وحركتها وأصلها وهي أمثلة تلك الآيات التي تصف كروية الأرض وتلك التي تشير إلى دورانها ، ومنها ما يشير إلى بدهحقيقة الكون بجسم واحد (مرحلة) ثم انفجار ذلك (مرحلة الفتق) .

المجموعة الثالثة : آيات تتحدث عن حقيقة تكريم الجبال وأوصافها ووظائفها وصفاً دقيقاً ، فقد بلغ الإعجاز العلمي للقرآن أن تكون كل هذه الأمور في كلمتين فقط **« والجبال أوتاداً »** [سورة النبأ ، الآية : ٧] .

★ ★ ★

هذا التعبير الموجز يفسر نظرية تكوين الجبال ووظائفها ذلك أن العلم قد كشف مؤخراً أن الجبال تشبه الأوتاد التي تدق في الأرض حيث تبين أن الشكل الخارجي للجبل (داخل جوف الأرض) الجزء الأكبر منه ويشير هذا الوصف أيضاً **« الجبال أوتاداً »** إلى الوظيفة الأساسية للجبال ، وهي تثبيت الغلاف الصخري ، وهو ما يتأكد في ٢٢ آية قرآنية أخرى ، والتي أشارت إلى عدد من الصفات والوظائف للجبال مثل دورانها مع الأرض أو دورها في شق الأودية ، والفجاج أو في سقوط الأمطار وجريان الأنهار والسيول .

المجموعة الرابعة : آيات تشير إلى نشأة كل من العنصرين المائي والهوائي حيث تصف الطبيعة الرجعية الوقائية لغلافها الغازى : **« والسماء ذات الرجع »** [الطارق ، الآية ١١] . أو تؤكد حقيقة ظلام الفضاء الكوني أو تناقص الضغط الجوى على الارتفاع على سطح الأرض .

المجموعة الخامسة : آيات تتحدث عن عدد من الظواهر البحرية المهمة مثل تمایز الحياة في بعض البحار والمحيطات حيث لا تختلط اختلاطاً كاملاً ، وهو ما يتجلّى في الفصل بين الكتل المائية في حالة التقاء المياه العذبة والمالحة عند مصب الأنهار .

المجموعة السادسة : آيات تشير إلى رقة الغلاف الصخري للأرض وإلى تشويه سطحها وإلى تمهيده وإلى تناقص الأرض عند أطرافها .

المجموعة السابعة : آيات تؤكد إسكان ماء المطر في الأرض بما يشير إلى تجمع المياه حول الأرض ، ومن داخل صخورها .

المجموعة الثامنة : آيات تؤكد أن عملية الخلق قد تمت على مراحل متعاقبة عبر فترات زمنية طويلة .

المجموعة التاسعة : آيات تصف نهاية الأرض والسموات ، وما فيها (الكون) بعملية معاكسة لعملية الخلق الأولى .

وهناك من الآيات التي تتضمن إشارات علمية أخرى وحقائق حول الكون بما فيه ومن فيه .

وغالبية هذه الحقائق لم تكن معروفة للإنسان قبل هذا .

★ ★ ★

القرآن الكريم والصحوة الإسلامية

لقد كانت اللغة العربية منذ وقت طويل داخلة في دائرة المؤامرة التي يراد بها القضاء على بلاغة البيان لكلمة الله تبارك وتعالى والعمل على تحريفها وتدمیرها ودفعها إلى مخططات التغريب الجديدة والتي بدأت قوى عربية في أقطار أجنبية في محاولة لما يسمى (الأدب المهجري) وذلك بإذاعة أخطاء التشكيك في القرآن ، والهجوم على لغة القرآن ، ومن هنا أدخلت اللغة العربية في خطة المؤامرة التي خططت بمكر وإثارة من أجل توجيه الاتهامات نحو الفصحي لغة القرآن عن طريق لها طابع الفكر الباطني والفلسفات الصوفية والتي تحمل طابع تدمير الأصالة .

وكان الخطر دائماً يأتي من التابعين لمترجمات يونان وإعلاء شأن أرسطو وأفلاطون من أولياء الفارابي وابن رشد في مجال دعاوى عريضة وباطلة ترمي إلى القول بالامتزاج بين الثقافتين الإسلامية والوثنية وكيف يقبل الفكر الإسلامي أن يمزج بين التوحيد الإسلامي والوثنية اليونانية .

لقد جاء الإسلام معارضًا ومخالفاً للمفهوم الرومانى واليونانى والفرعونى والفارسى الذى كان مسيطرًا على هذه الحضارات ، بل جاء ليهدم هذه المفاهيم التى روجت لها الفلسفة الوثنية اليونانية وغيرها حيث يصير كبار علمائها على قاعدة الرق فى بناء الحضارة كأساس من أسس الحضارة ، وأن العبودية فى الساحة ، وأن السادة فى القمة ضرورة لا يمكن التنازل عنها ، كذلك فإن المسلمين لم يقبلوا هذه الأفكار حين ترجمت الفلسفات فى العصر العباسى ، بل عارضوها ووقفوا أمامها بشدة وقوه وثقة ، وقد تبين أن القول الذى يرددده الغربيون من أن الإسلام قبل الفلسفة اليونانية التى ترجمها الفارابي وابن رشد وهو قول باطل .

ولقد اعتبر علماء الفكر الإسلامي وقادته هؤلاء الفلسفه أتباعاً لمدرسة المشائين اليونانيين فى اللغة العربية ، وما قبلوا منهم شيئاً ، لأن محاولتهم فى مزج الفكر الإسلامي التوحيدى الحالى الربانى القائم على التوحيد الحالى ، وأن هذه المترجمات تمت عن

طريق النساطرة الذين حاولوا الاستفادة منهم بتحريفها للدعوة إلى مذهبهم ونحلهم فهم تترجمة أمينة فضلاً عن أنه حدث تحريف في نسبة الكتب من أرسطو إلى أفلاطون وبالعكس وكل له مذهب ومفاهيمه المختلفة فأرسطو داعية المادة وأفلاطون داعية الروحية ، ولذلك فقد كانت خطبته الكبرى أن حاول الفارابى الربط بين كتابين منسوب أحدهما إلى الآخر ولم تتفق محاولة تبريرها .

لقد أدخلت الفلسفة اليونانية حين ترجمت رياح السموم وعواصف الانحلال ، وأفسدت أجيالاً كثيرة ، وقد كان علماء المسلمين قد قاموا بواجبهم وكشفوا عن زيف هذه المحاولة ، وفي مقدمة هؤلاء الإمام الشافعى ، والإمام أحمد بن حنبل والإمامان الغزالى وابن تيمية .

ولقد حققت هذه الغزو رصيداً خطيراً كان له أبعد الأثر في كتابات العصور العباسية وتأثير الشعرا و الكتاب بها .

ثم تجددت هذه الحملة على القرآن الكريم في العصر الحديث في محاولات خطيرة كان أسوأها فرض اللغتين الرومانية واليونانية على الدارسين في كلية الآداب مما فتح كوة واسعة ، كذلك فقد جرى في نفس الوقت إحياء الفكر الباطنى من البهائية إلى القاديانية كخدمة الهدف الكبير الذى كان الاستعمار والنفوذ الأجنبى والصهيونية عملوا على إحيائه في نفس المسلمين وهو إلغاء فريضة الجهاد أو تفسيرها تفسيراً باطلأ لإغراق الشباب المسلم بالترف والتحلل عن طريق وسائل الترفيه وغيرها في محاولة للقضاء على القوى المعنوية المتمثلة في إيمان الشباب المسلم بالجهاد في سبيل الله تبارك وتعالى وبذل النفوس رخيصة في إعلاء كلمة الله وتحرير الأوطان والمرابطة في التغور .

★ ★ ★

لقد تركزت خيوط المؤامرة ضد القرآن في هذه العلوم المسمومة « الفلسفة والمنطق وعلم الكلام » وفي الرد على الفرق والنحل ، وكان أبرز هذه العناصر :
(١) إخوان الصفا .

(٢) التصوف الفلسفى : ابن عربى والحلاج .

(٣) الجهمية والمعتزلة وغيلان الدمشقى .

والمعلوم أن كارثة هذا التيار الخطير ، وقعت أيام المؤمنون ، وأخيه أبي إسحاق الذى

كان مقيداً له في كل شيء فيما رأى من عجمية الفرس وإدلالهم بكسر ويتهم وتقاليد مجوسيتهم وما اضطر إليه من قطع أواصرهم .

كان المسلمون يترجمون الكتب قبل المأمون : كتب الطبيعة والفلك والإحياء وغيرها من العلوم في مجال الكون المادي .

وكانوا يرون أن الأسلوب الإلهي خير من عقائد الأمم الأخرى .

ذلك أن العقيدة الإسلامية مصدرها القرآن ، وكذلك كان موقف المسلمين بالنسبة للأخلاق والتشريع .

لقد تصدى لهذا الموقف أعلام كثيرون في مقدمتهم الإمام الشافعى والإمام الغزالى وكشفوا جمياً الحقيقة .

قال الإمام الشافعى : إن الله تبارك وتعالى أقام حجته بأن كتابه عربى في كل آية . ثم أكد ذلك بأن نفى عنه - جل ثناؤه - كل لسان غير لسان العرب في آيتين من كتاب الله تبارك وتعالى : « ولقد نعلم أنهم يقولون إنما يعلمه بشر لسان الذى يلحدون إليه أجمعى وهذا لسان عربى مبين » [سورة النحل ، الآية : ١٠٣] . « ولو جعلناه قرآنأً أجمعياً لقالوا لولا فصلت آياته أجمعى وعربى » [سورة فصلت ، الآية : ٤٤] .

أما الإمام الغزالى فقد حسم الموقف على حد أنه أغلق الباب في وجه الفلسفة اليونانية ، وكل أهلها والعلماء عليها ، نعم ، أغلق الباب بكتابه (تهافت الفلسفة) ، وقال الغزالى في مقدمة كتابه (تهافت الفلسفة) : إنه يرمى إلى هدم مذاهب الفلسفة (إلا الفلسفة) .

ويرى المنصفون أن الغزالى صحق مسيرة الفلسفة في الإسلام ، لقد ظل الفلسفة غارقين في مباحث لاترتبط بالوجودان الثقافى للأمة .

وهكذا جاء منهج التجريب الإسلامي الذي انطلقت منه الطاقات إلى عصر العلم الحديث ، لقد كان علماء المسلمين انطلاقاً من القرآن الكريم هم الذين أنشأوا المنهج العلمي التجريبى الذي كان أول حجر في بناء الحضارة والعالم بشهادة درارو بريفولت وجوسťاف لوبيون في القديم وسارتون وجارودى في العصر الحديث .

ولما جاء المسلمون يدرسون العلوم الحديثة قادهم المستشرقون إلى فلسفة أرسطو القائمة على الجمود .

والحقيقة أنه لنا موقف إزاء مناهج الفلسفة التي تدرس في المدارس والجامعات فإنها تتطلق من منطلقات الغرب ولا تستجيب لمفاهيم الإسلام ولا تورد هذه الحقائق ، وتصور دور المسلمين تابعاً للفكر الغربي ، والحقيقة أن الفلسفة بمفهومهم وهى عالم الغيب وما وراء المادة هي شيء لا يحتاج إليه المسلم لأن قرآن الكريم وسته الشريفة قد قدما له منهاجاً مفصلاً لما يسمى بالميافيزيقاً ، إنهم يريدون إعادة المسلمين مرة أخرى إلى فلسفة أرسطو . ولقد كشف حقيقة هذا الموقف الشيخ مصطفى عبد الرزاق .

إن الفلسفة الإسلامية إنما تلتمس في كتب المتكلمين والفقهاء ، وإن الإمام الشافعى واضح علم أصول الفقه ، وهو أول الفلسفه فى الإسلام ، وإن مقامه فى العربية هو بمثابة مقام أرسطو فى اليونانية ، وبذلك نشأت مدرسة الأصالة فى مجال الفلسفة ، وامتدت من بعد واتسعت وقد تقررت هذه الحقيقة ، وتحررت الفلسفة من التبعية الغربية وبرزت مدرسة الأصالة فى الفلسفة الإسلامية (عبد الرزاق - أبو ريدة - النشار) إن المنطق الأرسطوطاليسي هو منهج الحضارة والفكر اليونانى ، وإن المنهج التجريبى الإسلامي هو الذى عرفته أوروبا بعد قرون من مطلع حضارتها ، وإن اكتشاف وجود هذا المنهج لدى المسلمين يفسر (روح الحضارة الإسلامية) فالحضارة الإسلامية حضارة علمية تجريبية ، تتجه إلى تحقيق العمل الفلسفى فى ضوء نظرية حية ملموسة ، كذلك كشفت الأبحاث المتعددة عن اضطراب خطير فى المراجع التى اعتمد عليها هؤلاء الفلسفه .

ونحن اليوم نقول بما قال به الشيخ مصطفى عبد الرزاق ومدرسته أن ليس هناك فلسفة لل المسلمين إلا علم أصول الفقه ، ومن ناحية أخرى فقد تبين أن المقاومة للفلسفة اليونانية ومنهج أرسطو بالذات ، قد بدأت منذ تمت الترجمة وإن المعارضه بدأت من اليوم الأول ، ذلك لأن الفكر الإسلامي كان قد تشكل قبل الترجمة على أساس قيمه القرانية من التوحيد والأخلاق ، ومن الربط بين الوحي والعقل ، ولذلك فإنه كان من العسير أن تنتصر فيه الفلسفة اليونانية أو ينتصر فيها خاصة وهى فلسفة مجتمع وثنى قام على العبودية ، وإعلاء العقل ، وعبادة الجسد .

وقد فشلت محاولة المشائين المسلمين فى إدخال الفلسفة اليونانية فى إطار الإسلام وكانت وقفة الإمام الغزالى فى وجه الفلسفة الإلهية اليونانية وقفة صارمة ردت السهم إلى نحور أصحابه .

ولقد ظل الفكر الإسلامي ، وسيظل بإذن الله قادرًا على الحفاظ على ذاتيته الخاصة

وطابعه الربانى وشخصيته المستقلة فى أشد الظروف وأقصاها من محاولات احتواه وصهره . وحضاره .

ونحن نكشف اليوم هذه المؤامرة : كما كشف الإمام الغزالى عن أخطاء الفلسفة اليونانية فقد عارض الإمام الغزالى الفلسفة الإلهية فى قضيتها الثلاث الكبرى التى تقرها الفلسفة اليونانية وتحتفل عن المفهوم الإسلامى ما يقولون به من قدم العالم ، وأن الله (جل وعلا) لا يحيط علمًا بالجزئيات ، وإنكارهم للبعث ، والزعم بأن العالم قديم ، ومن قالوا إن النفس لاتموت ولا تتعدد ، ومن أنكروا الآخرة .

هذا وقد كشف الإمام الغزالى بالنسبة للفارابى وابن سينا خطيبة أخرى نعلنها حتى يستحبى الذين يفخرون بالفارابى وابن سينا فقد عرفت روابطهم بالدعوات الباطنية الهدامة وإنحصار الصفا والقرامطة ، وما يثبت من ذلك بنصوص ووثائق ومن أنهم كانوا على اتصال بأعداء الأمة ، وقد كشف الإمام ابن تيمية فى كتابه (الرد على المنطقين) حقيقة واضحة هى أن الفكر الإسلامى لم يستخدم منهج أرسطو كما يدعون ، وإنما كان له منطقه الخاص به المستمد من القرآن والسنة .

وقد استخرج نصوص هذا المنطق وكشف عنه ، وقال : إن هذا المنطق كان فيه غنى لل المسلمين عن العقلية الغربية فى الحكم على الأشياء ، وفى الاستبصار والتأمل الفلسفى ، ورد على المنطقين الذين استحکمت عقولهم آثار الفكر اليونانى وطوابعه وعزلتها عن الاقتباس من فلسفة القرآن والحديث النبوى ومنطقهما : ومما قاله . « إن مما عند أئمته النظار من أهل الكلام والفلسفة من الدلائل العقلية ، فقد جاء القرآن بما فيها من الحق وما هو أكمل وأبلغ منها على أحسن وجه منزه عن الأغاليل الموجودة عندهم » .

ويقول الدكتور النشار : كان ابن تيمية رائدًا لكل الاتجاهات الحديثة فى نقد منطق أرسطو من فرنسيس بيكون إلى المنطق الوضعية ، وقد عنى بنقد الفلسفة أمثال : الفارابى وابن سينا وابن رشد . وكل من وافقهم فى التشيع لمنطق أرسطو .

وأشار إلى عبث محاولتهم وعقم تجربة التلقيع عندهما (الفارابى وابن سينا) بين الإسلام والأفلاطية المحدثة ورأى أن هدف التلقيع هو هدم للإسلام من الداخل ، وهناك كتب كثيرة ألفها المسلمون فى هذا الصدد لمن يريد المراجع ومنها (ترجيح أساليب القرآن على أساليب اليونان) بقلم محمد بن إبراهيم الوزير اليمنى الصنعانى المتوفى ٨٤٠ هـ ، ولعلم الذين يتقدرون بأن الفارابى وابن سينا هما المعلمان للفكر الإسلامى أن ذلك بعض

اختلاق ، وأنهما في الأخير من دعوة الباطنية والعاملين لهدم الدولة الإسلامية .
هذا ما أردت أن أقصه على شبابنا الذي يقرأ حكاية إحياء الفلسفة الإسلامية .

انهيار الفلسفات المادية

قامت الفلسفة المادية على أن القلب والعاطفة لامكان لهما في فلسفات الشيوعية والمادية ولا قيمة ، كان مفكرو الشيوعية وزعماؤها (كارل ماركس - إنجلز - لينين) يربطون الحياة الإنسانية بالعوامل الاقتصادية وحدها ، ويلغون فوارق الطبقات والملكية الشخصية والدين والأخلاق بجرة قلم واحدة .

والواقع أن هذه الفلسفة عارضت الفطرة والقيم الإنسانية أساساً ، ولم تلق أى نجاح في أى فترة من تاريخها ، ولم تعيش إلا سبعين عاماً بين رفض وفرض وإنكار وإلزام .
حتى إذا كان الجهاد الإسلامي في أفغانستان حيث أذاق المجاهدون المسلمين الجنود السوفيت من عذاب الخوف والذعر والهزيمة مايعلمه العالم كله ويجلب لهم عوامل النصر والغلبة رغم قلة عددهم وضآلة وسائلهم وكثرة العدد والعدد لدى هؤلاء الجنود المسلمين بأحدث الأسلحة والعتاد الحربي .

وهنالك علم الشعب السوفيتي ماللدين من قوة وماللديان من شأن عظيم ومعجزة باهرة تصنع التاريخ وتتفدأ في تفسيره المادى الذى اعتمدته الفلسفة الماركسيه وأسست عليه وجهة النظر الشيوعية وقد انهارت مع انهيار الجنود السوفيت في أفغانستان وانسحبوا منهم مهزومين مدحورين .

وكان هذا الواقع هو مبدأ اندحار الشيوعية وانهيار فلسفتها بحيث لم تقم لهم قائمة وأخيراً آذنت بالرحيل من المجتمعات البشرية ، وعادت أرض البخارى إلى الإسلام من جديد وبدأ التاريخ يعيد نفسه وتجدد إحياء الإيمان والعقيدة والدعوة والعلم في ربوع هذه الأرض .

وجاءت الصحوة الإسلامية تكتسح موجاتها الجبال والبحار ، وتحطم حواجز القارات والمحيطات ، وتحولها إلى جنات موسعة للدعوة إلى الله وإعلاء كلمة الله .

تعريف العالمين أن الإسلام هو الملجأ الوحيد من كل غائلة ، ويصد كل الاستعمار فكري وعقدي .

ماذا بعد سقوط الماركسية ؟

هذا الفراغ لن يملأه اليهود والغرب ، ولكن يملؤه الإسلام .

يقول سعيد الأعظمي : ذلك مصير كل حركة أو دعوة تقوم على أساس متزعزع من الفكر الإنساني الذي يفقد الأصلة ويعتمد على النعرات المحلية والهناقات الضالة .

لقد نجح الغرب المادى بالفلسفات المادية والنظريات العنصرية وظن أنه هو المنقذ الأول والوحيد للإنسان البائس المقهور على أن الرؤية الغربية نحو الكون والحياة والإنسان لا تعدو الأعراض المادية إلى شيء آخر من القيم والفضائل والعلاقات بين الإنسان وربه وبين الإنسان والإنسان .

لقد قطعت الفلسفات المادية الحياة الإنسانية من مفهومها الخلقي والروحي وهبّت إلى حضيض الشهوات والأعراض النفسية .

لقد قطعت صلة الإنسان عن منبع الإيمان وشغلته بالأهواء والمطالب الرخيصة التي تحرمه العواطف الإنسانية (الطهر والعفاف) إلى الاهتمام بالمحسوسات المادية وبالجوانب الظاهرة التي تجمع الثروات والمواد البراقة من الحياة الدنيا دون أن تكون لها أى قيمة للمثلية الخلقية والفضائل الإنسانية .

لقد جرب المسلمون التجربة الغربية وفشلـت (الفلسفات المادية والجدلية والاشتراكية ، والرأسمالية) وجرب المسلمون التجربة الماركسية وسقطـت ، وظهر زيف هذه الفلسفـات والاتجـاهـات المـادـية .

وبينما الناس يخلعون لباس الماركسية إذا بزعماء هذا الفكر يتآمرون على الإسلام ويدبرون خططاً متبجحة وتفاقم الحقد الصليبي والصهيوني والبغض المجنوس في محاولة تواجه مقدسات المسلمين ومراكز دينهم الحساسة ولكنهم لن يصلوا إلى شيء .

القرآن الكريم وعالمية اللغة العربية

يقول جوستاف لوبيون : لقد سيطرت العربية على البلاد التي دخلها الإسلام ، وتغلبت على اللهجات التي كانت مستقلة في ملك البلاد كالسريانية واليونانية ، إن استمرار حياة اللغة العربية دولياً لهو العنصر الجوهرى للإسلام بين الأمم في المستقبل (ماسينون) .

كانت العربية لغة أدب وشعر منذ أعرق العصور الجاهلية ، ولكن سرعة انتشارها ترجع إلى التماز المادية والروحية التي جنتها عن الإسلام وعن لغة القرآن ، حيث بدا انحلال مراكز الثقافة اليونانية والشرق الأدنى خلال القرن الثاني الهجري .

يقول الدكتور / عبد العزيز بن عبد الله : بدأت شعوب عريقة في الحضارة كال衾صريين والهنود تتحلل من تراثها الخاص وعواوينها لتنصره في ثقافة القرآن ولغة القرآن ، وقد أوضح جوستاف لوبيون أن العربية لغة القرآن أصبحت اللغة العالمية في جميع الأماكن التي دخلها العرب حيث خلفت تماماً اللهجات التي كانت مستعملة في تلك البلاد كالسريانية واليونانية والقبطية والبربرية . وقد انتشرت العربية في أنحاء آسيا واستأصلت اللهجات القديمة وقد قضت حتى على اللاتينية لا سيما في شبه الجزيرة الأيبيرية (إسبانيا والأندلس) ، حيث يذكر الكاتب المسيحي (الفارو) من رجال القرن التاسع بجهل مواطنيه باللاتينية فقال : إن المسيحيين يتخلون بقراءة القصائد وروائع الخيال بالعربية ويدرسون بالبعثات علماء الكلام المسلمين .

وقال وزير من أهل الذوق من الأسبان بهرتهم بضاعة الأدب العربي ، واحتقروا البلاغة اليونانية ، وصاروا يكتبون بلغة العرب الفاتحين ، وإن العربية ظلت أداة الثقافة والفكر في إسبانيا إلى عام ٥٧٠ ، ذلك أن العربية قد اكتسبت منذ فجر الإسلام معظم مقاومتها بفضل أثر الفكر القرآني .

نعم : إن اللغة العربية التي بلغت مبلغاً كبيراً من المرونة والثروة في العهد الجاهلي أدركت القرن الرابع الهجري إبان تبلور الفكر القرآني أوج كمالها ، وقد وصفها فكتور بيرار بأنها كنز يذخر بالمفانين ، ويفيض بسحر الخيال ، وعجب المجاز ، وروعة التصوير حتى أصبح نفوذ اللغة العربية بعيد المدى ، وحتى اضطر رجال الكنيسة إلى تعريب مجموعاتهم القانونية ليسهل قرائتها في الكائس الأسبانية وعرض نماذجها في معارض الكتب المقدسة ليفهمها الناس .

قال الرجال بوكارل :

وقد علمنا القرآن كيف نعيش مع مختلف اللهجات في أجود مصطلحاتها ، فكان عدد المصطلحات في القرآن مائة مصطلح ، وفي الحديث ثلاثمائة ، ونتج عن ذلك ذيوع العربية كلغة للفكر والحضارة .

وأصبحت العربية في العصور الوسطى : لغة الفلسفة والطب والعلوم والفنون ولغة دولية

للحضارة وأخذت البلاد الأوروبية تدرس اللغة العربية وغيرها في السويد ١٦٣٦ ، وفي روسيا ١٧٦٩ .

ودخلت إلى اللغات الأوروبية كثير من المصطلحات العربية فمن الأكسير والجبر واللوغريم .

واستمد الأسبان حب ليفي بروفنسال ، ومعظم أسماء الرياضيين وأثرها في العربية ومصطلحات العلوم الطبيعية ومصطلحات الرأي بل إن الإصلاح الخامس بالكنيسة تأثر إلى حد كبير بالطابع العربي وقد اعترف البابوات مثل رادون بذلك .

يقول ماسينون : إن العربية استطاعت بقيمها الجدلية والنفسية والصوفية أن تضفي سريرال الفتوة على التفكير الغربي .

★ ★ ★

هزيمة الفرق الباطنية الضالة القرامطة والخرمية والرافضة .. إلخ .

ترمى مؤامرة الفرق الباطنية الضالة ، والتي يجري إذاعتها تحت اسم العدل والحرية إلى إدخال مفاهيم الفلسفة اليونانية وإحياء خطوات المشائين من ناحية وإحياء مفاهيم التصوف الفلسفى وإحياء خطوات دعوة وحدة الوجود .

ومن هنا يكون تأثير الفلسفة اليونانية والتصوف الفلسفى وعلم الكلام والاعتزال وأخطر هذه القوى : القرامطة والخرمية والرافضة .

وقد تبين لي بعد دراسة طويلة للفكر الاستشرافي ودوائر المعارف أن الهدف الأساسي هو تقديم تفسير كنسى مسيحي وباطنى للمفاهيم التى تشتراك فيها الأديان والعقائد خاصة ما يتعلق بالأنبياء والأحداث والمعاملات وغيرها .

فقد حرص الاستشراف المسيحى على إحياء الفكر الباطنى القديم الذى احتلط باليهودية وال المسيحية والذى أنشأ الفكر الماسونى؟ وذلك من أجل (احتواء) الإسلام وتفریغه من عناصر التميز الخاصة به وتدمیر أقوى مقوماته ، وهو أنه دين ودولة .

وكذلك العمل على حجب الفجوة التى حديثت بين رسالة إبراهيم الحنيفية وبين رسالة الإسلام من تحول المسيحية واليهودية إلى دينين قوميين ، واحتلافيهما مع الترابط الزمني والتواصل العقائدى بين الأديان كلها فى طريق واحد للوصول إلى الرسالة الخاتمة ، ويجرى ذلك فى تعليم واضح ، ومغالطة مكشوفة حتى لا يكتشف الغربيون هذه الفجوة ولا يصلون إلى المفهوم الصحيح الجامع من تتابع الرسالات وصولاً إلى الدين الخاتم (الإسلام) .

وكذلك تصوير الإسلام لأهله على أنه دين لا هوئى مقصور على العلاقة بين الله والإنسان وهذا ما تكشف عنه دوائر المعارف الغربية من إزالة التميز الإسلامى الخاص الذى يعطى الإسلام طابعه الأصيل الذى يجذب دائمًا إليه كثيراً من المفكرين من مختلف الجنسيات والأديان .

ومن هذا ترمى الدعوة إلى تطوير الإسلام وإلى الحداثة وإلى العلمانية وإلى الحوار بين الحضارات والتقارب بين الأديان كلها وترمى هذه المؤامرة في النهاية إلى تحويل المسلمين من ثقافة الإسلام إلى ثقافة الغرب في محاولة لكسب علماء المسلمين إلى تأكيد دعاوهم بأن الفوارق بين الأديان هي فوارق أكاديمية أو هامشية ، وذلك لرد المثقفين الغربيين عند فكرة تميز الإسلام وخصوصيته التي يختلف بها عن هذه الأديان .

★ ★ ★

ولقد ترددت على السنة وكتابات بعض المثقفين العصريين كلمة « تطور الإسلام » أو تطوير الإسلام ، وهي عبارات غريبة يعرفها الباحثون من خلال قضايا مقارنات الأديان والحديث عن الأديان البشرية التي دعا القائمون عليها إلى تطويرها بعد أن أحسوا بالقفزات السريعة التي أحدثتها الحضارة المعاصرة والعلوم التجريبية بحيث أصبحت بعض معطيات هذه الأديان البشرية متخلفة عن العصر .

ولقد ظن بعض المثقفين أن الإسلام : يمكن أن تتطبق عليه هذه الظاهرة فأخذوا يكتبون كثيراً عن محاولات لوضع الإسلام في دائرة الأديان البشرية وقياس أمور التطور عليه دون تقدير للفوارق العميقية بين الإسلام وبين الأديان البشرية أو المذاهب السياسية المعاصرة ، والأيديولوجيات الحديثة التي لم تثبت أن ظهر عجزها عن العطاء مما استدعي تطويرها بالإضافة والحذف .

أما الإسلام فإنه بوصفه « الدين الخاتم المنزل من السماء المؤتمن قرآنه والذى جاء للبشرية كلها » والقائم إلى يوم الدين فإنه يختلف عن هذه الأديان البشرية والمذاهب السياسية من حيث قدرته الدائمة المتتجدة على العطاء في مختلف العصور والبيئات .

أما الأيديولوجيات السياسية المعاصرة فإنها لم تستطع تحقيق هدف العطاء الدائم فاحتاجت إلى التطوير بالحذف والتعديل .

ولقد حاول كثير من كتاب التغريب تطبيق مفاهيم الدين البشري على الإسلام من حيث الفصل بين العلم والدين ، وبين الدين والسياسة ، وبين الدين والمجتمع ، ورسمت خططاً كثيرة متعددة وعلى المدى البعيد لاحتواء الإسلام في مفهوم المعطيات السياسية والاقتصادية والاجتماعية مع مقوله مضللة بأن الإسلام دين عبادي يقوم على رسم العلاقة بين الله تبارك وتعالى والإنسان فحسب ، ومن هنا يصبح الإسلام في نظر هؤلاء عبارة عن

صلوة وصيام وهذه أخطر المحاولات التي تريد أن تفرغ الإسلام من عطائه الجامع المتجدد كمنهج حياة ونظام مجتمع ، وهو العمل الأول الذي أقامه الرسول ﷺ بناء مجتمع المدينة .

ولقد وقف العلماء المسلمين وقف حاسمة أمام هذا الفكر الباطني حيث يواجهه الإسلام نوعين من الأعداء :

الأول : الكفار الذين يكفرون بالإسلام .

الثاني : الأعداء الذين يحاربون الإسلام حيث يعادونه ويتخفون تحت عباءته متمثلاً في الفرق المختلفة التي تمثل في الإسلام زوراً وبهتاناً ، مثل : السبئية وغلاة الشيعة والخوارج والقدرية والجبرية .

ولما عجزت فرق التنصير عن تدمير الإسلام لجأوا إلى تكوين فرق أنسابها بعض العلماء ، البابية والبهائية والقاديانية .

★ ★ ★

و واضح تماماً أن الإسلام لا يقر التصور الفلسفى الواقى من الفكر اليونانى والفارسى والهندى جملة فهو تصور أريد به وضع صورة للألوهية والكون من علاقة الناس بربهم وبأحداث الحياة كالمطر والرعد والبرق وجعل لكل من هذه الأمور إلهاً (تعدد الآلهة) .

وهذا كله مرفوض تماماً ، فقد قدم الإسلام تصوراً كاملاً ^{عام الغيبة} للميتافيزيقيا من لدن حكيم عليم في آى القرآن لا يحتاج معه المسلم إلى ذلك التصور الوهمي الذي قدمته خيالات الفلسفة ، وقد حرص الإسلام أن يقدم تصحيحاً لكل كتابات اليونان ، والتي حملها فلاسفة مسلمون ، وقد ترجموا أصول النجوم والفلك وترجمت كتب اليونان ، والتي صاحبها فلاسفة مسلمون أغلاطها ، صاحبها أغلاط جالينوس وأبقراط وأفلاطون وأرسطو وأقليدس وبطليموس .

وقال جوستاف لوبيون : إذا كانت هناك أمة تقر بأننا مدينون لها بمعرفتنا لعالم الزمن القديم ، فالعرب هم تلك الأمة لارهاباً القرون الوسطى الذين كانوا يجهلون حتى اسم اليونان فعلى العالم أن يعترف للعرب بجميل صنعتهم في إنقاذ الكنوز الثمينة .

وقال ليدي : لو لم يظهر العرب على مسرح التاريخ لتأثرت نهضة أوروبا في الآداب عدة قرون .

وكان جوستاف لوبيون قد أقر بفضل المسلمين فقال :
ينسب الناس إلى فرانسيس بيكون قاعدة التجربة والملاحظة والمنطق الاستقرائي (Inductive Lag,ir) .

وهما الأصل في أساس البحث العلمي الحديث فالواجب أن نعترف اليوم بأن هذه الطريقة كلها من مبتدعات العرب .

ويقول روبيوت بريفولت في كتابه : The Making Hamanitiy :
وما من ناحية من نواحي تقدم أوروبا إلا وللحضارة الإسلامية فيها فضل كبير وأثار حاسمة لها تأثير كبير .

لم تكن العلوم الطبيعية التي يرجع فيها الفضل إلى العرب هي التي أعادت إلى أوروبا الحياة ، ولكن الحضارة الإسلامية قد أثرت في حياة أوروبا تأثيرات كثيرة ومنوعة منذ أرسلت أشعتها الأولى .

★ ★ ★

والإمام الغزالى في بحثه عن (إلجام العوام في علم الكلام) يطالب أهل الرأى من العلماء والمفكرين وولاة الأمور بإبعاد ذوى المعرف المحدودة الساذجة عن ساحة الخوض في علوم العقائد خوفاً على سلامته فطرتهم من أوليات القلق والحيرة ومزالق الشطط والضلال .

أما خواص الدارسين فقد دعاهم إلى الغوص فيها من أجل حماية عقيدة التوحيد وحراسة مبادئها أمام تيارات الجاحدين ومناظرات المبطلين من غير المسلمين .

ومن هنا فإن الدعوة إلى جعل الفلسفة عامة للجميع كما يدعو إليها المبطلون في عصرنا هذا : هذه الدعوة مدمرة وخطيرة ، لأنها في أقل ما تترکه الريمة والشك في التفوس النقية البسيطة .

والواقع أن كل ما كتب في كتب الفلسفة من الكلام والمنطق والتصوف الفلسفى يجافي الحقائق الأصلية ، وهو الجبرية فهو تهويم خطير يراد به إحياء هذه المفاهيم وأخطر ما قدمته الفلسفة في نظرية الشك التي لم تتمكن من الوصول بالإنسان إلى العقيدة الثابتة ، وقد أوضح القرآن الكريم أن الإنسان أُعطي علمًا قليلاً .

★ ★ ★

ولقد تبين أنه من الضروري لتأكيد اليقظة الإسلامية وحتى تحقق غايتها أن نعود إلى المفهوم الأصيل وال النوع الأول لمفهوم العقيدة بعيداً عن كل ما يتصل بعلم الكلام أو المنطق أو التصوف الفلسفى أو الاعتزال حيث يجب تحرير النظرة الإسلامية من هذه الدخائل التي اختلطت بالفکر الإسلامي بعد ترجمة الفلسفة اليونانية والعودة إلى المنابع .

ولقد حاول بعض المفكرين التماس مفهوم المعتزلة وموضوا به شوطاً ، ولكن ذلك لم يحقق الوصول إلى الفهم الأصيل ، وكان هذا الاتجاه مرحلة على طريق المنابع ، وقد تبين أن المفهوم القرآني - وحده - هو القادر على العطاء ، ولا بد من التماسنه وهو ما دعا إليه الإمام حسن البنا وكشف عن عجز الأساليب الأخرى في تحقيق الهدف

يجب أن تكون لنا نظريتنا في علوم المعرفة والتقدم والتحديث .

لقد كانت ترجمة الفلسفة اليونانية بمثابة رياح سوداء شديدة الظلمة مرت بالأمة الإسلامية ، فكانت مصدر كل الهزائم التي وقعت لها من بعد ، وكانت شديدة التأثير على كل صاحب قلم وفکر ، فكل التعقيدات التي نراها في المعرى وابن تمام والمتنبى وغيرهم إنما ترجع إلى أثر الفلسفة اليونانية ، ولم يكن الاعتزال كما يدعى المستشرقون مصدر قوة بل كان مصدر ضعف ، فقد ترك المسلمين مفهومهم الجامع بين العقل والروح وأعلوا شأن العقل والكلام ، والمنطق والفلسفة فأصابهم نتيجة ذلك شر كثير لقد جاء الإسلام بمفهوم التكامل الجامع بين المادة والروح ، والعقل والقلب لأول مرة ، في الإسلام بعد أن خضعت الحضارات والثقافات القديمة لأحدهما تجاهلت الآخر وجاءت الحضارة الغربية الآن لتعلى من شأن المادة والعقل والحس وتنكر الوحي والنبوة والغيب والألوهية .

★ ★

جاء الإسلام جاماً بين الدين ومنهج الحياة ونظام المجتمع حيث لا صراع في الإسلام بين الدين والعلم ، ولا بين الدين والعقل ، فإن الإسلام هو الذي أعطى العلم منهجه التجريبي .

لقد قدم الإسلام أصفي وأعلى مفهوم للإنسان الذي كرمه الله تبارك وتعالى ، وأسجد له ملائكته ، وأعطاه حرية الإرادة والمسؤولية الفردية ، بينما كان في نظر الفكر الغربي حيوان ثم يحكم ولادته مجبور التناصح ، لقد أقام الإسلام منهج مجتمعه وحضارته على أساس المسؤولية الأخلاقية ، ففي مفهوم الفن والأدب أعلى من الأخلاقيات على الجماليات ، وفي مفهوم التقدم جمع بين المادى والمعنوى .

وهكذا أقام الإسلام [المنهج الجامع] .. القائم على قاعدة الثواب والمتغيرات فأعطى حرية الحركة نحو التغيير والتطور في دائرة المتغيرات بينما بقيت دائرة الثواب قائمة ، كذلك ربط بين الفردية والجماعية في كيان واحد بعد أن عاشت البشرية آلاف الأعوام في صراع بين المذاهب الفردية والمذاهب الجماعية .

لقد جاء الإسلام ليكون دين البشرية الخاتم وقد أحدث ما أسماه المؤرخون وعلماء الآثار : (الانقطاع الحضاري)

لقد قدم الإسلام ثلاثة مناهج أساسية :

- ١ - المنهج التجربى في العلوم .
- ٢ - منهج المعرفة ذى الجناحين (العقل والروح) .
- ٣ - قانون قيام الحضارات والأمم وسقوطها الذى اكتشفه ابن خلدون .

★ ★ ★

لقد قامت الدعوة الإسلامية بتقديم منهج للفكر الإسلامي على أساس : تحرير العقيدة وإقامة مفهوم التوحيد الخالص بعيداً عن الخلط مع :

- ١ - علم الكلام والاعتزال .
- ٢ - الفلسفة .
- ٣ - التصوف الفلسفى .

وقد التمس المسلمون هذا المفهوم من القرآن الكريم والسنّة على التحول الذي عرفه المسلمون قبل ظهور الخلاف .

وهي بذلك تعمل على التحرر من كل مفاهيم الفرق والنحل والدعوات التي تأثرت بالفلسفة اليونانية من ناحية ، وبال الفكر الغنوسي الفارسي من ناحية أخرى ، إيماناً بأن القرآن الكريم والسنّة المطهرة قادرین على تقديم تصور كامل جامع مستمد منهما دون حاجة إلى منطق اليونان أو مذاهب الاعتزال أو التصوف الفلسفى .

ومن هنا فهى تضع كل هذا الفكر المنشور الآن في معاهد التعليم الدينى موضع النافلة التي قد يدرسها الباحثون للإلمام بأدوار تاريخية مضت وانتهت ، إذ لا حاجة لل المسلمين اليوم بالعودة إلى دراسة هذه الصراعات والاختلافات المذهبية والعقائدية التي

كانت مرتبطة بصراعات السياسة وظروف الحكم في فترات مختلفة والتي يجب أن تنتهي بانتهائهما .

ولقد كان واضحاً تماماً أمام الدعوة الإسلامية أن هذه المذاهب والنحل من قرامطة ومذكورة ومانوية لا يمكن أن تدرس في صلب العقيدة الإسلامية ، ولكنها تدرس في إجمال بالغ في مجال الدعوات الهدامة .

ولقد جرت المحاولات على تقديم العقيدة الإسلامية على هذا النحو المضطرب من أجل الحيلولة دون وصول المسلمين إلى جوهر التوحيد الخالص والثقة بأن المنهج الذي قدمه الإسلام هو وحده الذي قدم مفهوم العقيدة الصحيحة المحررة من كل عوامل الاضطراب ، وكان أبرز ما يرمي إليه تقديم (منهج حياة ونظام مجتمع) قادر على بناء الحياة على أدق وأعظم الصور والأساليب .

وكان في مختلف العصور قادراً على أن لا يعلى من شأن عنصري (العقل والوجدان) وكيف عجزت المحاولات الثلاث حاولتاهما المعتزلة والصوفية من الانفراد بالتصور الإسلامي عن وصول غاياتهما . وأن تحق الحق بأن الإسلام جامع بين العقل والقلب ، والمادة والروح والثواب والمتغيرات والدنيا والآخرة .

ومن هنا فإن محاولة بعض الباحثين المسلمين في التوسيع في عرض هذه النحل والدعوات وتفاصيلها ، إنما هو من الأعمال الخطيرة التي تحول دون الوصول إلى المنابع الأصلية للإسلام ، وأنه متابعة للخطة المرسومة التي قام بها الاستشراق من أجل تصوير الإسلام على أنه عقلانية إسلامية أو إشراقية غنوصية : هذه الخطة التي جرى عليها بعض الكتاب المسلمين بحسن نية ظناً منهم أنها عمل أساسى ، بينما هي في الحقيقة محاولة خطيرة تصيب المفهوم الأصيل في النفوس المؤمنة بالاضطراب والشك .

وكذلك تقف الدعوة الإسلامية موقفاً مجرداً من تاريخ الإسلام فتتظر إليه في ضوء مقررات الإسلام وتفرق بينه وبين منهج الإسلام نفسه بوصفه التجربة البشرية التي تقوم على الخطأ والصواب .

والتي تمثل في مجموعها ذلك العمل الكبير الذي قدمه المسلمون إيماناً بالله تبارك وتعالى ، وبدلأ للنفس والمال في سبيل أن تكون كلمة الله هي العليا ، حيث استطاع الإسلام أن يحقق قيام هذا المجتمع الممتد من حدود الصين إلى حدود نهر اللوار في أقل من ثمانين عاماً ؛ ولذلك فإن محاولة تصوير هذا التاريخ على أنه لم يكن إلا صراعاً

بين الأمراء والحكام ، أو مؤامرات وخلافات هي محاولة باطلة ومضللة قام بها الاستشراق والغزو الفكرى من أجل الحيلولة دون تمكين التاريخ الإسلامى من إعطاء الثقة الحقيقية بعظامه الإنسان نفسه ، وفي هذا المجال يجرى بعض الكتاب للإعلاء من شأن العنصر العربى ، واتهام العناصر التركية والفارسية بأنها كانت مصدر تراجع الحضارة الإسلامية ، أو إيجاد صراع بين العرب والترك والفرس بإحياء خلافات قديمة قد انتهت أمرها ، ولم تعد هناك مذعنة لإحيائهما من جديد .

سقوط الفكر الباطنى وتحصين الفكر الإسلامي ضد الاختراق

كشف علماء الإسلام زيف منهج الفلسفة اليونانية وحدروا من مخاطره على مفهوم التوحيد الحالى ، وذلك منذ اليوم الأول لترجمة الفلسفات فى القرن الثانى للهجرة ، وكان أبرز العاملين فى هذا المجال : الشافعى وابن حنبل والغزالى وابن تيمية وابن القيم .
الشافعى : أعلن أن اللغة العربية لها منهج يختلف عن أرجانون اليونان .
ابن حنبل : هاجم فتنة خلق القرآن وقال : إنها منقوله من الفكر اليهودى .
الغزالى : دحض تعاليم (الفارابى وابن سينا) وكذب مقولتهم فى ثلاثة موضع .
ابن تيمية : نقض منطق أرسطو ، وأعلن منطق القرآن .

★ ★ ★

مدرسة عبد الرازق :

كان من أكبر أعمال المقاومة مدرسة الشيخ مصطفى عبد الرازق الذى أسس اتجاهًا جديداً أصيلاً في الفلسفة الإنسانية عامة ، وفي الفكر الإسلامي خاصة تقوم على ضرورة انطلاق الفلسفة من اعتقاد الأمة .

ولأن اعتقاد المسلمين هو الإسلام فلا بد أن تكون جذور فلسفتهم في عقيدتهم فالإسلام يحض أولاً على الإيمان بالله الواحد الأحد عز وجل وينهى التفكير في ذاته تعالى .

(تفكروا في خلق الله ، ولا تفكروا في ذات الله فتهلكوا)⁽¹⁾ ؛ ولذلك فلا مجال

(1) انظر مجمع الروايد (١ / ٨١) والسلسلة الصحيحة (١٧٨٨) .

لظهور فلسفة ميتافيزيقة في الإسلام بالمعنى التقليدي كما في المسيحية التي ارتبطت
علم اللاهوت .

غير أن الإسلام يحضر ثانياً على التفكير وإعمال العقل المسلم في خلق الله وعمله ،
وفي إعجازه وقدرته تعالى متجلياً في خلقه والتفكير في شؤون الخلق ، وكان ذلك التفكير
هو الفقه الذي بدأ بالصحابة مع الرسول صلوات الله عليه الذي كان يشجعهم عليه
ويطالعهم به .

(إذا لم تجدوا لأسئلتكم أو أسئلة الواقع لهم في كتاب الله وسنة رسوله التي هي
الحكمة) .

وعلى هذا الأساس رأى أن علم الفقه علم عقلي ابتكر منهجه المنطقي والتجريبي
وطوره في مسيرة متشابكة وطويلة بدأت بتوظيف تراث العرب قبل الإسلام ثم بالتفاعل مع
ما عرفه العرب لدى الأمم الأخرى ، ولكن البداية والتأسيس للفلسفة الإسلامية اكتملت
قبل أن يعرف العرب الفلسفة اليونانية التي تفاعلوا معها كما تفاعلوا مع تراث الأمم
الآخرى ، لكنه يشيدوا فلسفة خاصة .

ورأت أن أصول الفقه الحقيقية أي التفكير في الواقع الإنساني ومشكلاته فيما لم
يأت بشأنه نص من القرآن والسنة كفلت للعقل الإسلامي ، وهو يشيد فلسفته حرية كاملة
وكفلت الإقرار بالمسؤولية الفردية وبمسؤولية الضمير الفردي .

ورأى في كتابه (التمهيد لتاريخ الفلسفة الإسلامية) أن القيود التي فرضت على
حرية العقل الإسلامي نشأت بسبب ظروف تاريخية واجتماعية محددة ليست من جوهر
الفكر والعقل الإسلاميين .

هذا العلم الذي تطور على أيدي فقهاء السنة للرد على تخرصات المجروس وغيرهم
يعد امتداداً للتاريخ الفلسفي الإسلامي ، وكذلك مذاهب المتضوفة المسلمين في حالات
الوجود والشوق والوصول . إلخ .

والتي رأى أنها تصلح أساساً ميتافيزيقاً إسلامية متميزة عن بطلاتها التي أسسها
فلسفه اليونان والإسكندرية ..

وجملة ما حدده الشيخ مصطفى عبد الرزاق : أن علم الكلام وعلم أصول الفقه
دليل على الفكر الفلسفى في الإسلام ، وبذلك تكون الفلسفة الإسلامية ذات استقلال
نظرى عن فلسفة الإغريق ، فإذا كان الفارابى وابن سينا وابن رشد يعدون من تلاميذ

الفلسفة الإغريقية فإنهم لا يمثلون الفكر المستقل في الإسلام ، وإنما يمثله واضعوا علم الأصول الفقهي ، وأساتذة علم الكلام ممن فلسفوا وسائل النظر الفكري في الإلهيات وما وراء الطبيعة فلسفه تؤيد الوجهة القرآنية في مصدرها الصحيح .

ويقر الشیخ مصطفی عبد الرزاق : أن التوحید والتتصوف بابان من أبواب الحياة العقلية في الإسلام وأنهما على اتصال بالبحث الفلسفى الحالص وأن علم أصول الفقه هو ضرب من مناهج البحث في التشريع الإسلامي نبت في ظل الإسلام وكفه وإن تأثر بعد ذلك بمنطق أرسطو خاصة والفسيولوجية بصفة عامة .

وقال : إن جمهرة المستشرين في القرن ١٩ قد استولت عليهم نزعات التعصب الدينى فوقوا من الفلسفة الإسلامية وأهلها موقف عداء وكان عليه أن يعرض آراءهم في أمانة العالم ونراحته ثم يعقب عليها بتفنيد أقوالهم وبيان وجه الخطأ في تعسف حكمائهم ففعل في اتزان ووضوح ، وتحدث عن تجربة الجنس الذى اعترف أرنست رينان بأنه أول من زخرف نظرية الأجناس ثواباً علمياً .

وزعم أن الجنس الأبيض ، ومنه انحدر العرب ، ولم يخلق بطبيعته الأصيل بل إن العرب في زعمه لم يستوعبوا الفكر الأصيل الذى نقلوه من اليونان إلى لغتهم فأبلغوه بشروحهم وشوه بتعليقاتهم .

وأكيد الشیخ مصطفی عبد الرزاق : استكشاف النواة الأولى للنصر العقلی الإسلامي فقرر أن القرآن الكريم قد ذكر الحكمة التي عرفها العرب وكانت شرفاً لأهلها وأثني عليها أثناء شرح توجيه النظر العقلی عند المسلمين في عهدهم الأول وكان الاجتهاد بالرأي في الأحكام الشرعية بداية النظر العقلی عند المسلمين وقد نما وترعرع في رعاية القرآن الكريم ونشأت فيه المذاهب الفقهية .

★ ★ ★

وفي مواجهة تصحيح الفكر الإسلامي ذهب العلمانيون والملاحدة إلى إعادة إحياء القراءمة - وابن عربى والحلاج وإنوخان الصفا ، وكان أكبر هذه الفرق اهتماماً : المعتزلة بوصفها أنها مذهب عقلى حيث حظى بأكبر قدر من الاهتمام .

أولاً : المعتزلة وما يتعلق بفتنة (خلق القرآن) وغيرها .

ثانياً : الباطنية والفرق الغالية .

ثالثاً : التصوف الفلسفى ومتصرفه الباطنية ودعاة وحدة الوجود والحلول والاتحاد ، ومن بين مفاهيمهم الغنوص .

وما أدخل إلى مفاهيم الإسماعيلية عن الولاية وعن آل البيت وخلافتهم ، ومحاوله رفعها إلى درجة الأنبياء والملائكة وهو ما يسمى بالغنوص الإسماعيلي ، وانطلاقاً من هذا الغنوص الإسماعيلي كان نفي البابية والبهائية عقيدة ختم النبوة والرسالة محمد ﷺ عندما زعموا استمرارية تعجل الحقيقة النبوية في صورة الباب ثم البهاء مصدر هذا الفكر نظرية الصدور في الأفلاطونية المحدثة وهنا يتكشف دور الحلاج ودور ابن عربي .

قال اسين بلاسيوس : إن عصر ابن عربي كان قد تمثل علوم اليونان جمياً وذلك بفضل الدراسات الفلسفية اللاهوتية التي قام بها ابن سينا وأعقبت مذاهب الصوفية ، وهى ذات مذاهب لها طابع نظري غالب وفي أساسها يتجه نحو القول بوحدة الوجود .

وقد عرف ابن عربي بمذهبه الغامض المتناقض في وحدة الوجود أما شهاب الدين السهوردى فقد كان مذهباً غامضاً متناقضاً في وحدة الوجود .

أما الحلاج فقد فلسف نظرية الإله الإنساني التي هي المدخل لفلسفة وحدة الوجود في مدرسة ابن عربي ، وقد أكد ماسنيون في كتابه « عذاب الحلاج » أن الحلاج راح ضحية مؤامرة كبرى في الدولة العباسية في حضور ومواجهة كل الفرق الإسلامية في عصره ، وأن الحلاج فيما يرى (ماسنيون) كان يسعى إلى جمع الكلمة الإسلامية المتفرقة في عصره ؛ ولهذا كان الحلاج حين صلب ضحية السياسة أكثر من أنه ضحية الاصطدام بالشعور الديني لشريعة الجماهير الإسلامية .

وقد كان السهوردى هو الذى حمل لواء الغنوص الباطنى فى مواجهة الفلسفة اليونانية ، وكان أخطر ما قام به السهوردى هو تأويله للقرآن كى يشهد للذوق الباطنى حيث يشهد للذوق الباطنى الصوفى الغنوصى ضد البرهان العقلى وهكذا كانت المدرسة الفارسية الغنوصية المتأمرة على الإسلام المناهضة كمفاهيم حضارية للإعلام ، وقد أولى (هنرى كوبان) بالسهوردى ، وكذلك اهتم به ماسنيون وجولد سيهير حيث جمعوا هذه المقولات المضللة وتقديمها من جديد للمسلمين فى العصر الحديث .

وقد حرص المستشرقون وأتباعهم على الحرث على ما دخل إلى مفاهيم الإسماعيلية عن الولاية ، وعن آل البيت وخلافتهم ، ومحاوله رفعها عن درجة الأنبياء والملائكة ، وهو ما يسمى (الغنوص الإسماعيلي) .

المؤامرة على الوحي

ابن سينا ، معبد الجهنى ، غيلان الدمشقى ، الجعد بن درهم

لاشك أن الفتنة السياسية المختلفة بين الإمام على كرم الله وجهه ومعاوية والصراع الذى شابها على الخلافة كانا بمثابة السيف الأول الذى جعل أفكار العقل تخرج من عقالها ، ولم يكن للجيل القرآنى العظيم الذى عاش هذه الفتنة وهذا الصراع نصيب فى إنتاج هذه الأفكار بل كان هناك أشخاص معينون لهذه المهمة أى لإثارة الفتنة وجرها على أصحابها إلى حلبة الصراع الهدائى أولاً ، ثم الصراع الدامى أخيراً من أجل إفساد الإسلام والإضرار به .

كان هناك عبد الله بن سبا اليهودى الذى أدخل اليهوديات الإسرائيلىات إلى الإسلام ويث سموها فيه وفي رجاله .

فكان معبد بن عبد الله الجهنى البصري : الذى يقول بالقدر ، علمه إياه رجل نصرانى من أهل العراق يدس سوس وتنبأ فى صدره سموه ، فكان معبد أول من قال بالقدر فى الملة المحمدية ، وقدم مدينة الرسول ﷺ فأفسد فيها أنساً فاشتغل أهل زمانه بتحذير الناس منه .

وروى أن الحسن - رضى الله عنه - كان يقول : (إياكم ومعبدأ فإنه ضال ومضلل) .

وروى أن مسلم بن يسار كان يتحسّس إلى سارية المسجد ويقول إن معبدأ يقول بقول النصارى .

ومازال كذلك حتى أخذه عبد الملك بن مروان عام ٨٠ فقتله وصلبه فى دمشق . وانتقلت آراء معبد إلى غيلان بن مسلم الدمشقى فخاض فى القدر ، وكانت نهاية أمره أن أخذه هشام بن عبد الملك بن مروان ققطع يديه ورجليه (مقالات إسلاميين) . وتمت هذه الأفكار العقلية فى البيئة الإسلامية حتى استقرت فى الإطار المعتزلى الذى كان أبو الهذيل العلاف ٨٤٩ هـ ، شيخ المعتزلة أستاذ الخليفة العباسى المأمون الذى يدرسه ، ويعلم الأديان والأقوال المختلفة فى الملل والنحل والعقائد المخالفة للإسلام .

والمأمون هو صاحب محبة خلق القرآن شجعه على إعلانها المحدث المعتزلى

(أحمد بن أبي دؤاد) وفكرة خلق القرآن فكرة يهودية أصلاً ونسبةً ، أخذها الجعد بن درهم عن إيان بن سمعان التميمي الهندي الذي ادعى النبوة ، فقتله خالد العشري ، وأخذها إيان عن طالوت (شارون بالعبرانية) ابن أعمص اليهودي ونادى بالفكرة أمام الخليفة العباسي هارون الرشيد .

المعتلى بشر المرىسي ، وهو من أصل يهودي أيضاً ، فقد كان أبوه يهودياً يحترف الصباغة في الكوفة .

ويروى ابن الأثير في تاريخه أن أول من نشر فكرة (خلق القرآن) بين المسلمين هو لبيد بن الأعصم الذي كان يقول بخلق التوراة ، ثم أخذ الفكرة عنه ابن أخيه طالوت بن الأعصم .

وقال ابن قتيبة في «عيون الأخبار» : إن أول من قال بالفكرة المغيرة عن سعد العجلى ، وهو من أتباع عبد الله بن سبأ اليهودي ، وحين أعلن (المؤمنون) عن فكرة خلق القرآن وتحزب لها وربط بينها وبين القول بالتوحيد حتى قال : لا توحيد لمن لم يقل بأن القرآن مخلوق [انظر رسالة المأمون في خلق القرآن من كتاب عصر المأمون ج ٢ ، تأليف دكتور أحمد فريد رفاعي ١٩٢٦] .

* وخلاصة هذه السطور أن المؤامرة على نقض الوحي الإلهي إلى خاتم المرسلين والأنبياء محمد صلوات الله عليه بدأت أول ما بدأت على أيدي اليهود ، وأن هؤلاء اليهود لم يجدوا من وسيلة يحاولون بها هدم الملة الإسلامية سوى ما توحيه إليهم به شياطين عقولهم المتهافة من أفكار واهية ومزاعم باطلة .

على أن علاقة اليهود بالعقل الإغريقي ليست مجهلة كما أرادوا وكرروا وأعادوا للاعتقاد الإسلامي وهو في أوجه وذرورة توقفه اعتماداً على القرآن والسنة نفس مافعلت اليهودية حين اصطدمت تعاليمها التوراتية المزيفة مع العقل الإغريقي الذي بدا للأحرار اليهود أكثر حكمة ورزانة وتوافقاً .

ولكى تدعم اليهودية حكمتها التوراتية حاولت - خاصة على يد (أرسنو بولوس) التوفيق بين ما هو لليهود وما للإغريق وحسب ما يذكر الدكتور محمد البهى فى كتابه (الجانب الإلهى فى التفكير الإسلامي) فإن العزة الوطنية اليهودية فى توفيقه غابت عليه فكان نمطه فى التوفيق ، أما التزيف بالنسبة إلى الإغريق أو رد فلسفة الإغريق إلى التعاليم الموسوية بمحاولة استنباط آراء الفلاسفة ، حتى آراء الشعراء اليونانيين من التوراة ،

وهكذا بناء على نمطه في التوفيق يجب أن يكون فيثاغورس وسقراط وأفلاطون قد أخذوا جمياً من التعاليم الموسوية .

ثم يضيف قائلاً : وربما كان استوينوس هو أول من وفق بين سماوي وبين الفلسفة الإغريقية ، وربما كان أيضاً أول من زيف في نسبة الكتب الفلسفية ، وربما كان أخيراً أول من رد التعاليم الفلسفية إلى مصدر ديني سماوي .

فالمؤامرة إذن كانت (مؤامرة يهودية - هلينية) مزدوجة أو مشتركة وربما كان المأمون واعياً بها وبخلفيتها وأبعادها ، وربما لم يحظ بها علماً ، فاليل اليهودية كانت تعمل في مجال التآمر المكشوف أو المستور على الوحي الإسلامي بالذات لكن تنتهي هذه اليد الآثمة الملعونة إلى بسط الهيمنة على المسلمين بنقض اعتقادهم وتزيفه وتشويهه ، وبهدم أركانه الإسلامية ، ودعائمه الأولى هو مالا يستثنى العمل فيه بمعقول من المعامل وفي مقدمتها معلول (العقل) الذي هو طبيعة في الإنسان ، وركيزة في الوجود ، وهو دليل الأدلة إلى الحقيقة ، ورشد النفس إلى النهج ، وهاديتها على السبيل السوى ، وحاديتها على الصراط المستقيم . (أحمد سوكى) مجلة الرسالة المغربية .

★ ★ ★

كان إخوان الصفا فضيلاً صنع من هذا التلفيق الغنوسي لصورة الإسلام ، وقد اخترعوا أحاديث نبوية في محاولة وضع الأفكار الأفلاطونية المحدثة والغنوсяية على لسان رسول الله ﷺ .

وكان القرامطة فضلاً من المركب الغنوسي الإسماعيلي .
وكان متصوفة وحدة الوجود بدءاً من الحلاج (القائل بوحدة الوجود) وبالعرفان الغنوسي سبيلاً للاتحاد بالله (تبارك وتعالى) والفناء فيه ، ومحكمي الدين بن عربى عمر الدين المهندس الأكبر لنظرية وحدة الوجود .

وقد كانت هذه الفلسفات بعد انتصار الإسكندر المقدوني على الدولة الفارسية : هذه الدولة التي قامت على الفكرة الهلينية وتمثلت في مدرسة الإسكندرية في القرن الثالث الميلادي والتي لفقت ما بين إسرائيليات الديانة الإسرائيلية ، وديانة الفرس ومذاهبها ، والأفلاطونية المحدثة ، وتجسدت في الغنوسي الباطنى الذي يعتمد العرفان والذوق سبيلاً للمعرفه بدلاً من العقل والنقل .

وقد حاولت الغنوصية بعد معركتها مع المسيحية الاتجاه نحو الإسلام الذي واجه غنوص الفرس وفلسفة اليونان .

عبد الله بن سبأ وفرقه السبيئية

يقول الشيخ رشيد رضا في مقدمة كتابه (رسائل السنة والشيعة) : كان التشيع لل الخليفة الرابع على بن أبي طالب - رضي الله عنه - مبدأ تفرق هذه الأمة المحمدية في دينها ، وفي سياستها ، وكان مبتدع أصوله يهودي اسمه عبد الله بن سبأ ، أظهر الإسلام خداعاً لل المسلمين ، ودعا إلى الغلو في على كرم الله وجهه ، لأجل تفريق هذه الأمة ، وإفساد دينها ودنياها عليها كما فعل أمثاله في النصرانية قديماً وحديثاً وسبب ذلك ما كان من العداوة والقتال بين قومه اليهود ، وبين النبي صلوات الله عليه ، وكانوا هم المعتدين فيه ، وقد انتهى ذلك بنصر الله تعالى لرسوله ﷺ وإخراجهم ، ثم أجلى عمر بن الخطاب الخليفة الثاني - رضي الله عنه - بعده من بقي منهم من أرض الحجاز .
ابتداع هذا اليهودي بدعته ، وأعانه عليها آخرون من أهل ملته ، وأظهروا الإسلام نفاقاً ليقبل المسلمين أقوالهم الخادعة ، ومنها وضع الأحاديث وغشى رواة التفسير بالخرافات الإسرائيلية .

وسرت بدعة التشيع ، وانتشرت بين المسلمين بالدعية السرية ، وكانت أقوى الأسباب في العداوة السياسية بين كبراء الصحابة - رضي الله عنهم - بما كان يسمى في عرف هذا العصر بسوء مفاهيم وحسن النية ، ومن راجع أخبار واقعة الجمل في تاريخ ابن الأثير يرى مبلغ تأثير إفساد السبيئين لذات البين ، وحيلولتهم بالمكر والفساد دون ما كاد يقع من الصلح ، وقد طعنوا على على - رضي الله عنه - وهم الدعاة إلى القول بألوهيته (صفحات ٩٥ / ٩٦ / ١٠٣ من الجزء الثالث) .

ولولا أن خلف زنادقة الفرس هؤلاء السبيئين في إدارة دعاة التفرق بين المسلمين بالتشيع والغلو على على - رضي الله عنه - وأولاده وأحفاده الظاهرين رضي الله عنهم لزال خطرها بعد ترك اليهود لزعامتها السرية ، ولكن الخليفتين الجليلين أبا بكر وعمر - رضي الله عنهم - حاربا الفرس وتم للثانية فتح جل بلادهم وثل عرش كسرى ، والقضاء على ديانتهم الماجوسية فأحبط بذلك قلوب أمرائهم وزعمائهم من رجال الدين والدنيا ، وليس لدى العجز من التأثر بالقوة الحربية إلا المكابيد السرية فتولى مهرا رجال

الفرس أمرها بالسعى لإفساد دين العرب الذى انتصروا بتعاليمه وجمعه لكلمته على الفرس وغيرهم ، ومنهم من تولى السعى للإفساد السياسى بتحويل الخلافة إلى العلوين ، ولما لم يجدوا من يوائتهم حولوها إلى العباسين ، ثم صاروا يكيدون للعباسين بما كان أغرب طرقهم فيه ماقام به البرامكة من جعل جميع إدارة ملك الرشيد الواسع وسياساته فى أيديهم حتى تنبه لذلك فبطش بطشته الكبرى بهم ، وكان أذكى من فطن لدسائس البرامكة ، والحاد الشيعة الباطنية ، ووقف على كثير من وقائعهم مما أورده العلامة المحقق القاضى أبو بكر بن العربى الأندلسى لما نوه به فى رحلته وفي كتابه العواصم من القواصم

كان من تعاليم غلاة الشيعة بدعة عصمة الأئمة الذين استخدموا أسماءهم وشهرتهم لترويج سياستهم ، وبدعة تحريف القرآن ، ثم البدع المتعلقة بالقائم المنتظر ، محمد المهدى وكونه هو الذى يظهر القرآن التام الصحيح الذى يزعمون أن علياً كتبه بيده بعد وفاة النبى ﷺ ، وفتحهم أبواب التأويلات المنصوصة بما لا يتفق مع شئ من قواعد اللغة ، فكان قدوة سيئة لجميع المبتدعة ، دع قول بعضهم بألوهية بعض أئمة أهل البيت الموروثة عند الإماماعية ، وغير الموروثة عند غيرهم من الباطنية ۱ هـ .

ومما يتصل بتاريخ ابن سبأ أن اتفق الطبرى السنى والنوبختى الشيعى (فرقة الشيعة) أنه كان يهودياً أسلم ليكيد للإسلام من الداخل ولبث الفتنة بين المسلمين .

آمن (ابن سبأ) بالوصية ، وأول من قال بالوصية ، وأن النبى ﷺ أوصى لعلى .

وقال ابن سبأ بکذب من قال إن علياً مات وإنما صعد إلى السماء كما صعد عيسى ابن مريم ، وقد اندس السبئية فى مختلف الفرق مع الاعتصام بالتقية والانصياع للحاكم الجائر فى انتظار المهدى .

هذه الآراء جاءت كلها من الفكر الشرقي : المسيحية واليهودية والزرادشتية والمانوية والمذكورة (وكل هذا وغيره فى تاريخ الرسل والملوك للطبرى ص ۳۴۰) .

القرامطة والاستشراق

حظى تاريخ القرامطة وعلاقاتها بمؤسسى المذهب الإماماعى والخلافة الفاطمية بعناية المستشرقين المبكرة ، فبدأوا دراستهم منذ أواسط القرن التاسع عشر ، وتحديداً عام ۱۸۳۷ م من زوايا مختلفة بيد أن أول معالجة مركزة وثيقة لهذا الموضوع تمت على يد

المستشرق الهولندي (دى خويه) عن مانشيه عام ١٨٦٢ رسالة عن (قرامطة البحرين) .
والمستشرقون الذين يدفعهم التعصب الأعمى لل المسيحية ، والحقن على الإسلام
كتبوا وألفوا عن الإسلام والمسلمين منذ أوائل القرن ١٩ حتى منتصف القرن
العشرين (٦٠ ألف كتاب) .

ورد ذلك في كتاب الاستشراق والحلقة الفكرية للصراع للدكتور الديب . ولا شك
أن كتاباتهم وتأليفهم كانت من أهم المصادر التي استقرت منها الثقافة العربية الإسلامية
الحديثة ظهرت تلك الثقافات وخاصة أن كثيراً من المستشرقين قام بالتدريس في
الجامعات العربية والإسلامية (ثقافة مشوهة) أما علماء الإلحاد في روسيا فقد اخترعوا
لأنفسهم طريق الثورة حتى في مواجهة الأديان ، فقال ماركس : لاغنى في الوقت الحاضر
عن شن أشد الحرب على تعاليم الدين أوهامه وخرubلاته .

★ ★ ★

(القرامطة) : نشأتهم ودولتهم وعلاقتهم بالفاطمية للمشرق فقال (بافادى خويه)
يقول مؤلف كتاب الاشتراكيون والعرب والاشراكية الدولية (عمر حليق) : ليس من
الضروري أن أبدأ من قصص الإنجيل والقرآن والكتب الدينية التقليدية ، وأن نقول بأن
المواعظ والصلوات بضاعة لاتصلح إلا للأطفال هذا النوع من الدعاية الاشتراكية ضد
الأديان تفييد كثيراً ، وإنما علينا أن نعيد تفسير قصص الدين وسيرة رجاله ومواعظهم
وأحاديثهم وأقوالهم بقلب اشتراكي ، فإذا قلنا إن محمدأ تأثر بطلب الحق للفقراء فهذا
تفسير اشتراكي .

وقد اقترحت مجلة العلم والدين الصادرة عن اللجنة المركزية للحزب الشيوعي
السوفياتي بأن لا يقتصر مجھود الاتحاد السوفياتي ، ودول العالم الاشتراكي الدولي أمام
البعث الإسلامي السياسي والعقائدي ، وإنما يحاول الاشتراكيون كذلك وفي كل مكان
أن يعيدوا تفسير الدين الإسلامي كله تفسيراً دقيقاً من زاوية الاشتراكية العلمية . ا . ه .
ويحاول الكتاب الذين شربوا ثقافتهم من كتابات الاستشراق ، ومن التفسير المادى
للتاريخ فكانت مجلة الكاتب والطليعة المصريتان تكتبان عن الإسلام وتاريخه على
هذا النحو .

وقد فضح هذا التيار الماركسي دكتور مصطفى محمود في كتابه (أكذوبة اليسار
الإسلامي) فقال : إن هذا الغزو الفكري قد اتخذ لنفسه طلائع زحف من النقاد احتلت

مواضع التقييم في الصحافة والكتاب وراحت تتبع الأفلام التي تكتب واحداً واحداً إذا رأت أحدها يخرج عن الخط الأيديولوجي المطلوب وصلته مع الرجعية العميلية ، وصنفته مع قوى التخلف والاستعمار ، ومحاولة التخليل في المفاهيم ، وركوب موجة الإسلام ، والهتاف بشعاراته تلك الشعارات الدولية من يمين ويسار التي هي لون من ألوان التدليس .

وهكذا لم يتمالك الرفاق المراكسة اليوم بالإسلام فينسون شعاراته مرة ويلبسونه شعاراتهم مرات . (عبد الله السيانى - مجلة الإرشاد) .

أهل الباطن المنتسبون إلى الإسلام

كتب الأستاذ أحمد المطلوب عن القرامطة وإخوان الصفا فقال :

روى ابن سنان أن ابتداء أمر القرامطة كان أواسط القرن الثالث الهجرى على يد واعية لإسماعيلية هم (حمدان بن الأشع) الملقب بقرمط لقصر كان في قامته قدم من بلدة خورستان إلى الكوفة فنزل بموضع يقال له (النهرين) وتظاهر بالزهد ، وأقام على ذلك زماناً كبيراً وكان يقول : إن الصلاة المفروضة على المسلمين هي خمسين صلاة في كل يوم ، ثم خرج إنه يدعى إلى إمام من آل البيت فاجتمع حوله خلق كثير . ومما يسر حركة القرامطة قيام ثورة الزنج الذى امتدت خمسة عشر سنة في البصرة ، وأجمع على أن حركة القرامطة ماهى إلا خطوة من خطوات إسماعيلية التي كانت تتحرك في ثلاث شعب :

(١) بالكوفة - حسن الأهوانى بمشاركة حمدان بن الأشع .

(٢) باليمن - ابن حوشب .

(٣) بالمغرب - أبو عبد الله الشيعى .

وقد سن قرمط على أتباعه نظاماً مالياً اجتماعياً أقرب ما يكون إلى الشيوعية حيث فرض عليهم الخمس .

وقد تحالف القرامطة مع العبيد اللذين زحفا على مصر كما زحف أبو طاهر القرمطى على مكة فدخلها ، وقتل أهاليها (٣٠ ألفاً) وكان يقول : الله يخلق الخلق وأفنيهم أنا (حاشا الله) ونهب الحجر الأسود .

ولا يختلف القرامطة عن الإسماعيلية إلا من حيث القدرة على تطبيق العقائد ، ولا يجوز القول بأن عقائد القرامطة باطنية فالسرية والكتمان محييا من قاموس القرامطة بعد ظهور دولتهم الإرهابية .

وكان زعيمهم يقول : ادع الناس بأن يقرب إليهم بما يميلون إليه ، وأوهم كل واحد منهم بأنك منهم ، فمن آنست منه رشدًا فاكتشف له العطاء فإذا ظفرت بالفلاسفي فاحتفظ به ، فعلى الفلسفه معولنا وإنما وإياهم مجموعون على رد نواميس الأنبياء . إن الجنة هي لهم في الأرض والعذاب إنما هو اشتغال أصحاب الشرائع بالصلوة والصيام .

ويعتقد القرامطة بالتسلسل ، ويزعمون أن نظام تعاقب الليل والنهار ، وتولد الحيوانات لا ينضي أبداً ، وأن القيامة في ظهور الإمام ، والميعاد هو عود كل شيء إلى أصله ، وقد امتدت حركة القرامطة زهاء قرنين اثنين سواء بالكوفة أم بادية الشام ومنطقة الأحساء والبحرين .

جماعة إخوان الصفا

اعتبرت الإسماعيلية في القرنين الماضيين رسائل إخوان الصفا رسائل مقدسة في مرتبة القرآن الكريم ويزعم أحد دعاتهم المعاصرین الدكتور حسن الهمزانی ، وهو من الإسماعيلية أن القرآن الكريم كتاب العام ورسائل إخوان الصفا كتاب الأئمة .

وأ لهم رسائلهم تتحدث عن وحدة الأديان .

ومن دعوامهم الباطلة أن العالم قديم ولا نهاية له .

★ ★ ★

ومن المقولات المضليلة قول القرامطة بأنهم تجربة رائدة في الاشتراكية مما جعل داعييهم (عبдан) صاحب مدرسة ورائد جماعة فكرية وكشفت كتاباتهم عن دورهم في التاريخ الإسلامي .

مما سموه العمل السرى الذى أقام تلك الدولة لتظل شوكة فى جنبي الخلافتين العباسية والفارطمية مما يمتد على قرن من الزمان ، وقد أجمع المؤرخون على اتهام القرامطة بإبطال التكاليف الشرعية فهم يزعمون أن الصلاة والزكاة والصيام نافلة ، وقد زعموا أن من عرف العبادة سقط عنه فرضها كما ادعوا تحول القبلة إلى بيت المقدس والحج إليه ، والصوم يومان في السنة .

وحوت خر عبلاتهم فنوناً من التشكيك والتدعيس والتلبيس ، قال الإمام الغزالى : إنما الذى يصح من معتقدهم أنهم يقولون لابد من الانقياد للشرع فى تكاليفه على التفصيل الذى يفصله الإمام ، وأن ذلك واجب على الخلق إلى أن ينالوا رتبة الكمال فى العلوم ، فإن أحاطوا من جهة الإمام بحقائق الأمور واطلعوا على بواطن الأمور الظواهر انجلت عنهم هذه القيود ، وانحطت عليهم التكاليف العملية فإن المقصود من أعمال الجوارح ينبع القلب لينهض ليطلب العلم ، فإن ناله استعد للسعادة القصوى فتسقط عنه تكاليف الجوارح .

ولقد أقام القرامطة مجتمعهم على الشيوع والإباحة مع إلغاء الملكية الفردية ، وقد تحول القرامطة مع الزمن إلى عصابة قاتلة تقتل خصومها وتستحل أموالهم وأعراضهم ، وتنشر الدمار والرعب فيما حولها حتى دخلوا إلى مكة واقتحموا البيت الحرام ، واقتلوا الحجر الأسود فبقى في حوزتهم عشرين عاماً .

ابن سبعين

انتحل التصوف في سبته ، ورحل إلى المشرق بعد أن أخرجه حاكم سبته ، وأجمعت دواعي النقد عليه من الفقهاء وهو يرى كما يرى سابقه ابن عربى : أن الحقيقة أهلها قليل وأدعاؤها كثير .

اهتمامه بعلم الحرف ، وله مصنفات يلغز فيها تارة ، وبفصح تارة . أخذ عليه سلاطة لسانه في مفكري الإسلام كإمام الحرمين الجويني ، ومما رمى به عبد الحق بن سبعين قوله : أن النبوة مكتسبة .

وقال ابن العماد : إن صح نسبة ما نسب إليه فهو من أعداء الشريعة المطهرة بلا ريب . وقد اهتم بالفلسفات المتفرعة من الأديان السابقة في محاولة إحياء هذا الفكر المسموم .

الحلاج

وصفه ابن النديم في فهرسه بأنه رجل مشغول لمنهاج الصوفية ، وينتحل ألفاظهم ، ويدعى كل علم ، جسوراً على السلاطين مرتكباً للعظائم يروم قلب الدول ، ويدعى عن أصحابه الألوهية ويقول بالحلول ، ومنهاج الشيعة للملوك ومنهاج الصوفية للعامة .

ويدعى أن الآلهة قد حللت فيه ، وأنه هو الله تعالى جل وتقديس .

الخرمية والجهمية

كانت الحركة الخرمية أخطر الحركات التي استمالت قطاعات كثيرة من مجوس الفرس لتجديده الأفكار الوثنية التي كانت قبل الإسلام وكانت فارس هي مركز الماجوسية ، ومن إيران خرجت الأديان الثلاثة التي هي نتاج الظروف الطبيعية والبشرية لبلاد الفرس والجنس الآرى بصفة عامة .

ومن فارس ظهرت المانوية والمزدكية أواخر القرن الخامس الميلادي .
المانوية تدعوا إلى الرهد واستعجال الفناء وإباحة الملكية العامة في النساء والأموال ، وقد نقلت هذه الأفكار في عصر الإسلام عن طريق عبد الله بن سبأ وتلقى هذه الفكرة من مزدكية العراق واليمن .

فقد كان الفرس ينظرون إلى ملوكهم وكأنهم كائنات إلهية اصطفاهم الله للحكم بين الناس ، وهم أصحاب نظرية الحق الإلهي .

قال رون : لم يعتقد نظرية الحق الإلهي بقوة كما اعتقدت في فارس في عهد الملوك الساسانيان ، وكان الأكاسرة يزعمون أن لهم الحق وحدهم في أن يلبسو تاج الملك .

وكان الهدف هو محاولة إحلال الماجوسية بديلاً للإسلام وكانت الحركة الخرمية من أخطر وأكبر هذه الحركات ، وقد استمالت قطاعات كبيرة من مجوس الفرس .

وتقوم تعاليم بابل على خليط من المزدكية والخرمية بالمجوسية فقد كان يعتقد بالحلول والتناسخ وكان يجيز الإباحة في النساء والإقبال على المتعة واللذة .

وقد تنبهت الدولة العباسية إلى هذا الخطر وكانت نكبة البرامكة إحدى هذه النكبات .

أما مذهب الجهمية فقد حمل لواءه الجعد بن درهم ، وقيل أنه أول من قال بخلق القرآن وخاض فيه .

قال ابن تيمية : إن أول من حفظ مقالة التعطيل في الإسلام هو الجعد بن درهم وأخذها الجهم من صفوان ، وأظهرها فنسبت إليه ، ودعا إلى التعطيل ومراده بالتعطيل حمل الصفات الربانية على المجاز المستلزم للتعطيل .

وقد كشف زيفه الإمام أحمد في الرد على الجهمية ، والبخاري في كتاب خلق

الأفعال ، والطبرى ، وابن حزم فى المفصل ، وابن عساكر وابن الأثير وابن حجر ، ومن تأowيات جهم أنه نفى أن يكون الله تبارك وتعالى ، مرئياً فى الآخرة ، وأنه يتكلم حقيقة وأثبت أن القرآن مخلوق .

والرد أن الله تبارك وتعالى ليس كمثله شيء لا في ذاته ولا في صفاته ولا في أفعاله وقد درج المعتزلة على منهج الجهمية .

الفرقـة الإسـماعـيلـية

هذه الفرقـة عملـت عـلـى هـدـم الإـسـلام وإـضـعـافـه ، وهـى من الشـيـعـة الغـلـاة ، والـذـين يـؤـلـهـون أـئـمـتـهـم ويـسـبـحـون بـحـمـدـهـم ، ولا يـعـرـفـ فـرـقـة شـرـاً مـنـهـم . ومن يـمـعـنـ النـظـر فـي طـقـوـسـهـم يـجـدـها مـأـخـوذـة مـنـ الـيـهـود وـمـنـ الـمـاسـوـنـيـة بـالـذـات ، وـقـيـلـ إـنـها تـرـجـعـ إـلـى أـصـلـ يـهـودـيـاً أـوـلـ منـ قـالـ بـالـرـجـعـة عـبـدـ اللهـ بـنـ سـبـأـ الـيـهـودـيـ ، مـنـ يـهـودـ الـيـمـنـ ، وـدـخـلـ فـي الإـسـلام كـيـدـاً وـدـسـيـسـة ، وـبـثـ أـسـبـابـ الـفـرـقـة وـالـاـخـتـلـافـ فـي صـفـوـفـ الـمـسـلـمـينـ ، وـدـعـاـ النـاسـ إـلـى القـوـلـ بـالـرـجـعـةـ .

وـمـنـ أـشـهـرـ دـعـاـتـهـمـ أـبـوـ عـبـدـ اللهـ مـيـمـونـ الـقـدـاحـ الـذـى أـصـبـحـ وـلـدـهـ عـبـدـ اللهـ رـأـسـ الـقـرـامـطـةـ ، وـهـمـ الـيـوـمـ فـرـقـةـ كـبـيرـةـ فـيـ الـهـنـدـ ، وـيـعـرـفـونـ بـالـنـدـارـيـةـ وـزـعـيمـهـاـ أـغاـ خـانـ ، وـمـنـهـمـ السـلـيـمـانـيـةـ بـالـيـمـنـ وـنـجـرـانـ ، وـمـنـهـمـ الـبـهـرـةـ .

وـلـإـسـمـاعـيلـيـةـ صـلـةـ بـجـمـاعـةـ زـرـادـشـتـ الـمـجـوسـ ، وـهـمـ يـدـعـونـ إـلـىـ الـانـحـالـ وـالـدـعـوـةـ لـلـإـبـاحـةـ وـالـإـلـحـادـ وـتـحـلـيـلـ الـمـحـرـمـاتـ ، وـهـدـمـ الـقـيـمـ الـأـخـلـاقـيـةـ ، وـيـجـزـوـنـ نـكـاحـ الـبـنـاتـ وـالـأـخـوـاتـ وـالـلـوـاطـ وـشـرـبـ الـخـمـرـ ، وـيـعـلـنـونـ الـحـقـدـ عـلـىـ الإـسـلامـ وـالـعـرـوـةـ .

وـتـوـجـدـ بـصـمـاتـ الـيـهـودـ وـالـمـاسـوـنـيـةـ فـيـ حـرـكـاتـ الإـسـمـاعـيلـيـةـ الـتـىـ أـنـجـبـتـ حـرـكـةـ هـدـامـةـ هـىـ حـرـكـةـ الـقـرـامـطـةـ الـتـىـ قـامـتـ لـهـدـمـ الـخـلـافـةـ الـعـبـاسـيـةـ ، وـأـنـتـشـرـ أـتـبـاعـهـاـ فـيـ الـعـرـاقـ وـالـيـمـنـ وـالـبـحـرـيـنـ وـفـارـسـ ، وـمـنـ أـخـطـرـهـمـ قـرـامـطـةـ الـبـحـرـيـنـ الـذـينـ غـرـاـ بـهـمـ سـلـيـمـانـ بـنـ طـاـهـرـ الـكـعـبـةـ الـمـشـرـفةـ .

المزاوجـةـ بـيـنـ الـعـقـلـ وـالـرـوـحـ

يـمـثـلـ الـأـشـعـرـيـةـ نـقـطـةـ التـحـولـ فـيـ تـارـيـخـ الـفـكـرـ الإـسـلامـيـ حـيـثـ زـاـجـ بـيـنـ الـعـقـلـ وـالـنـقـلـ ، فـقـدـ أـدـرـكـ أـنـ الـهـوـيـةـ بـيـنـ أـهـلـ السـنـةـ وـأـهـلـ الـاعـتـزـالـ فـيـ اـتـسـاعـ وـاـزـدـيـادـ ، وـوـجـدـ

حركة الحنابلة تستعيد قوتها ، وأدرك أن الاعتزال صائر لامحالة إلى زوال ، فازعجهته هذه الحقيقة المهولة ، ولذلك تقدم إلى العمل فتتكر للمعتزلة وأعلن انفصاله عنها ورجوعه إلى حظيرة السنة حيث اتخد طريقاً وسطاً بينها وبين مذهب المعتزلة وصادف هذا العمل قبولاً لدى العامة ماعدا الحنابلة .

وكان حملة المعتزلة قد اشتدت على الفقهاء والمحدثين حتى لم يسلم من حملتهم فقيه معروف ، أو محدث مشهور فكرههم الناس ونسوا خيرهم وفضلهم ودافعهم عن الإسلام وتصديهم للزنادقة .

فلما جاء الخليفة المأمور أخذ في نصرة السنة وتنكر للمعتزلة فدخلوا دائرة الضعف والاضمحلال .

وفي عام ٢٣٧ هجرية ضرب المأمور ضربته الكبرى حين أعلن سخطه على المعتزلة ، وكان ذلك عاقبة الإسراف في البطش واحتقار عقيدة الأمة واستخدام العلم في مجال الفكر .

ورأى الإمام الأشعري أن المسلمين وصلوا إلى فرق متاحرة تتناول الإسلام بالكفر والضلال ، ورأى المعتزلة الذين حملوا لواء الحرية في الفكر الإسلامي قد خالفوا مذهبهم ووجد أهل الحديث تجمدوا عند ظاهر النصوص .

ورأى الأشعري في كل ذلك علامات السقوط والانهيار يهدد أمم الإسلام فاقتنع بأن من الخير لهذه الجماعة أن يلتقي العقليون والنصيرون على مذهب وسط يوحد القلب (وهي تجربة أشبه بتجربة الإمام الغزالى) وانتهى الأشعري خالل عزلته على هذه النتائج ، وخرج إلى الناس قال : إنني نظرت فتكافأت عندى الأدلة ولم يترجع عندي شيء على شيء فاستهديت الله تبارك وتعالى فهدانى إلى اعتقاد ما أودعته في كتبى هذه وانخلعت عن كل ما كتب المعتزلة كما انخلعت من ثوابي هذا .

ويقرر العلماء أن أكبر أخطاء المعتزلة أنهم هدموا أعظم ركن من أركان مذهبهم وهو حرية الفرد في اختيار أفعاله .

يقول الدكتور النشار :

الأشاعرة المتكلمون هم الذين فهموا روح الإسلام التي تتعارض مع روح الحضارة اليونانية فأبدعوا في مضامين علم الكلام ومهدوا لقيام منطق تجربى استقرائي سيكون له

أثره البعيد في روجر بيكون ، وفي ابتعاث العلوم التجريبية الحديثة بأوروبا على العكس من ذلك أن الفلسفه الفارابي وابن سينا وابن رشد لا يمثلون الحقيقة ، بل هم مجرد خراج وأتباع لفلسفه اليونان .

التصوف الفلسفى

يرجع ابن تيمية ضلال الصوفية القائلين بالحلول والاتحاد والقائلين بسقوط التكاليف عن بعض الناس إلى أصلين باطلين :

أولاً: فهم لمعنى الوجود ، فمن قائل أن الموجود واحد فالوجود الواجب للخالق هو الوجود الممكن للمخلوق ، كما يقول بذلك ابن رشد وابن سبعين ، وابن الفارض .

وقد ثار ابن تيمية على مناحي الصوفية ومنهجهم وآرائهم وخاصة على ابن عربي وابن سبعين وابن الفارض ومن لف لفهم ، ونعني على ابن عربي بوجه خاص تلك الآراء التي يرى ابن تيمية أنها فلسفة يونانية خالصة ويقول في رسالة (الفرقان بين الحق والباطل) : وهؤلاء كان من أعظم أسباب ضلالهم مشاركتهم الفلسفه وتلقיהם عليهم ، فإن أولئك القوم من أبعد الناس عن الاستدلال بما جاء به الرسول ﷺ فإن الرسول ﷺ بعث بالبيانات والهداى يبين الأدلة العقلية ، ويخبر الناس بالغريب الذى لا يمكنهم معرفته بعقولهم ، وهؤلاء المتكلفون يقولون إنه لم يعد الناس علماً بخبره ، ولا بدلاته ، وإنما خاطب خطاباً جمهورياً ليصلح بين العامة فيعتقدوا في الرب والميعاد اعتقاداً ينفعهم وإن كان كذباً .

وحقيقة كلامهم أن الأنبياء تكذب فيما تخبر به للمصلحة ، فامتنع أن يطلبوا من خبرهم علماً وإذا لم تكن أخبارهم مطابقة للمخبر فكيف يثبتون أدلة عقلية على ثبوت ما أخبروا ولهذا لا يعتقدون بالقرآن ولا بتفسيره ولا بالحديث ولا بكلام السلف وإن تعلموا من ذلك شيئاً فلأجل تعلق الجمahir به ليعيشوا بينهم بذلك (عبد العزيز المراغي) .

وقيل كتب ابن تيمية إلى الشيخ نصر المنجي عشر رسائل يكشف فيها عن عقيدة ابن عربي وابن الفارض وابن سبعين ، ويقدم عليه أن يعدل عن مسايرة هذه العقائد ومسايرة المتكلفين عن الأوامر والنواهى ويشرح لهم التوحيد الحق ويبطل لهم الحلول والاتحاد وينتهي إلى عواقب انتشار هذه الأقوال وخطورها على الإسلام ، وبين له أن هذه لم يأت بها كتاب ولا سنة إلى آخر ما كتبه في رسالته المطبوعة في (مجموعة الرسائل والرسائل) .

ويقول الشيخ أبو الحسن الندوى : إنه كان من أعظم مافعله ابن تيمية أنه كان يرد مذهب الشيخ محبي الدين بن عربي في وحدة الوجود بكل صراحة وإعلان ، فقد كان له جماعة كبيرة من الأتباع والأنصار في مصر والشام كما كانت له طائفة كبيرة من العلماء والمشايخ يعتبرونه عارفاً كبيراً ومحققاً جليلاً ولعله شرب التوحيد ، والشيخ الأكبر الذي لا يدانيه أحد في ذلك العصر .

وكان الشيخ محبي الدين بن عربي قد توفي عام ٦٣٨ قبل ولادة ابن تيمية بثلاثة وعشرين سنة وكانت مؤلفاته متداولة بين الناس وبخاصة (الفتوحات المكية) أما ابن تيمية فكان قد درس الفلسفة والتتصوف والإشراق بتأمل ودقة ، ومن بين ما قرأ من الكتب هذين الكتابين فكان يقتطف من مؤلفاته عبارات ويرد عليها .

وكان قد توصل بها إلى نتيجة أن التوفيق بين ماجاء في هذه الكتب من أفكار وأراء ، وبين تعاليم النبوة مستحيل .

إنه يقول وهو يتحدث عن مذهب الشيخ ابن عربي :

(يقولون لابن عربي وأتباعه) إن الوجود واحد ويقولون إن وجود المخلوق هو وجود الخالق ، لا يثبتون موجودين خلق أحدهما الآخر ، بل يقول إن الخالق هو المخلوق والمخلوق هو الخالق .

فأما الوجود فلا يتصور أن يكون فيه رب وعبد ، وخلق ومخلوق وداع ومجيب إنما الوجود لما فاض على الأعيان فظهر فيها حصل التفرق بين جهة الأعيان كتفرق النور في الزجاج لاختلاف ألوانه ، ويقولون إن عباد العجل ما عبدوا إلا الله ، وأن موسى عليه السلام أنكر على هارون لكون هارون أنكر عليهم عبادة العجل ، وأن موسى كان يعتبرهم من العارفين الذين يرون الحق في كل شيء بل يرون عين كل شيء .. اهـ .

تجدد الفكر الباطني

وهكذا لم تنتفِ نيران الفكر الباطني ، بل انتقلت إلى العصر الحديث ، فكان له بقية باقية تحافظ على مضمونها ، وإن تغيرت الأشكال والأساليب والأسماء كالبهائية والبابية والقاديانية والباطنية .

وهي مسميات جديدة للحركة الباطنية القديمة ، وإن ظهرت في ثوب جديد يروج للفكر الباطني القديم على أنه يمثل الفكر الحر والعقلانية .

وبعض هذه المذاهب ظهرت بصفة خاصة في الطرق الصوفية ذلك لأن الفكر الباطني تغلغل في فكر الصوفية بداية من القرن الخامس والسادس الهجريين ، ومن ذلك أن يقدس شيخ الطرق ويمنحوه من الصفات التي منحها الباطن لأهله .

إن آية الخطر هي اهتمام المستشرقين والشيوخ العين والعلمانيين واهتمام أتباعهم بهم حيث يعتبرونهم دعاة حركة من حركات التحرر والإصلاح ويصورها على أنها حركات تقدمية تنشد العدل الاجتماعي والحرية والمساواة وهدفها في الحقيقة هو هدم وتقسيم دعائم المجتمع الإسلامي .

★ ★ ★

ولا تزال تعلن الجامعات في الغرب وفي البلاد العربية تواصل المعركة . وفي السربون بفرنسا يرأس قسم الدراسات الإسلامية محمد أركون الذي تعاون مع مجمع اللغة العربية بالقاهرة على إخراج كتاب (الفتوحات المكية) في بضعة وثلاثين سفراً لنشر فكر ابن عربي الذي تحتاج إليه أوروبا هذه الأيام (كما يقول الشيخ محمد الغزالى رحمه الله) .

وقد عرف أركون بولائه للغرب ، وكرهه للإسلام ، ونشاطه المحموم ضد العرب والمسلمين ، وفي مقدمتها السعي لإحياء أفكار ابن عربي كجزء من تضليل أمتنا وتعتيم الرؤية أمامها إذ قلب ابن عربي كما وصفه نفسه :

(دير لرهبان وبيت لنيران وكعبة أوثان إنه تثليث وتوحيد ونفي وإثبات) .

لقد أودع السجن في أيام العصر الأموي ، ولكن أصدقاءه نجحوا في تهريه وأعان على إطلاقه من يريد أن يبقى مع غيره من زعماء الباطنية يفتون الجبهة الداخلية وينشرون الخرافات القاتلة لعقائدهنا وأخلاقنا .

قالت موسوعة لاروس : إن محمداً كان كرديناً يطمح في أن يتولى منصب البابوية فلما عجز عن تحقيق ذلك اخترق ديناً جديداً يشبع أطماعه .

إن الدور الذي يقوم به الاستشراقاليون عن دوائر المعرف نسج الأكاذيب عن تاريخنا وعقائدهنا .

★ ★ ★

فتنة خلق القرآن وأحمد بن حنبل - ٨٥٥ م

كان للإمام أحمد بن حنبل دوره الأصيل إبان حركة محنّة خلق القرآن ، والتي بدأها المأمون فقد قام ابن حنبل بما لم يقم به غيره من تعزيز روح المقاومة في مناهضة جهود المأمون والمعتصم والواثق وعمالهم في قمع أنصار السنة ، قد كان طوال مدة المحنّة رأساً يقتدى الناس به وينتظرون منه قوله ليقولوا به .

وفي موقف ابن حنبل اعتباراً :

الأول : الإحساس بأنه لا بقاء للإسلام إلا ببقاء السنة ففي سلامتها سلامته وفي صونها صونه ، ولو أنه أتيح للحركة العقلية التي نهض المعتزلة بها من أجل نبذ السنة فمن الراجح أن يكون لمبدأ حرية الفكر الذي يدين بالعقل دون النقل ولا ينزل على حكم سلطة ما - أثر انحلالي يوهن من قوة الإسلام وتماسكه كما أنه يجعل الإسلام أكثر قابلية للتأثير بما يطرأ عليه من خارجه من عوامل التعديل والإصلاح حتى يكون أكثر انطباقاً على نواميس العقل ، وأدنى إلى مقتضيات واحتياجات التصور المتابعة .

والمعروف بأن إثارة محنّة خلق القرآن كان الدافع إليها في حقيقة الأمر ميل المأمون ، ومن تبعه من الخلفاء إلى سيادة الجبهة الأوثقراطية وقوامها من الوجهاء ، والكتاب الذين أصبح جلهم من الفرس الراغبة في تعزيز سلطان الخليفة وسلطانها ، وفي كسر شوكة العرب والقضاء على أعدائها ، وقد كان من أبرز وسائل أفراد هذه الجبهة ل لتحقيق غايتهم أن يحرروا الخليفة من إذعانه لحكم الشريعة نظراً إلى أن هذا الإذعان ، إنما يعني إذعانهم في ممارسة سلطانهم لرقابة منافسيهم وخصومهم ألا وهم طبقة الفقهاء وعلماء الدين .

وقد وجدوا في إحدى نظريات المعتزلة ما قد يصلح لأن يستندوا إليه في سبيل تحقيق غرضهم ، ذلك بأن القول بأن القرآن غير مخلوق ، وأنه قد تم قدم الله (تبارك وتعالى) إنما يعني أنه مساوٌ له في القدر وتعبير كامل عن حقيقته في حين أن القول بأن القرآن مجرد كلام خلقه يجعله بمثابة غيره من المخلوقات كالناس والأنعام والخيول فليس له

إذن من المقام ما يعزوه الفقهاء إليه وبالتالي فإنه يمكن لل الخليفة أن يأخذ بأحكامه أو يجنبها جانباً وفق ماشاء .

فالقول بخلق القرآن يضعف من الأساس الذي عليه القول بأن القرآن دستور المجتمع والنظام الأساسي للدولة في حين أن القول بخلق القرآن يجعل الإمام فوق الشريعة ، وليس الشريعة فوق الإمام .. اهـ .

وهكذا نرى كيف أن الاستشراق والغزو الثقافي قد استغل حالات معينة ، فإذا كانت الصحوة الإسلامية قد حققت شيئاً ذا بال ، فهو انكشاف مخططات المؤامرة التي ترمي إلى صهرنا في بوتقة الأمية ، وإن كانت لنا دعوة واحدة فهي المحافظة على « الذاتية الإسلامية المتميزة » من الانصهار حتى يقوم أمران :

قال تعالى : « صبغة الله ومن أحسن من الله صبغة » [سورة البقرة الآية : ١٣٨] .

أولاً : المجتمع الرباني في الأرض .

ثانياً : تبليغ الإسلام للعالمين .

والواقع أن كل هذه النحل التي حاول التغريب ترويحيها أمثال البهائية والقاديانية وداعوا توحيد الأديان وال الحوار وإحياء مفاهيم ما قبل الإسلام والاهتمام بالفلكلور ، والتراث الفلسفي والصوفي والباطني .

(الجاج وابن عربى وابن سبعين) والاهتمام بالشعر الإباحى (أبي نواس وبشار) والادعاء بأن القرن الثاني الهجرى - كما قال طه حسين - كان عصر شك ومجون وإحياء للشعر المنسوب إلى الخيام ، وإحياء جبران وإخوان الصفا والزنج والقراطمة والأغانى وألف ليلة .

وكان دعاوى تلاميذ مدرسة (الفرنكوفونية) .. عن هدم (البرهان والعرفان) وترسيف البيان وقد تأكّد أن الفرقان والبرهان هما شطراً النقد الباطنى .

إيماناً أن البرهان هو دعوة الفلسفة وأرسطو والرياضيات ولسقوط استعلاء العقلانية والعقل ولقد كان من الضلالات الماحقة إحياء مجدد الاعتزال أحمد أمين ومحجوب ابن ميلاد وفاروق الدملوجى ، وزكي أبو شادى ومحمد غلاب وهدى حسن جار الله « هؤلاء الذين تابعوا المعتزلة في القول بأن الشريعة الإسلامية دنست بالجهالة واحتلست بالضلالات ولا سبيل إلى غسلها وتطهيرها إلا بالفلسفة » . اهـ .

الهجوم على مشروع أسلمة العلوم الإنسانية

تعرضت الدعوة إلى أسلمة العلوم إلى حملات ضاربة تستهدف وأدّها في مهدّها واقتلاعها من جذورها ، والحكم عليها مسبقاً بالعقم وعدم الجدوى .

يقود هذه الحملة عدد من العلمانيين وال فلاسفة الماديين المهاجمين لأسلامة العلوم الإنسانية يستندون في نقدّهم على الاحتجاج بالمنهج العلمي وما يستلزم من موضوعية ، وينفون أن تكون هناك (معرفة إسلامية) ، ومعرفة غير إسلامية ، ويخلطون خلطاً مقصوداً بين ما يتصل بالعلم وما يتصل بالدين ، وهذا يعني أن المعترضين لا يفهمون الفرق بين الإسلام وبين الأديان ، وأن هناك فعلاً علم نفس مسيحي وعلم نفس يهودي .

وأن هذه العلوم تستمدّ أصولها وجدورها من التراث المسيحي واليهودي على النحو الذي كشف عنه الدكتور صبرى جرجس وغيره .

وأكبر أخطاء المهاجمين هو قولهم أن العلوم الاجتماعية والإنسانية في عصرنا قد استقرت على المنهج التجريبي الخالص مثلها كمثل العلوم الطبيعية .

إن أكبر أخطاء الغرب أن وقعت هذه العلوم في أسر العلوم الطبيعية أولاً ثم في مخطوطات الغرب السياسية ، فقد خفت للغرب أو للشرق .

كذلك فقد استعانت الحكومات الاستعمارية ببعض العلوم الإنسانية وبخاصة (الإثربولوجية الاجتماعية) في توطئة أركان الاستعمار على نحو ما كان يحدث في المستعمرات البريطانية في أفريقيا حيث يجري العلماء دراسات خاصة بين القبائل والشعوب الخاضعة لحكمها وتزيد من قبضتها عليهم ، ومن شأن هذا أن يلقى ظلاماً كثيفاً على ادعاء الكثيرين من المستغلين بالعلوم الإنسانية بأنهم يتّخون الموضوعية في دراساتهم وبحثهم .

من هنا نحب أن تكون هناك تفرقة واضحة بين أصحاب العلوم الطبيعية وأصحاب العلوم الإنسانية والاجتماعية .

وإذا تقرر أن علم الاجتماع الغربي قد عكس أيديولوجيا الفكر الغربي وكذلك علم الاجتماع الماركسي فقد سقط تماماً مفهوم (الموضوعية) وسلامة المنهج وتحريره من التبعية .

ومن هنا فقد تقرر أن العلوم الاجتماعية ليست علوماً مجردة خالصة لوجه العلم والحقيقة ، ولكنها علوم ذات مضامين أيديولوجية وتبعة سياسية في النهاية .

وإن الباحث في هذه العلوم من حيث إنه إنسان لا يمكنه أن يتخلّى عن انتتماءات الأيديولوجية وتوجهاته الفكرية والسياسية والعقدية .

ولما كان من المحال أن تخلص العلوم الإنسانية من الأحكام القيمية والانتتماءات الأيديولوجية والتوجهات الفكرية ، فإلى أي قيم وأيديولوجيات وعقائد ينبغي أن يتوجه باحثونا !!؟

هل يولون وجههم شطر المعسكر الشرقي بفلسفته الماركسية وما دمته التاريخية أم يولون وجههم قبل المعسكر الغربي ومذاهبه الفلسفية من برجماتية وجودية ووضعية ؟ . إن دعوتنا هي التي أدت إلى التحرر من التبعية الفكرية الأجنبية لتحل محلها دعائم قوية ذات جذور في أعماق ثقافتنا .

ولئن اكتشف بعض الباحثين عندنا أن النظريات الاجتماعية العربية قاصرة ، فلم لا يحاول تقديم نظريات بديلة تستمد قيمها من عقيدتنا الصحيحة ؟ .

إن بعض علماء الاجتماع الغربيين (ليذبرج وواترلن) يعلّون أن أحد العلوم الإنسانية وهو علم الاجتماع لا يزال عاجزاً حتى اليوم عن تقديم الحلول العملية لمشكلات العالم الاجتماعية فلماذا يوصد الباب أمام من يحاول إخراج هذه العلوم من أزمتها ؟ .

وما الغريب في دعوة أصحاب منهج الأسلامة إلى أن هذه العلوم يجب أن تستند إلى العقيدة (أو الأيديولوجية) الإسلامية وأن ترتوى من منابعها الصافية .

أفمن أسس هذه العلوم على عقيدة صحيحة راسخة خير أمن أسسها على أيديولوجيات مشكوك في صحتها ؟ « أفمن أسس بُنيانهُ على تقوى من الله ورضوانٍ خيرٌ أم من أسس بُنيانه على شَفَّا جُرُفٍ هارِفٍ انها رَبَهُ فِي نَارِ جَهَنَّمَ » [التوبه ، الآية : ١٠٩] .

إن مفهوم لفظ (الدين) عند غير المسلمين مخالف لمفهومه في الإسلام فمن يتبع غير الإسلام ديناً فلن يجد فيه أنظمة سياسية أو اجتماعية أو اقتصادية ، أما الإسلام فهو دين شمولي يشمل تعاليم الربانية بتنظيم حياة الإنسان في الدنيا وتدبير شؤون المجتمع

إن قصور الأديان الأخرى وعجزها عن تقديم حلول لمشكلات الإنسان النفسية

والاجتماعية والاقتصادية قد أدى إلى ظهور العلمانية وهي الدعوة إلى فصل الدين عن أمور هذا العلم ، وأن هذا له ما يبرره في الغرب ، فإن الترويج له في الأمة الإسلامية هو تقليد أعمى إذ كيف يتمنى للمشتغلين بالعلوم الإنسانية في هذه الأمة أن يطروها جانبًا الشريعة الإسلامية ومصادرها ، وفي مقدمتها كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ؟ أفلًا تعين توجيهات القرآن علماء النفس على إيجاد الحلول لكثير من المشكلات والأمراض النفسية ؟

ألا يعين الكتاب والسنة علماءنا على الفهم الصحيح لنشأة الدين ، وهو فهم مخالف لتفسير (أو جستكونت) الذي زعم أن تطور العقل البشري مر بثلاث مراحل : الدينية والميتافيزيقية والوضعية ؟

وأن المرحلة الدينية ثلاثة مراحل : الوثنية ومرحلة تعدد الآلهة ثم مرحلة التوحيد أما التفسير الإسلامي فهو مباین تماماً لهذا الترتيب إذ التوحيد هو الأصل ، وهو دين الفطرة الذي كان عليه آدم أول البشر ثم طمست عقيدة التوحيد شيئاً فشيئاً ليحل محلها الشرك والتعدد والوثنية .

ألم يتطرق القرآن والسنة إلى ميدان الاقتصاد والمعاملات التجارية ؟
ألم يفتح الإسلام باب التجارة ويلقى باب الربا ؟

ألم يحدد نظام المواريث والزكاة وأوجه انفاقها ؟
إن الدين لا يمكن إغفاله عند الأخذ بالاكتشافات العلمية في أمتنا الإسلامية وأنه لامناص من عملية الأسلامة التي يرفضها العصريون .

وهي عملية تستهدف غربلة الاكتشافات العلمية في شتى المجالات ابتعاد تنفيتها من العناصر غير الملائمة وانتقاء العناصر الصالحة منها أو إجراء تعديلات .

(عبد الفتاح أحمد فؤاد)

إعادة كتابة العلوم الإسلامية

إن المسلمين حينما تربوا على الإسلام أدركوا أن قضية الاهتمام بالناحية العلمية هي قضية تعبدية بالدرجة الأولى وليس مجرد الحصول على شيء من القوة أو الغلبة أو التسلط في هذه الدنيا فحين يتعرف المسلم على بديع صنع الله تبارك وتعالى في هذا الكون فهو يتعرف على خالقه .

لقد أحصيت الآيات القرآنية التي تحض الإنسان على النظر في الكون فوجدتتها تفوق ٧٥٠ آية ، إلى جانب القصة لابد منها للقيام بأعباء الاستخلاف الإنساني وتسخير الكون كما أراد الله .

لم يفرق الجيل الأول من المسلمين (وهو الجيل القدوة) بين العلم التجربى وبين العلوم الشرعية من الفقه والتفسير ، فكان المسلم فلكياً ومفسراً وظبيباً وفقيرها .

إن أهم ما يشكو منه العلماء الآن قضية التفتت في المعرف ، فالشخص الدقيق جعل الناس ينحصرون في دوائر ضيقة فجاءت نظرتهم للحياة نظرة جزئية جداً نظرة غير إنسانية لأنها غير متكاملة .

إن النظرة الكاملة هي التي يستطيع الإنسان من خلالها التعرف على قوانين الله في الكون والقيام بواجبات الخلافة في الأرض على أحسن وجه فكلما تعرف على قوانين أكثر كلما كانت قضية عمران الحياة على الأرض أيسر .

إنه لا يمكن أن تتحقق وظيفة الإنسان الشرعية على الأرض مالم يحصل على العلم التقني ، فالمجتمع الإسلامي يحتوى على كل التخصصات .

إن العلوم الشرعية هي ما يجب أن يفهم من الدين بالضرورة وهي فرض عين على كل مسلم أما فيما وراء ذلك من التخصصات فيبقى فرضياً كفائية .

أما التصور الإسلامي لقضية العلم فهو يختلف عن التصور الغربي الأوروبي حيث يتلقى العلم اليوم من خلال فلسفة .

حمل العالم الإسلامي تراث البشرية من المعرف في الحضارات السابقة والمعاصرة لبعثة محمد ﷺ ، حضارة الفرس والروم والهند والصين ومصر القديمة جمع كل ذلك وصفاه بمنطق النظرة الإسلامية الصحيحة وأضاف إليه إضافات أصلية ، وحين أخذته عنه أوروبا بعد ذلك عن طريق المدارس الإسلامية في الأندلس وجنوبى أوروبا بصفة عامة (صقلية وجنوبى إيطاليا) ظهر الفارق واضحًا فالمسلمون لم يجدوا في تعاليم الإسلام وأصوله ما يمكن أن يقف حائلاً دون نشاطهم العلمي بل وجدوا في القرآن وأحاديث الرسول ﷺ ما يدفعهم إلى ذلك دفعاً بينما كان الموقف مختلفاً تماماً في عصر النهضة عندما بدأت أوروبا تأخذ بالأسباب انتلاقاً من القاعدة التي عملتها لهم الأمة الإسلامية ومدارسها في شمالى أفريقيا وجنوبى أوروبا .

الإسلام والعلوم المادية

إن دارسي تاريخ العلوم في أوروبا قد سلموا الآن بأن العلوم المادية التجريبية إنما ولدت هي ومنهاجها في حجر الإسلام ونمّت وترعرعت في حضانته فلا تناقض بينها وبين الإسلام .

وهي علوم لا تستطيع أن تعدل شيئاً في مسائل الإيمان أو الإلحاد ذلك أن الحقائق التي كشفت عنها هذه العلوم أدخلت عدداً من العلماء في الإيمان بالله تبارك وتعالى . حيث لا تعارض بين نتائج هذه العلوم وبين الإسلام .

تقول العلوم : إن المادة لافتني ولا تستحدث .

والقرآن الكريم يقول : «**كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهُهُ**» [سورة القصص ، الآية : ٨٨] . وفي الإسلام كل شيء ماعدا الله مخلوق مستحدث ، وإن كلاً من المادة والروح قد خلق من عدم ولابد أن يهلك فهم يحاولون أن يجعلوا إلهية للعلم .

وقد اتفق علماء المذاهب على أن معارف الإنسان العلمية نسبية ، وليس هناك تناقض بين العلم الحديث والإسلام ، بل تعارض جزئي يمكن إصلاحه عن طريق الفهم الصحيح للقرآن والسنّة هذا هو التوفيق الحقيقي بين الإسلام وحضارة العصر . وهذا ما عبر عنه ابن تيمية في كتابه درء تعارض العقل والنقل .

كشفت الأبحاث المتصفة فساد دعوى أن التفكير العلمي غير موجود عند المسلمين ؟ ذلك أن المسلمين هم بناة المنهج العلمي والتجريبي ، والبحث العلمي الحديث يستمد منهاجه من الخطة التي وضعها علماء الإسلام والقائمة على عنصري : الملاحظة الموضوعية للحوادث والأشياء والتجريب .

وبهذا المعيار العلمي نجد أن التفكير لدى المسلمين هو تفكير علمي ولا يخضع إلا بشروط البحث العلمي السليمة وتمثل خصوصيات الفكر العلمي عند المسلمين كما يقول الدكتور عبد الحميد الهاشمي في العناصر الآتية :
أولاً : أنه فكر موضوعي لا يصدق الخرافات .

ثانياً : أنه فكر يعتمد الملاحظة الموضوعية طريراً للعلم واكتشافاته .

ثالثاً : أنه فكر يستخدم التجربة سبيلاً إلى اكتساب المعلومات واكتشاف القوانين العلمية .

رابعاً : أنه فكر متواضع وفي أمين ذو أخلاق نبيلة .

خامساً : أنه فكر إنسانى عالمى النزعة .

الإسلام ثقافة وحضارة معاً

تقوم الفلسفات المادية الغربية على أساس النظرية الإنسانية التي تجعل من الإنسان مبدأ وغاية وتجعل هذه الحياة : هي الحياة الأولى والآخرة .

هذه النظرة لا تتفق مع نظرة الثقافة العربية الإسلامية ، التي تجعل من هذه الحياة مرحلة أولى لها ما بعدها بكل ما يترتب على ذلك من مواقف اجتماعية وأخلاقية ودينية وما يتصل بها من علاقات ومعاملات وسلوك وقيم تختلف اختلافاً كبيراً عما هو قائم في الغرب أما في عالم الإسلام فإن هناك القيم الثلاث الأساسية :

الدين والتراث واللغة

الدين يعتبر أسلوباً للحياة ، فالدين يصبح الحياة الاجتماعية في العالم العربي بصبغة معينة متميزة تتجاوز كل الاختلافات الدينية والانعرافات المذهبية والانتماءات العرقية كما أنه ينظم العلاقات بين الناس ويفرض عليهم نسقاً من القيم ، وأنماطاً من السلوك وطريقة التفكير بل هي نظرة معينة للإنسان والكون والمجتمع والعالم الآخر بحيث يصعب الفصل في واقع الحياة اليومية بين ما هو ديني وما هو غير ذلك .

وبذلك يعتبر الإسلام ثقافة وحضارة معاً ، فهو أحد مقومات ومكونات الثقافة العربية الإسلامية .

أما التراث فهل يمثل البعد التاريخي أو الزمانى للثقافة باعتباره سجلاً للحياة الفكرية والاجتماعية والسياسية خلال التاريخ .

فالتراث مقوم من مقومات الثقافة العربية الإسلامية مما أنتجه التفاعل والتعاون بين المقومين : الدين واللغة من نتاج في مقومات مجالات الفكر المختلفة من فلسفة وعلم الكلام وتصوف وإلهيات وكذلك في مجال الأدب والفن والعلم (سواء صدر من العرب

ال المسلمين أو غير المسلمين) ممن تأثروا بالإسلام من حيث هو أسلوب الحياة أو اتخذوا من اللغة العربية أداة للتعبير .

ولقد كان التراث أداة ربط بين الماضي والحاضر .

وقد تعرض التراث لكثير من الهجوم والاستخفاف .

ولما كان التراث يمثل دوراً مهماً في تشكيل العقل الإسلامي المعاصر لذا وجب تقدير دوره الهام .

وليس صحيحاً ما يردد البعض من أن التراث جزء من الماضي أو أنه نشأ في ظروف وأوضاع اجتماعية وسياسية وثقافية معينة في محاولة مضللة ترى أنه استنفذ أغراضه أو أنه ينظر إليه لدوره التاريخي فقط ، وليس صحيحاً ما يدعى البعض من أن إحياء التراث من شأنه تكبيل العقل العربي أو تقييده أو منعه من الانطلاق .

أما بالنسبة للغة العربية فإن أهميتها تأتي من حيث هي وسيلة ، للتواصل والتفاهم وأداة للفهم والتفكير والتعبير ونقل الأفكار فضلاً عن أنها مظهر لوجود رابطة ذهنية ووجدانية بين كل الناطقين بها ، فهي عامل وحدة وتوحيد وزاد من فاعليتها أنها لغة القرآن الكريم كما أن القرآن الكريم عمل على بقائها واستمرارها وحفظها من الاندثار ، ومن التغيير إلا في حدود معينة بحيث لم تقطع اللغة العربية حاضرها تماماً عن ماضيها بالرغم من القرون الطويلة التي مرت بها .

وقد جرت المحاولات من أجل التأثير على فاعلية اللغة العربية وقدرتها على التعبير عن معطيات العلم الحديث والحضارة الحديثة بوجه عام .

وارتفعت الدعوة إلى استبدال الحروف اللاتينية بالحروف العربية أو اتخاذ اللهجات العامة بدلاً من الفصحي .

ولكن هذه المحاولات باءت بالفشل وذهبت أدراج الرياح .

ولقد تعرضت هذه المقومات (اللغة والدين والتراث) لدرجات متفاوتة من التشكيل في أهميتها وقيمتها وجدواها وفاعليتها .

ولكن كل هذه المحاولات انتهت بالفشل وأثبتت اللغة العربية قدرتها على الأداء والبقاء وحمل أمانة الإسلام إلى العالم كله .



أسس البحث العلمي عند المسلمين

الاتهام بأن حضارة الإسلام لم تعرف البحث العلمي ، ولم تعرف أسمه وقواعده خاصة في مجال العلوم المختلفة من طب وكيمياء وفلك وفيزياء قول باطل . والزعم بأن جهود علماء العربية قد اقتصرت على مانقل من الأجيال السابقة ، وأنها كانت مقصورة على نقل وترجمة تراث الإغريق والفرس والهنود والسريان قول مضلل .

وتكتفى في الرد على ذلك كلمة لبيرونى (أعظم عقلية في العصور الوسطى) والذي استطاع أن يقيس قطر الأرض .

يقول : إنما فعلت ما هو واجب على كل إنسان أن يعمله في صناعته من تقبل الجتهاد من تقدم بالمهنة ، وتصحيح خلل إن عشر عليه ، وتخليد ما يلوح أن فيها تذكرة عنمن تأخر عنه الزمان وأتى بعده .

لم يقبل علماؤنا في قضية النقل عمن سبقوهم إلا الصحيح ، ويصححون ما فيه الخلل ، ولا يتم التصحح إلا عن إحاطة كاملة بالموضوع المطلوب تصححه وامتلاك أدوات البحث وال النقد التي تعين على معرفة مكان الخطأ و تكشف الستار عن الصحيح و تعرف به .

وقد تشدد المسلمون في تطبيق هذه القاعدة وقد كان علما الحديث والفقه يستندان في الدرجة الأولى على الدقة والأمانة في ذكر المصدر المأمون .
وبجوار الأمانة والدقة في النقل كان هناك تصحح النظريات الخاطئة ورفع المعلومات غير الحقيقة .

أولاً : ابن النفيسي يرفض قبول نظرية جالينوس في الدور الذي تنقله الرئتان بالنسبة لانتقال الدم .

ثانياً : لم تقنع نظرية بطليموس في تكوين الأرض جميع العلماء المسلمين .

ثالثاً : الكندي خالف أرسطو في تعليل نشأة المطر .

رابعاً : إبراهيم بن سنان بن ثابت بن قرة ينتقد كتاب أرسطو في الآثار العلوية حيث انتقد رأيه في انقطاع العمارة تحت مدار المتقلب الصيفي .

خامساً : اهتمام المسلمين بالتجربة العلمية في الحساب .

إجراء التدبير والمشاهدة والاستنتاج .

وكان الرازي يدرس تأثير العقاقير الجديدة على الحيوان ، ويخلص إلى النتائج التي يراها صواباً .

سادساً : قرر العلماء أن العلم الذي حث عليه القرآن والسنة هو كل معرفة مستندة إلى الاستدلال .

فالعلم في الإسلام يشمل مجالات عدّة يقصر عن الدلالة عليها كلمة العلم بمفهومها الغربي الحديث فهو يشمل علوم الدين وما وراء الطبيعة ومجال الماديات وما يقوم على الملاحظة والتجربة .

دعا القرآن الكريم إلى العلم وإلى البحث عن حقائق الوجود ، وفي أكثر من موضع دعا إلى العلم والقراءة والتدبّر والنظر والتأمل في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار ، وتكررت فيه كلمات : العلم والحكمة والعقل والفكر والنظر والأدلة والبرهان . وقرر القرآن الكريم أن للإنسان إرادة ولكن هذه الإرادة محدودة وفي القرآن آيات توحى بأن الإنسان مختار : « وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رِبِّكُمْ فَمَنْ شَاءْ فَلِيؤْمِنْ وَمَنْ شَاءْ فَلِيَكْفُرْ » .

[سورة الكهف ، الآية : ٢٩]

ليس هناك جبرية مطلقة ، وليس هناك اختيار مطلق ، والحرية الحقيقية في الإسلام هي حرية الإنسان التي تتمثل أولاً في أن للإنسان قدرته على الاختيار وأن يرتفع بنفسه فوق شهواته ونزواته فلا يكون عبداً لها واستشعارنا دائماً بأن الله تبارك وتعالى معنا دائماً هو العلاج الحاسم لكل أنواع القلق الممكّنة ، وليس ممارسة الحرية التي يدعو إليها سارتر ، والتي تؤدي إلى الضياع والتردّي في الهوة السحيقة : هوة العدم ، وفي الإسلام لا يكون الإنسان بالمعنى الحقيقي إلا إذا ارتفع فوق شهواته وأهوائه وإرادته .

وعلى الإنسان أن يتقبل واقع الحياة بالرضا .

« لَكُمْ لَا تَأْسُوا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ » [سورة الحديد ، الآية : ٢٣] . والمعنى الحقيقي للحرية هو تقبل الشدائد مليئاً بالثقة في الله تبارك وتعالى ووجود الإنسان نفسه له هدف وغاية :

« أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تَرْجِعُونَ » .

[سورة المؤمنون ، الآية : ١١٥] .

﴿أَيْحَسِبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى﴾ [سورة القيمة ، الآية : ٣٦] .

والقيم الأخلاقية من الثوابت ، وهى لاتتطور كما يتتطور الجسد أما القول بأنه ليس في الطبيعة شيء ثابت مقوله مضللة هناك الثوابت والمتغيرات في الطبيعة وفي المجتمع .

إن أسلمة العلوم الاجتماعية والإنسانية وأسلامة المعرفة ضرورة لابد من تحقيقها إذا شئنا التغلب على أزمة الفكر على أساس تكامل المنهج العقلى مع المنهج الشرعى في فهم النصوص وتوجيهاته في مجال العلاقات الإنسانية وتطبيقاتها .

حيث يتميز الفكر الإسلامي بالشمولية بينما تقوم المذاهب الفلسفية الغربية على التجزئة وتمثل شمولية الإسلام في نظام الأسرة والمرأة وعلاقات العمل والتكافل الاجتماعي والترابط الكامل المباشر بين مجال العلوم السلوكية ومجال التربية .

هذا وبالله التوفيق

أنور أبجدى

★ ★ ★

فهرس الكتاب

الصفحة	الموضوع
٥	مقدمة
١٣	الباب الأول : الإسلام وقضية الإنسان
١٩	منهج القرآن
٢٢	التغيير في الإسلام
٢٣	الباب الثاني : نظام الإسلام
٣١	الباب الثالث : الشريعة الإسلامية
٣٢	الشريعة بماذا تفضل القانون ؟
٣٣	الدعوة إلى الاجتهاد
٣٦	أهمية الاجتهاد في الفكر الإسلامي
٣٧	شمولية الشريعة
٤١	الشريعة والمجتمع
٤٢	تنظيم المجتمع
٤٥	الاقتصاد الإسلامي
٤٧	الباب الرابع : الشريعة الإسلامية والقانون الروماني
٥٠	القانون الدولي والشريعة الإسلامية
٥١	قصة الإسلام : دين ودولة
٥٣	مجموعة حقائق حول النظام الإسلامي
٥٥	إسهام الإسلام في بناء القانون الدولي العام
٥٨	الديمقراطية في مفهوم الإسلام
٥٩	الباب الخامس : الشريعة والقانون الوضعي
٦١	الشوري لا الديمقراطية
٦٤	الإسلام وقوانين البحار
٦٦	الإسلام والعلوم عامة

٧٢	الباب السادس : عقائد الإسلام
٧٣	التوحيد في الإسلام
٧٦	المطالبة بتطبيق الشريعة
٨٢	نحو تقوين الشريعة الإسلامية
٩٠	الاستشراق والقرآن الكريم
٩٥	الباب السابع : دراسات عامة
٩٥	الزكاة نظام رباني
٩٧	محاولات قديمة وحديثة لتقنين الشريعة الإسلامية
١٠١	شبهات المستشرين حول حقائق الشريعة الإسلامية
١٠٣	التشريع الجنائي الإسلامي
١٠٤	معالم الفكر الإسلامي
١٠٧	القرآن الكريم واللغة العربية
١١١	القرآن الكريم والصحوة الإسلامية
١١٦	انهيار الفلسفات المادية
١١٧	القرآن الكريم وعالمية اللغة العربية
١٢٠	هزيمة الفرق الباطنية الضالة
١٢٧	سقوط الفكر الباطني وتحصين الفكر الإسلامي ضد الاختراق
١٣١	المؤامرة على الوحي
١٤٨	الهجوم على مشروع أسلمة العلوم الإنسانية
١٥٠	إعادة كتابة العلوم الإسلامية
١٥٢	الإسلام والعلوم المادية
١٥٣	الإسلام ثقافة وحضارة معاً
١٥٥	أسس البحث العلمي عند المسلمين
١٥٩	فهرس الكتاب

رقم الإيداع بدار الكتب المصرية ٢٠٠٠ / ١٥٩٥٦